

نقد الشعر

لأبي الفرج قدامة بن جعفر

تحقيق وتعليق
الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

نفت الشعر لابي الفرج وتدامه بن جعفر

•

تحقيق وتعليق

الدكتور

محمد عبد المنعم خفاجي

•

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدخل إلى الكتاب

قديم

هذا هو « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر (٢٦٠ - ٨٣٢٧ : ٨٧٢ - ٩٤٨ م) ، الذي يعد أول أثر نقدي علمي مشهور في الأدب العربي .

أقدمه للباحثين في صورة جديدة ، من التحقيق العلمي ، معتزاً بالكتاب ، ويعمل فيه ، سائلاً الله عز وجل أن يفيد به القراء والدارسين والباحثين ، وأن يجعله ضوءاً هادياً في طريق البحث النقدي والأدبي .

وما توفيقي إلا بالله .

المحقق

طباعات الكتاب

- ١ - نقد الشعر لقدامة - نشر س ١٠ بونياك - مطبعة بريل -
لیدن ١٩٥٦ .
- ٢ - نقد الشعر لقدامة - طبع الجواب ١٣٠٢ هـ .
- ٣ - نقد الشعر لقدامة - تحقيق محمد عيسى منون ١٣٥٢ هـ ، ١٩٣٤ م .
- ٤ - نقد الشعر لقدامة - تحقيق محمد كمال مصطفى ونشر مكتبة
الحاجي - القاهرة .

كتب مفقودة

- ١ - تبين غلط قدامة للآمدي (٥٨/٣ معجم الأدباء نشر مرجليوث)
- ٢ - تزييف نقد قدامة لابن رشيقي كما ذكره ابن أبي الأصبع في
مقدمه كتابه « بديع القرآن » ويبدو أنه ليس صحيح النسبة لابن رشيقي .
- ٣ - شرح نقد الشعر لقدامة ، لعبد اللطيف البغدادي (- ٦٢٩ هـ) :
راجع ترجمته في فوات الوفيات .
- ٤ - كشف الظلامه عن قدامة - للبغدادي نفسه أيضاً .

تصدير الكتاب

(١)

قدامة بن جعفر [٢٦٠ أو ٢٧٦ - ٨٣٧ : ٨٨٩ - ٩٤٨ م] أشهر النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي في اللغة العربية ، ودفعوا بها إلى الأمام دفعات قوية ، ووجهوا النقد والنقاد وجهة جديدة استمر صداها على طول العصور .. وكتابه « نقد الشعر » صار أصلاً لجميع الدراسات النقدية العربية ، لأنه استحدث مذهباً جديداً فيها صار قدامة صاحبه ، وله فضل الكشف عنه .

وكان لأراء قدامة في كتابه صدى كبير عند النقاد القلماء ، بل لقد أحدث ضجة كبيرة في وسطهم :

- فالأمدي (٨٣٧١ -) ألف كتاباً في « تبين غلط قدامة » في كتابه « نقد الشعر »^(١) .

- وعبد اللطيف البغدادي (٨٦٢٩ -) له كتاب في شرح « نقد الشعر » لقدامة^(٢) ، وكتاب بعنوان « كشف الظلامه عن قدامة »^(٣) .

- وابن رشيقي له كتاب « تزييف نقد قدامة » فيما ذكره ابن أبي الاصبغ المصري في كتابه « تحرير التحير » .

وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء ، والفلاسفة الفضلاء ، كما يقول مؤرخوه^(٤) . ونسب إليه كتاب « نقد النثر » ، الذي حققه الدكتوران : طه حسين وعبد الحميد العبادي . وقد وجدت نسخة خطية كاملة من الكتاب نفسه في مكتبة تشستر بيتي برقم ٧٦٧ تحت عنوان كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب

الكاتب ، فصحت نسبة الكتاب لابن وهب المعاصر لقدامة ، بعدما ثار جدل كبير حول نسبته لقدامة . وكان الذي نشر منه ، اعتماداً على نسخة الأسكوريال^(٥) باسم « نقد النثر » بتحقيق الدكتور طه حسين والعبادي هو نحو ثلث الكتاب وقد نشر الدكتور أحمد مطلوب في بغداد الكتاب كاملاً أخيراً .

ولقدامة كتب كثيرة ، منها : سر البلاغة في الكتابة ، وصناعة الكتابة والألفاظ ، والخراج ، وله كتاب آخر أشار إليه ياقوت في « معجم الأدباء » وهو الرد على ابن المعتز فيما عاب فيه أبا تمام^(٦) .

(٧)

وقدامة يرى في مقدمة « نقد الشعر »^(٧) أن كتابه أول كتاب يؤلف في النقد ، فيقول : « ولما وجدت الأمر على ذلك ، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر - أي النقد - أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخرى ، وأن الناس قد قصرُوا في وضع كتاب فيه ، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع » .

وهو يفضل جهود العلماء السابقين في تأصيل قواعد للنقد ، كالأصمعي في « فحولة الشعراء » وابن سلام في « طبقات الشعراء »^(٨) ، والجاحظ فيما كتبه في النقد في كتابيه « البيان والتبيين » ، و « الحيوان » وغيرهما وابن قتيبة في « الشعر والشعراء » ، والمبرد في كتابه في « قواعد الشعر » وثعلب في كتاب له بعنوان « قواعد الشعر » أيضاً ، الذي حققته ونشر عام ١٩٤٨ ، وابن المعتز في كتابه « البديع » وسوى هؤلاء الأعلام الخالدين في تراثنا العربي التقدي .

وقد فصل قدامة في كتابه مذهبه في النقد ، فقسم الشعر إلى عناصره الأولى المفردة : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ، وإلى عناصر أربعة أخرى مركبة من هذه العناصر . ويذكر أن الشعر قد يكون جيداً ، أو رديئاً ، أو بين الأمرين ، وأنه صنعة ككل الصناعات يقصد إلى طرفها الأعلى^(٩) ، ويقول : إنه يذكر صفات الشعر التي تبلغ به غاية الجودة ،

فإن وجد بضد هذه الحال كان شعراً في غاية الرداءة ، وإلا فهو بين
بين ، أي بين طرفي الجودة والرداءة بحسب مدى قربه من أي الطرفين
أو توسطه بينهما .

ومن صفات المعنى الجيد عنده ، الوفاء بالغرض المقصود ؛ أما
الغلو في المعنى فيؤثره قدامة على الاقتصار على الحد الوسط . ويقول :
إنه عنده أجود المذهبيين ، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء
قديماً وحديثاً ، حتى قال بعضهم «أعذب الشعر أكذبه» ، وهو كذلك
مذهب فلاسفة اليونان في الشعر على لغتهم ويقصد بهم أرسطو صاحب
أول مدرسة نقدية في التراث النقدي الأوربي ويؤكد قدامة أن الغلو
يعد من باب الخروج عن الموجود والدخول في باب المعلوم ، فالمراد
به المثل وبلوغ النهاية في الثمت ولما كانت المعاني عند قدامة لا نهاية لها
فقد عدد نعوت الشعر في أغراض الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورتاء
ووصف الخ ..

ومن أغراض الشعر عنده المدح والهجاء ، والمدح الجيد عنده نغته
هو الصدق وأن يكون بالصفات الأربع : العفة والشجاعة والعدل والعقل
أو ببعضها . وقد يصف الشاعر المدحون ببلوغ الغاية في هذه الصفات
من باب الغلو والمبالغة .

والهجاء ضد المدح في رأيه ، وصفاته مضادة لصفات المدح ، وليس
بين المدحة والمرثية فرق عنده إلا في اللفظ دون المعنى ، وهذا خطأ ما
بعده من خطأ ، لأن التجربة الشعرية في المدح غيرها في الهجاء ، ولعل
عبد الصمد بن المزدل [٨٢٣٠ -] هو أول من قال بهذا الرأي حيث
روى عنه ابن رشيقي في العمدة (١ : ١٠٣) أنه قال : « الشعر كله
في ثلاث لفظات : إذا مدحت قلت : أنت ، وإذا هجوت قلت :
لست ، وإذا رثيت قلت : كنت » ونحن لا نوافق على ذلك كله .

(٣)

إن هذا المنهج العقلي المحض في النقد الذي سار عليه قدامة ، صار
حديث النقاد في عصره وبعد عصره .

ولقد تأثر قدامة فيه بالثقافات العقلية التي كانت سائدة في عصره ،
والتي تتلمذ عليها ، وأخذ منها ، ففي البصرة وفي القرن الثالث الهجري ،
التقت الثقافات المختلفة التقاء فكرياً على نحو رائع ، ونشأت طبقة من
المثقفين الذين تتقنوا على هذا الفكر الانساني ، وكان في مقدمتهم المعتزلة
الذين رجعوا إلى المنطق اليوناني ، وقرأوا فلسفة أرسطو وغيره من
فلاسفة اليونان ، وترجموا آراء الأمم الأخرى في البيان ومناهجه ،
كما ترجموا كتابي الخطابة والشعر لأرسطو إلى العربية فالشعر ترجمه
مختصراً الكندي (- ٢٥٣هـ) ، والخطابة ترجمه إسحاق بن حنين
(- ٢٩٨هـ) .

وأخذت هذه الطبقة تؤلف في « صناعة الشعر » ، وللكندي -
أول الفلاسفة العرب - رسالة في صناعة الشعر^(١) ، ولأبي زيد الباهلي
كتاب بهذا العنوان أيضاً^(٢) ، وكذلك لأبي هفان المهزومي راوية شعر
أبي نواس^(٣) .

وكان متكلمو المعتزلة ، بتضلعمهم من الفلسفة اليونانية ، أصحاب
آراء كثيرة في النقد والبيان .

ومن البدهي أن يقرأ قدامة ابن البصرة كل هذه الثقافات ، وأن
يتأثر بها وقد أفاد ناقدنا قدامة من كتابي أرسطو في الخطابة والشعر ،
وإن كان الدكتور طه حسين يرى أنه كان يجهل كتاب الشعر^(٤) .

وعلى أية حال فإن قدامة بمنهجه العقلي في النقد يبين مناهج النقاد
العرب الأصلاء ، من مثل : الأصمعي ، ابن الأعرابي ، ابن سلام ،
الجاحظ ، ابن قتيبة ، ابن المعتز ، وغيرهم ، وإن هذا المنهج الذي
وضع قدامة أسامه يعد أكبر وأجراً خطوة نحو تدوين البلاغة العربية
وأصول البيان والنقد . وحسبنا أن ثلاثة من كبار النقاد العرب قد أولوا
منهجه عناية خاصة ، وتأثروا به تأثراً عميقاً ، وهم :

١ - أبو هلال العسكري في كتابه « الصناعتين » .

٢ - ابن رشيق القيرواني في كتابه « العمدة » .

٣- ابن سنان الحفاجي في كتابه « سر الفصاحة » .

كما تأثر علماء البلاغة والبدیع تأثراً شديداً بقدامة وآرائه في « نقد الشعر » .

ومن البدهي أن يستفيد قدامة من ابن المعتز (- ٨٢٩٦) وكتابته « البديع » فائدة كبيرة ، فكثير من أسباب الجودة عند قدامة هي مما ذكره ابن المعتز في كتابته البديع على أنها من صنعة الشعر ومحسناته الفنية .

إن منهج قدامة النقدي في كتابه « نقد الشعر » يعتبر ثورة فكرية عميقة ظهر صداها في تراثنا النقدي ، وصار قدامة حديث العلماء والنقاد من بعده ولا يزال صدها وصدى فكره النقدي قوياً وسائداً في تراثنا حتى اليوم .

المراجع

(١) ١٢٥ الموازنة طبعة صبيح ، معجم الانباء لياقوت في ترجمة
الأمدي .

(٢) ٧/٢ فوات الوفيات لابن شاكر ، ولعبد اللطيف البغدادي كتاب
« قوانين البلاغة » ، واختصر كتاب « الصناعتين » للمسكري (٨/٢ فوات)
ويروي صاحب كشف الظنون أن للبغدادي كتابا اسمه تكملة الصلة في
شرح « نقد الشعر » ٢٤٦/١ ، وكتابا آخر اسمه « كشف الظلّامة عن قدامة »
(٤٠٠/٢ كشف الظنون) . ولعل الكتاب الأول هو الاسم الكامل لشرح
البغدادي لنقد الشعر . وينسب لابن رشيّق القيرواني كتاب بعنوان « تزييف
نقد قدامة » (٨٨ تحرير التعبير لابن أبي الأصبع) ، ويرجح أنه ليس لابن
رشيّق صاحب العمدة .

(٣) ٤٠٠/٢ كشف الظنون .

(٤) ٢٠٣/٦ - ٢٠٥ معجم الانباء لياقوت ، ١٨٨ الفهرست ، ٢٤/٢
كشف الظنون ، تاريخ بغداد في ترجمة قدامة بن جعفر - والنقد الادبي
للدكتور بدوي طبانة ، وكتاب قدامة للدكتور طبانة .

(٥) تحت رقم ٢٤٣ .

(٦) ٢٠٤/٦ معجم الانباء .

(٧) طبع طبعات عديدة : فقد نشره س . ابو نيباكر بمطبعة بريل في
ليدن عام ١٩٥٦ - ومن قبل طبع في الجوائب عام ١٢٠٢ ، وطبع في القاهرة
طبعة أخرى عام ١٩٢٤ بتحقيق محمد عيسى منون ، ويشرح آخر لكمال
مصطفى .

(٨) ١٢ نقد الشعر ط . القاهرة ١٩٣٤ .

(٩) يرى الكثير من الباحثين أن طبقات الشعراء لابن سلام هو أول
مؤلف عربي في النقد (راجع النقد المنهجي عند العرب لندور ، ٧٤ تاريخ

النقد الادبي عند العرب لحطه ابراهيم ، ١٠٨/٢ تاريخ آداب اللغة العربية
لجورجي زيدان) .

(١٠) نقد الشعر .

(١١) ٢٥٩ فهرست لابن النديم .

(١٢) ١٩٨ المرجع نفسه .

(١٣) ٢٠٧ المرجع نفسه .

(١٤) ص ٧ مقدمة نقد الشعر . وقدامة في رأي كثير من المستشرقين
استفاد من كتاب « الخطابة » لارسطو لا من كتاب « الشعر » له . وفي رأي
د . ابراهيم أنه استفاد منهما معا - وكان قدامة من اسرة مسيحية اقامت
بالبصرة وأسلم في عهد المكتفى بالله العباسي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ : ٩٠٢ -
٩٠٨ م) وتولى في آخر حياته منصب صاحب البريد .

تمهيد

(١)

١ - استعملت اللغة العربية لفظ النقد لمعان مختلفة :

الأول : تمييز الجيد من الرديء ، قالوا : نقدت الدراهم وانتقدتها : أخرجت منها الزيف وميزت جيدها من رديئها ، ومنه : الت نقد والانتقاد وهو تمييز الدراهم وإخراج الزائف منها .

والثاني : العيب والانتقاص ، قالت العرب : نقدته الحية إذا لدغته ، ونقدت رأسه بأصبعي إذا ضربته ، ونقدت الجوزة أنقدها إذا ضربتها . وفي حديث أبي الدرداء : إن نقدت الناس نقدوك ، ومعناه : إن عبتهم وجرحتهم قابلك بمثل صنمك .

واستعمل الأدباء العرب كلمة النقد^(١) بالاستعمالين لنقد الكلام شعره ونثره على السواء ، وبدأ ظهور ذلك في القرن الثالث الهجري على وجه التقريب يقول البحري عن أبي العباس ثعلب : ما رأيت ناقداً للشعر ولا يميزاً للألفاظ ، ورد عليه آخر فقال أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ولكنه أحرف الناس بإعرابه وغريبه^(٢) ، وألف قدامة كتابه : نقد الشعر ، ونقد النثر ، وألف ابن رشيق « العمدة في صناعة الشعر ونقده » .

وسار النقاد العرب في تقديمهم على كل من الاستعمالين :

١ - استعملوه في القديم وفي الحديث على معنى التحليل والشرح

(١) الجاحظ رسالة في نقد الكندي (٤٢ الجاحظ ليردم) .

(٢) ١٩٥ دلائل الإيهان .

والتمييز والحكم ، فالنقد عندهم دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة ، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها ، وأكثر الذين كتبوا في النقد العربي مشوا على هذا المعنى^(١) .

٢ - واستعملوه كذلك بمعنى العيب والمواخذة والتخطيء ، فألف المرزباني كتابه « الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء » ، ويريد بالعلماء النقاد ، ولا يزال النقد مستعملاً بهذا المعنى حتى اليوم عند بعض النقاد المعاصرين ، ويقابله التقريظ وهو المدح والإعجاب من قرظ الجلد إذا دبغه ، وذلك إنما يكون للتحسين والترتين^(٢) .

(٢)

ويعرف المحدثون النقد - بناء على المعنى الأول في الاستعمال اللغوي - فيقولون : إنه التقدير الصحيح لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه^(٣) ، فكلمة النقد تعني في مفهومها الدقيق الحكم ، وهو مفهوم نلاحظه في كل استعمال الكلمة حتى في أشدها عموماً^(٤) ، والنقد الأدبي في أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها على أن نفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع وهو منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء^(٥) .

فللنقد مهمتان مختلفتان ، مهمة التفسير ، ومهمة الحكم ، أي إصدار الأحكام الأدبية في قضايا الأدب ومشكلاته .

(٣)

ومن الضروري أن نعرف أن النقد بدأ منذ استمع الإنسان إلى الأدب - شعراً ونثراً - بأحكام عامة مقتضية موجزة لا تحمل تعليلاً ، ولا

(١) ١١٤ و ١١٥ أصول النقد الأدبي للشايب .

(٢) من ١١٤ المرجع السابق .

(٣) من ١١٦ نفس المرجع .

(٤) ١٧٢ النقد الأدبي لأحمد أمين ١٩٦٢ .

(٥) ٦ في الأدب والنقد لسنود .

تستصحب أسبابها .. شأن الأحكام العامة التي يرشد إليها الذوق ، ويكون
للفطرة الأدبية مدخل فيها ، دون أن تتأثر بتزعة علمية ، أو منهج عقلي ،
أو أسس موضوعية .

كذلك كان شأنه في الأدب في العصر الجاهلي ، حكم دون تعليل ،
لأن أحكام الذوق والفطرة التي لم تسترشد بمناهج أو أصول موضوعية
لا بد أن تكون كذلك . ثم أخذ يرتقي العقل ، وينضج الحس الأدبي
ويرتفع مستوى الملكات ، وبدأ العقل لا يقنع بأن يرسل إرسالات دون
أن يوضحه توضيحاً ، فأخذ يوميء من بعيد وعلى سبيل الرمز والتلويح
إلى السبب وبعد أن بدأ تدوين العلوم والثقافات ، وأخذ العقل العربي
يضع أصولاً للبيان والنقد ، بدأت أحكام النقد تصطبغ بصبغة علمية
موضوعية ، فالحكم بجانبه السبب والعلة ! والنقد يحمل معه طابع التوجيه
والتعليل للوصول إلى أحكام موضوعية .

وجملة الأمر أن النقد الأدبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر
والنثر ، وأنه عند المحدثين تقدير النص الأدبي تقديرأ صحيحاً وبيان
قيمه ودرجته الأدبية^(١) .. هو تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها ،
وبيان قيمتها العامة ، والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار ..
وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم ، والغرض منه دراسة الأساليب
أو الكتاب أو الآراء والأفكار^(٢) .

والخطابة والشعر لأرسطو هما المرجع الأول لكل الدراسات في
النقد. والبلاغة^(٣) ، فأرسطو أول من كتب في النقد الأدبي ، ووضع
في كتابه « فن الشعر » قواعد للبلاغة بني عليها طريقته في النقد^(٤) .

-
- (١) أصول النقد الادبي للشايب .
 - (٢) ص ٩٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .
 - (٣) اصول النقد الادبي .
 - (٤) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

وعلى أساس مذهب أرسطو في النقد قامت مدارس النقد الحديث في أوروبا ، وعلى رأسها : سانت بوف (١٨٠٤ - ١٨٩٦) ، وتين (١٨٢٨ - ١٨٩٣) وبرونتيير (١٨٤٩ - ١٩٠٧) ، وجول ليمتر^(١) (توفي عام ١٩١٧) .

والنقد في الآداب العربية هو « شرح الشعر تقرير طريقة الشعر الجاهلي لتكون منهجاً للشعراء ، لا حركة العقول والأفكار^(٢) » وأكبر مظاهره عندهم هو علم البلاغة^(٣) .

وهكذا نجد أن أصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم ، وأن الغرض منه كما يقول بعض النقاد دراسة الأساليب أو نفوس الكتاب أو دراسة الآراء والأفكار .

على أن النقد ذو صلة وثيقة بالذوق ، وليس هو مطلق الذوق ، بل ذوق ذوي الثقافات الأدبية العالية . والنقد عند كثير من النقاد فن وليس بعلم ، فليس عندهم قاعدة ثابتة .

(٤)

١ - وإذا كانت كلمة النقد تعني في مفهومها الدقيق (الحكم) ، وكان « النقد الأدبي » هو إصدار حكم على الآثار الأدبية ، فإن الأدب الإنشائي يخالف الأدب النقدي الذي هو من الأدب الوصفي ، فالإنشائي هو تفسير للحياة في صور مختلفة من الفن الأدبي ، والأدب النقدي هو تفسير لهذا التفسير ولصور الفن التي يوضع فيها ، وكما يأخذ الأدب من الطبيعة والحياة فإن النقد كذلك يأخذ منهما عن طريق غير مباشر ، ولذلك يقول الناقد ولیم و طسون عن الشعراء « وقد اعتبرت مثلاً كجزء من عظمة الطبيعة » .

(١) راجع مقدمة لدراسة بلاغة العرب وأصول النقد الادبي للشايب ، ٤٥ - ٥٠ الادب الجاهلي .
(٢) ١٥٩ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .
(٣) ٦٩ المرجع نفسه .

وإذا كان في الإمكان الرجوع إلى المصدر الأول وهو الطبيعة دون الرجوع إلى النقد ، فإن النقد يوحى ويشجع وينير السبيل ، ويلهم الأدباء أنفسهم اتجاهات جديدة ، وللقد قيمته الذاتية في أنه تعبير عن الناقد نفسه ، عن شخصيته وفكره ومذهبه ومنهجه .

٢ - إن وظيفة النقد الأدبي هي في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية وقيمه التعبيرية والشعورية ، وتوضيح منزلته وآثاره في الأدب ..

يرى سانت بيف أن وظيفة النقد الأدبي هي النفاذ إلى ذات المؤلف ، لتستشف روحه من وراء عبارته بحيث يفهمه قراءه ، وفي ذلك يضع الناقد نفسه موضع الكاتب . فالتقد على حد تعبيره يعلم الآخرين كيف يقرأون ، ولذلك كان على النقد أن يتجاوز القيم الجمالية العامة إلى بيان روح العصر من خلال نفسية المؤلف ، فوظيفة النقد هي تفسير العمل الأدبي للقارئ لمساعدته على فهمه وتذوقه ، وذلك عن طريق فحص طبيعته وعرض ما فيه من قيم^(١) .

ويحمل وردزورث على النقد ويعده عبثاً ، لأن المقدرة على النقد أحط من المقدرة على الإنشاء ، ومن قبل حمل أفلاطون على الشعر وعابه بأنه تقليد للتقليد .

ولا شك أن ذلك أمر لا يوافق عليه فاقده آخر ، فإن النقد يوجه ويثرى الأدب ، ويعلي من منزلته في الحياة ، ولا غنى للحياة ولا للأدب ولا للأدباء عنه ، وهو الذي يخلق المناهج والمذاهب الأدبية ، ويقوم أعمال الأدباء ، ويوصي باختيار النماذج الجيدة من الأدب ومحاكاتها . ويغرم حب الجيد منه في نفوس الدارسين والناشئين ويعودهم على مثل هذا الجيد منه .

(١) راجع ٥٣ - ٩٦ الأديب وفنونه لعز الدين اسماعيل .

والنقد الادبي يتنوع إلى :

١ - النقد الذاتي أو التأثيري : وهو الذي يقوم على الذوق الخاص ، ويعتمد على التجربة الشخصية ، ويبتعد عن المنهج الموضوعي العلمي .

٢ - النقد الموضوعي : وهو الذي يركن إلى أصول مرعية وقواعد عقلية مقررّة ، يعتمد عليها في الحكم ، كطريقة قدامة في كتابه « نقد الشعر » .

٣ - النقد الاعتقادي : وهو النقد الذي تتحكم فيه عقائد وآراء خاصة عند الناقد . وهو يحمل في طياته معنى التعصب والميل إلى نزعة خاصة ، وكلما تحرر الناقد في نقده وآرائه ومعتقداته الشخصية كان نقده عادلاً وأكثر إنصافاً وصدقاً وتحرياً للحقيقة ، إذ أن مجرد الناقد من هواه وآرائه شرط أساسي لسلامة أحكامه النقدية من الجور .

٤ - النقد التاريخي : وهو النقد الذي يحاول تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب ، فهو يعني بالفهم والتفهم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة وتفسير الظواهر الأدبية أو المؤلفات أو شخصيات الكتاب يتطلب معرفة بالماضي السابق لهم ، ومعرفة بال حاضر الذي أثر فيهم .

٥ - النقد اللغوي : وهو الذي يحكم فيه على أساس اللغة وقواعدها الأسلوبية واللغوية المقررة .

وفي النقد الموضوعي والذاتي يقول السحرني^(١) : النقد الموضوعي هو النقد الذي يتناول العمل الأدبي من نصوصه ، ويكشف عما فيها من حقائق ، وما يرقد وراءها ، وعن مميزاتها ، والمادة الجديدة أو المطروقة التي تنطوي عليها . فهو نقد كاشف لجوهر الموضوع وروحه

(١) مجلة قافلة الزيت عدد ذي الحجة ١٣٨٤ هـ .

في تجرد وإنصاف وحيدة . والناقد الموضوعي في كشفه واندماجه في العمل المنقود أقرب شبيهاً بالنحلة التي تحوم حول الزهر ، فتقع عليه وتمتص رحيقه ، وتخرجه عسلًا فيه من الزهر لونه وعطره ونكهته .

وعلى العكس من هذا ، النقد الذاتي ، فهو نقد ذو طابع غير مقنع ، لأنه لا يهتم بالنصوص ، بل كل اهتمامه بأثرها على نفسه ، ومقياس الناقد فيه هو شعوره وذوقه ، وعواطفه وأهواؤه ، وهو ليس نقداً في الحقيقة ، إنما هو تعبير عن سمات الناقد ، وترجمة ذاتية لما يجري في عقله الغافي ، أو عقله الواعي ، ومثل هذا النقد قد يكون مقالاً للذيد ، أو نقاشاً ذكياً عن موضوع يتناوله الكتاب المنقود ، ولكنه بعيد عما تناوله الكتاب المنقود . فالناقد يكشف به عن معرفته بالموضوع ، وزكائه ، أو يبرز فيه انفعالاته نحو الكتاب ، والناقد في سلوكه هذا أقرب ما يكون شبيهاً بالطاووس الذي يعجب بريشه المزركش المونق . ولا يعجب بما حوله ، إلا اعجاباً عابراً .

ومثل هذا النقد لا جدوى من ورائه ، فهو لا يضر ولا ينفع ، بل قد يضر في كثير من الأحيان ، إذا كان الناقد من ذوي الطبائع المنحرفة . أو كان بينه وبين المنقود خصومة فيتخذ من قلمه حبلًا ليشق المؤلف به ، كما يقولون .

والنقد الموضوعي يقوم على ركنين جوهريين : أولهما اهتمام الناقد بموضوع العمل الأدبي المنقود ، وحبه لفنه ، وثانيهما طبيعة الناقد وخلقه القوي ، الذي يكبح جماح عواطفه الشرود ، أو انفعالاته النازلة . فالاهتمام هو الركن الركين الذي يجعل الناقد يفتح قلبه وعقله للعمل ، المنقود ، ويقوده لاحتضانه والاستغراق في مادته ، في مودة واحترام ، حتى إذا ما بلغ من غايته ، وقف من العمل الأدبي موقف الحياء ، وتوضيحه ، وبيان حسناته وهفواته .

فعملية النقد الموضوعي تمثل الاهتمام ، أو الشغف بالموضوع .

وهذا الاهتمام هو في البداية ، نزعة ذاتية ، ولكن الاستمرار في ارتداد مجالات العمل الأدبي تنقل الناقد إلى النظر في العمل المنقود نظرة واقعية . تسود نقده فيما بعد .

وهذه النظرة تستلزم من الناقد أن يكون ذا طبيعة قوية سوية . وبدون هذه الطبيعة السوية التي تتجرد من عواطفها وانفعالاتها لا يقوم الركن الثاني للنقد الموضوعي .

وتوضيحاً لهذه الحقيقة . نقول : إن الناقد الذي يقحم نفسه في نقد الشعر دون ما شغف به واهتمام وممارسة . لن ينفذ إلى جوهره وروحه . ولن يستطيع التغلغل في جماله ومضمونه . ونقده عندئذ لن يكون إلا نقداً سطحياً هزلياً . أو عابراً طائراً محوياً حرومان الفرر على الأزهار . فإذا كان الناقد من ذوي الطباع المنحرفة المريضة . فنقده يكون مؤذياً أشبه بالعنكبوت الذي يترك آثاره السامة في الحديقة .

ونبادر فنقول : إن النقد الموضوعي قد لا يكون نقداً شاملاً لعناصر المنقود من الناحيتين الجمالية ، والمضمونية . فقد يلقي النقد بؤرة اهتمامه على زاوية من زوايا العمل الأدبي . بأن يتناول محتواه ومضمونه ، أو يتناول البيئة التي نما فيها العمل الأدبي وازدهر . أو ينظر إلى شخصية الكاتب التي أثمرت هذا العمل . أو بمعنى آخر . قد يكون النقد داخلياً . أو خارجياً . حسب اتجاه الناقد ومذهبه النقدي . وتناول هذه الزوايا يدخل في النطاق الموضوعي إذا ظهر إخلاص الناقد في نقده ، وإذا وضع نصب عينيه النص الذي يفسره أو يقدره أو يحكم عليه ، في حياد وبلا إمراة .

فكل نقد مخلص شريف متصل بالنص . سواء ألقى أضواء جانبية . أو أضواء غامرة على النص . هو نقد موضوعي ما دامت غايته خدمة الأدب ، ولفت الأبصار إلى الموهوبين .

وإذا أبحنا للناقد الاهتمام بزاوية نقدية . أو منطقة نقدية محدودة

يتناولها فليس معنى هذا أنه يتخذ منها وحدها المعيار النهائي لحكمه ، بل إن اهتمامه ينبغي أن يتحول إلى العناصر الأخرى ، والنظر إليها نظرة كلية وإلا خرج على الموضوعية .

فالناقد الذي يصب كل اهتمامه على الناحية الجمالية ، دون أي اعتبار للمضمون ، فيرفع العمل الأدبي أو يهوى به إلى الحضيض بالنظر إلى جماليته ، يمانف بعمله هذا ، سبيل الموضوعية ونظيره هذا الناقد الذي يفرم بمضمون في العمل الأدبي يتواءم مع هواه فيرفعه إلى القمة ، دون نظر إلى جمال أدائه ، فمثل هذا الناقد بجانب الموضوعية ، ولا يصل إلا إلى حكم أبتز على العمل المنقود .

النقد الأدبي عند العرب

· النقد في العصر الجاهلي :

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلاً ، وكان حيناً يسير ملائماً لروح العصر وللشعر العربي نفسه^(١) ، عربي النشأة كالشعر ، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقيم إلا على الذوق العربي السليم^(٢) .

وُجد في أطوار تهذيب الشعر ، وفي اختيار المعلقات وتعليقها في الكعبة^(٣) وفي حكومة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة^(٤) ، وحكومة النابغة بين الشعراء ، « وكان تضرب له قبة حمراء بعكاظ ويأتيه الشعراء فتنشده أشعارها »^(٥) ، وفي حكم ربيعة بن حذار الأسدي على الزبرقان والمخبل السعدي وعبد بن الطبيب وعمرو بن الأهتم^(٦) . ووجد في نقد الشعراء للشعر : فامرؤ القيس يمر بكعب وأخويه الغضبان والقعقاع فأنشده فقال : إني لأعجب كيف لا تمتلئ عليكم ناراً جودة شعركم فسموا بني النار^(٧) ، ويقول النابغة : اشعر الشعراء من استجيد كذبه وأضحك رديته^(٨) ، وسمي كعب الغنوي كعب الأمثال

(١) ٢٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب .

(٢) ص ٢٥ المرجع .

(٣) راجع ٢٧٩ ج ٢ العقد .

(٤) راجع ١٢٨ ج ٧ الاغانى ، وقد نقد الرافعي هذه الحكومة ورأى أنها جائرة (٢٢٥ - ٢٢٤ ج ٣ آداب العرب للرافعي) . وتابعه في ذلك محمد هاشم (١٨٤ الادب العربي في العصر الجاهلي) ويرتاب باحث في هذه القصة ، ويرى ان امرؤ القيس غير مقصود ويقول : ولعل ذلك ما حمل ابن المعتز على أن ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرئ القيس (٢١ و ٢٢ تاريخ النقد عند العرب) .

(٥) ١٢٢ الشعر والشعراء .

(٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب .

(٧) ٧٠ من المؤلف للأمدى .

(٨) ٢٥٦ سر الفصاحة لابن سنان ، ٥٠ و ٥٧ : ١ العمدة

لكثرة ما في شعره^(١) منها ، وسمي طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها ،
والنمر بن تولب « المحبر » لحسن شعره^(٢) ، وسموا قصيدة سويد
ابن أبي كاهل « بسطت رابعة الخيل لنا » اليتيمة كما سموا بعد
ذلك خطبة لسحيان الشوواء لحسنها^(٣) ، ويقول زهير ويروي لحسان :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبديد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفه
نفسه^(٤) .. إلى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية .

(١) ٢٤١ معجم الشعراء .

(٢) ١٨٤ المؤلف ، ١١٢ : ٢ العمدة .

(٣) ٢٢٥ : ١ وبيان والتبيين .

(٤) ٢٠ الجمهرة ، ٢٨٠ : ٢ العقد ، ويقول ابن عبد ربه :

وهذا — أي تفضيل شاعر وإبه أشعر الشعراء — مما لا يدرك غايته ولا
يرقف على حد منه ، والشعر لا يفوت به أحد ولا يأتي منه بديع ، إلا ما
أتى ما هو أبعد منه ، ولله در القائل : أشعر الناس من أنت في شعره (٣٨١ :
٣ العقد) .

النقد الادبي في القرن الاول

أخذ النقد في القرن الأول الهجري يسير في طريق التضوح والوضوح مع الفطرة الخالصة والذوق السليم ، وكان كثير من الخلفاء والصحابة نقاداً بفطرتهم وذوقهم . فأبو بكر يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم قعراً^(١) . وكان عمر يتذوق الشعر وينقده^(٢) وقدم زهيراً ولم يحكم بذلك فحسب بل شرح سبب حكومته ، بأنه كان لا يعاظم في الكلام . كان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحداً إلا بما فيه^(٣) ، وكان يرى أنه أشعر الناس^(٤) ، وكان يجلس هو وأصحابه فيتذاكرون الشعر والشعراء وأيدهم أشعر^(٥) ، وقال لوفد غطفان عن النابغة : إنه أشعر شعرائهم^(٦) .. وكذلك علي بن أبي طالب كان يقدم امرأ القيس على الشعراء لأنه أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة^(٧) وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويشيد بذكر شاعرها في الجاهلية زهير وشاعرها في الإسلام ابنه كعب .

وأشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال : هذا من كلام النبوة .

(١) ٧٨ : ١ العمدة .

(٢) راجع : ٧٩ أعجاز القرآن ، ١٦٩ و ١٧٠ : ١ و ٢٢٤ و ٢٢٥ : ٢

البيان والتبيين ٢٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٧٦ : ١ العمدة .

(٣) ١٢٥ الموازنة ، ٨٠ : ١ العمدة ، ٢٢ جمهرة أشعار العرب ،

والمعازلة وتفسيرها في الموازنة وسر الفصاحة وفي ص ١٠٥ نقد الشعر .

(٤) ٢٧٩ : ٢ العقد وما بعدها .

(٥) ٢٢ الجمهرة .

(٦) ٢٤ الجمهرة .

(٧) ٢٧ و ٢٨ : ١ العمدة .

وذكر امرؤ القيس والشعراء عند رسول الله فقال : هو قائدهم
وصاحب لوائهم .

وقال عمر بن الخطاب :

أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته ،
يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم .

وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : من
الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب
قالوا : نابغة بني ذبيان ، قال لهم : فمن الذي يقول :

أيتك عارياً خلقاً ثيابي على وجل تظن بي القانون
فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : هو النابغة ، قال : هو أشعر شعرائكم ، ولا بدع فعمرو
كان يعرف قدر الشعر ويستمتع لأراء الشعراء .

سئل مالك بن أنس : من أين شاطر ابن الخطاب عماله فقال :
أموال كثيرة ظهرت عليهم وأن شاعراً كتب إليه يقول :

إذا التاجر الهندي جاء بقارة من المسك راحت في مفارقهم تجري
فلونك مال الله حيث وجدته سيرضون إن شاطرهم منك بالشرط

قال : فشاطرهم عمر أموالهم .

وقال ابن عباس ، قال عمر بن الخطاب ، أنشدني قول زهير
فأنشدته قوله في هرم ابن سنان حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حيث تنسبهم طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

فقال له عمر : ما كان أحب إلي لو كان هذا الشعر في أهل بيت رسول الله .

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من أنت ؟ قال : أنا ابن هرم ابن سنان قال : صاحب زهير ؟ قال : نعم ، قال : أما إنه كان يقول فيكم فيحسن ، قال : كذلك كنا نعطيه فنجزل ، قال : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

وقيل للحطيئة : من أشعر الناس ، فأخرج لسانه وقال : هذا إذا طمع .

وقيل : بنو هذيل من أشعر قبائل العرب ، وأشعرهم أبو ذؤيب ، وأمير شعره وغرة كلامه قصيدته التي أولها : « أمن المنون وريبها تتوجع »^(١) .

وكان لعبد الملك مجالس يتناول فيها مع جلسائه نقد الشعر والشعراء وهي كثيرة^(٢) ، وحكم سليمان بن عبد الملك على جرير والفرزدق والأخطل^(٣) .

ولكثير من خلفاء بني أمية وخاصة عبد الملك أحكام نقدية على الشعر والشعراء ومنازلهم الأدبية ، وهي كثيرة .

(١) ٨١ خاص الخاص للثعالبي .

(٢) راجع مثلاً ٣٠ : ٣ الامالي ، ١٥٢ : ١ و ١٥٥ : ٢ ديوان المعاني

(٣) ١٨٩ الشعر والشعراء .

النقد الأدبي في القرن الثاني

بلغ النقد الأدبي في القرن الثاني الهجري مرحلة من مراحل تطوره .
تناسب ما بلغه العرب في هذا العهد من نضج ثقافي وأدبي كبير .

كان الرواة كالأصمعي وخلف وحماد وأبي عبيدة يهتمون برواية الشعر وجمعه ، وكان خلف مكانة في النقد ، وكان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يحرون مع خلف في حلبة هذه الصناعة - النقد - ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها . وإجاداته لها ^(١) . وكان يجمع كثيراً من الآداب ^(٢) ، وكان عالماً بالغريب والنحو والنسب والأخبار شاعراً كثير الشعر جيدة ^(٣) ، وأصلح الأصمعي رواية بيت من شعر جرير ، وقال : أروه كذلك فلقد كانت الرواة قديماً تصلح شعر الأوائل ^(٤) ، وأعجب بنقد بشار للشعر ^(٥) . وعرض عليه مروان لامبته فضللها على لامية الأعشى ^(٦) . وكان أبو عبيدة يرى أن أشعر الناس امرؤ القيس والنابعة وزهير ^(٧) وأشعر الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل لأنهم أعطوا حظاً في الشعر لم يعطه أحد في الإسلام ^(٨) ، وكان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه ولطبعه ، وكان يشبهه بالأعشى والنابعة ، ويشبه مروان بزهير والخطيب ^(٩)

(١) ١٩٧ / ١ الممودة .

(٢) راجع ٢٢٤ : ٣ البيان .

(٣) ٣٠٨ الشعر والشعراء .

(٤) ١٣ / ٢ زهر .

(٥) ٤٣ / ٣ الاغانى .

(٦) ٤٠٢ / ٣ العقد .

(٧) ٤٤ الجهرة .

(٨) ٤٦ المرجع .

(٩) ٣٥ / ٣ الاغانى .

وكان يفضل بشاراً على مروان^(١) ، وكان يقول هو وأبو عبيدة :
عدي في الشعراء بمترلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها^(٢) .
وعاب بين يدي الرشيد قول النابغة :

نظرت إليك ، بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود

لذكره السقيم^(٣) . وسئل المفضل عن الراعي وذو الرمة : أيهما
أشعر فصاح صيحة منكورة . أي لا يقاس ذو الرمة بالراعي^(٤) .

وكذلك كان الأدباء ينفذون الشعر بفطرتهم وذوقهم . كان بشار
أجودهم وأدقهم في نقد الشعر ومذهبه . وكان أبو عبيدة يعجب
من « فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده لأشعر »^(٥) . وكان
خلف يعجب من نقده ومذهبه^(٦) . وغضب بشار على سلم لشرفته
معانيه^(٧) . وكان مروان يعرض شعره عليه^(٨) وكان أبو العتاهية يعتمد
على معاني بشار^(٩) ، وكان أشجع يأخذ عنه ويعظمه^(١٠) وكان
ابن الرومي يقدمه ويزعم أنه أشعر من تقدم وتأخر^(١١) . وكان

(١) ٢٢٥ ، ٢٥١ الموشح .

(٢) ١٧ / ٢ الاغاني .

(٣) ٢٧٠ العمدة .

(٤) ١٧٩ الموازنة . وكان ذو الرمة راوية للراعي ٢٠٧ طبقات ابن

سلام .

(٥) ٢٣ / ٢ الاغاني .

(٦) راجع ٤٣ / ١ الاغاني ، ٢١٠ الدلائل ، ٧٥ الفتاح ، ١٧ الايضاح .

(٧) ٤٨ / ٣ الاغاني .

(٨) ٥٨ / ٣ الاغاني .

(٩) ١٢٤ : ٣ الاغاني .

(١٠) ١٢٧ / ٣ الاغاني .

(١١) ١٣ : زهر الآداب . وكان بشار يقدم جريراً على الفرزدق

(١٢٩ طبقات ابن سلام) من حيث كان البحترى يفضل الفرزدق (٢٤ صناعتين)

ونقد بشار قول كثير « ألا انما ليلى عصا خيزرانة » (٨٠ : ٢ الكامل) .

كثير من الشعراء يجارون بشاراً في هذا الميدان .. وكان أبو نواس بدعوته إلى ترك بدء القصيدة بذكر الأطلال ناقدًا خبيراً بتأثير الحضارة في الشعر والأدب .

ولكن جهود علماء اللغة في النقد كانت أقوى وأظهر فوضعوا الجاهليين في طبقات ولم يتركوا شاعراً مشهوراً من الجاهليين إلا رأوا فيه رأياً . ولا فتاً من فنون الشعر إلا نقدوه ونوهوا بما فيه من جيد ورديء . وهم الذين جمعوا أقوال النقاد قبلهم في الشعر والشعراء ، ووازفوا بين الإسلاميين والمتقدمين ، ونقدوا رواية الشعر وبنيته ومعانيه وغير ذلك من الموضوعات .

وقد كان للعرب في حياتهم الأولى ذوق وفيهم طبع ، كانوا بهما في غنى عن الشرح والتحليل والتوجيه والتعليل لأحكام النقد ولأصول البيان العربي ومذاهبه ، وكذلك كانت أصول النقد بعيدة عن الدراسة والتقريب .

وفي ظلال الحياة الإسلامية اختلطت العناصر وتمازجت الثقافات فلفحت العقول ، وأصابت الألسنة آثار من اللكنة واللعن . وأخذ أئمة العربية يعملون في صبر وعزيمة في وضع أصول النحو العربي . وجمع مواد اللغة الغزيرة . وصحب ذلك وتلاه دراسات أخرى تتناول النقد ، كما تتناول البيان العربي وأصوله ومذاهبه بالبحث والتحليل . وأخذت تتكون من تلك الدراسات النواة الأولى للنقد والبيان العربي ، وظل التقدم الفكري والنضوج الأدبي والعلمي يسير بهذه البحوث والدراسات نحو الكمال المنشود بخطوات كبيرة .

وكانت الثقافة النقدية البيانية تنمو في القرن الثاني بجهود طبقتين :

١ - الأولى طبقة رواة وعلماء الأدب من البصريين والكوفيين والبغداديين من أمثال : خلف والأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة ويحيى

ابن نجيم وابن كركرة ، وأستاذهم أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعرب^(١) والعربية ، ومن عامة الرواة الذين لا يقفون إلا على البليغ الساحر من الأساليب كما يقول الجاحظ دون النحويين واللغويين والأخباريين . الذين لم يتجهوا هذا الاتجاه^(٢) وبحوار هؤلاء الأئمة الشعراء^(٣) وغيرهم من الخطباء ورجال الأدب الذين تتقفوا بالثقافة العربية .

٢ - والثانية طبقة الكتاب الذين لم ير الجاحظ قوماً قط أمثل طريقة في البلاغة منهم . والذين التمسوا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا سوقياً^(٤) ، ورأى الجاحظ البصر بهذا الجوهر من الكلام فيهم أعم^(٥) ، وحكم مذهبهم في النقد^(٦) ، ومثلهم المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رآهم الجاحظ فوق أكثر الخطباء وأبلغ من البلغاء^(٧) وكان بعضهم من عناصر عربية وتثقفوا بثقافة أجنبية ، والآخرون من عناصر أجنبية تثقفت بالثقافة العربية ، مما كان له أثره في فهم أصول البيان وفي توجيه دراسته وبحوثه وفي الدعوة إلى آراء في الأدب نوائم ثقافتهم وعقليتهم ، وكان بعضهم يلحن مذاهبه الأدبية العامة للتلاميذ وشدة الأدب ، كما نرى في محاضرة بشر بن المعتمر المعتزلي م ٢١٠هـ في أصول البلاغة^(٨) ،

(١) ٢٠٩ : ١ البيان .

(٢) ٢٢٤ : ٣ البيان .

(٣) راجع ٥٤ : ١ البيان .

(٤) ١٠٥ : ١ البيان .

(٥) ٢٢٥ : ١ البيان .

(٦) ٢٤٠ : ١ البيان .

(٧) ١٠٦ : ١ البيان .

(٨) ١٠٤ : ١ وما بعدها البيان ، ١٢٨ وما بعدها صناعتين .

والتي يقول الجاحظ عنها إن بشرأمر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة (١) وهو يعلم الفتيان الخطابة فوقف بشر فظن إبراهيم أنه وقف ليستفيد فقال بشر : اضربوا عما قال صفحاً ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتمميته في أصول البلاغة وعناصر البيان (٢) . ومن رجال هذه الطبقة : أبو العلاء سالم مولى هشام وعبد الحميد الكاتب أو الأكبر كما يقول الجاحظ (٣) وابن المقفع وسهل ابن هرون (٤) والحسن والفضل (٥) ابنا سهل ، ويحيى البرمكي وأخوه (٦) جعفر . وأحمد بن يوسف وعمرو ابن مسعدة وابن الزيات .

-
- (١) بعده الجاحظ من الخطباء الشعراء ٥٥ : ١ البيان .
 (٢) ولبشر كتاب في نظم كليلة ودمثة (٥٨ ابن المقفع لردم) .
 (٣) ١٥١ : ١ البيان .
 (٤) كان سهل يقول : سياسة البلاغة أشد من البلاغة (١٤٤ : ١ البيان .
 ٣٢ : ٣ العقد) .
 (٥) ذكر الحصري كثيراً من يلاغته (١٦ - ١٩ : ٢ زهر) .
 (٦) فوه الجاحظ بيلاغته (٨٥ و ٩١ : ١ البيان ، ٨١ : ٢ زهر الآداب)
 وكان يؤثر الإيجاز (٨١ : ١ البيان ، ١٧٧ : ١ الكامل للمبرد) ، ونسوه
 به سهل بن هارون (١١ : ٢ زهر) .

النقد الأدبي في القرن الثالث

(١)

أخذ النقد الأدبي في القرن الثالث الهجري يستقل بالبحث والتأليف على أيدي النقاد وعلماء الأدب وسواهم : كابن سلام (م ٥٢٣١) ، والجاحظ م ٢٥٥ هـ ، وابن قتيبة م ٢٧٦ هـ ، وابن المدبر م ٢٧٩ هـ ، والمبرد م ٢٨٥ هـ وثعلب م ٢٩١ هـ ، وابن المعتز م ٢٩٦ هـ وسواهم من الأدباء ، وعلماء اللغة وأصحاب الثقافات الحديثة ، وغيرهم من الذين خاضوا في أصول الموازنات والبلاغة وموازن النقد .

(أ) فمن الأدباء النقاد : أبو تمام م ٢٣١ هـ ، ووصيته للبحري حول الشعر وفنه ومذهب الشاعر فيه مثال واضح من أمثلة النقد الدقيقة ، وأصل من أصوله الأولى^(١) ، وله آراء أخرى في النقد مفرقة في شتى المصادر^(٢) ومنهم ابن المعتز^(٣) وسواه .

وتميل هذه الطبقة إلى العناية بأدب وشعر المحدثين ونقدهما وخاصة شعر أبي تمام والبحري . ولعلي بن أحمد المنجم رسالة في العباس بن الأحنف والعتابي والموازنة بينهما^(٤)

(ب) ومن علماء الأدب ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة .

(١) راجع الوصية في : ١٥١ : ١ زهر ، ٢/٢٠٩ الممددة ، ١٦٠ حديفة الافراح لليمني ط ١٢٢٠ هـ ، المطالعة التوجيهية .

(٢) راجع مثلاً ص ١٩٢ طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز .

(٣) ويذكر مندور ان ابن المعتز تأثر أرسطو في كتابه البديع ٤٤ - ٤٧ النقد المنهجي لمندور .

(٤) ٩٢ - ٩٤ : ٤ زهر ، وهي في الموشح ٢٩٢ و ٢٩٣ منسوبة لابي احمد يحيى بن علي المنجم .

١ - أما ابن سلام فبصري راوية عالم بالشعر مؤلف في نقده ، عاش في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري والثالث الأول من القرن الثالث ، ودرس وتثقف وأحاط باللغة والآداب والأشعار ، واهتم بالنقد مع تأثر بروح عصره في الاستيعاب والشرح والتحليل ، وله كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء الإسلاميين^(١) وقد أدمجا في بعض وطبعا من عهد قريب باسم ، طبقات الشعراء ، والمقدمة المطبوعة في أوله هي مقدمة كتاب طبقات الإسلاميين ، يرشد إلى ذلك الكثير من مقدمته كقوله : « ورتبت هذا المؤلف على عشر طبقات كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الإسلام »^(٢) .

وكتابه أول مؤلف في النقد^(٣) كما يقولون ، والصحيح أنه ألف قبله كتب أخرى في موضوع كتابه نفسه ، وبحوث كتابه تشمل ذكر أئمة العربية واتجاهاتهم العلمية ، وتتناول شرح الشعر العربي وأثره ونشأته وتطوره وتنقله في القبائل وانتحاله ، ثم يذكر طبقات الجاهليين العشر وشعراء المرائي وشعراء القرى العربية ، كما يذكر طبقات الإسلاميين العشر ، جاعلاً في كل طبقة أربعة من الشعراء ، مع الدراسة العميقة والتحليل الدقيق والنقد الممتع لرجال هذه الطبقات وحياتهم ومذاهبهم الفنية في الشعر ، والكتاب من مصادر ثقافتنا الأدبية في النقد ، ولا يكاد يستغنى عنه باحث أو دارس ، وهو ضروري في دراسة النقد وجامع لكثير من الآراء فيه ، وقد رواه عن ابن سلام ابن أخته أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ٥٣٠٥ هـ ، والذي يشيد الحصري بأدبه وبلاغته^(٤) .

(١) ١٦٥ فهرست .

(٢) ص ١٦ طبقات الشعراء لابن سلام .

(٣) ١٠٨ : ٢ زيدان ، ٧٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب .

(٤) ٢٥٢ ج ٣ زهر .

٢ - وأما الجاحظ فعلم من أعلام الأدب والنقد والبيان، وفي كتابه «البيان» وسواه من مؤلفاته ثروة كبيرة في النقد الأدبي، فتجده يحلل في دقة وتفصيل مذهب الطمع والصنعة في الشعر^(١) ويشير إلى سرقات أدبية^(٢) وموازنات أدبية^(٣)، ويستجيد بعض آثار الشعراء فيقول مثلاً: «وكان أبو حية أشعر الناس لقوله الخ^(٤)»، ويقول: «من جيد محدث أشعارهم الخ^(٥)»، ويقول: «ومن جيد الشعر قول جرير الخ^(٦)» ويشني على أبي نواس وشعره وخمرياته^(٧)، ويرى أنه ليس هناك مولد إلا وبشار أشعر منه ولا مولد أشعر بعد بشار من أبي نواس^(٨) وأبو نواس عنده أشعر الناس في قوله: «كأن ثيابه أطلعن من أزراره قمرًا»^(٩) ورأى أن بيتي عنبرة «وخلا الذباب بها الخ» من المعاني العظم^(١٠)، ومثله قول أبي نواس «قرارها كسرى الخ»^(١١) وينقد أبا العتاهية ذاهباً إلى^(١٢) أن شعره أملس المتون ليس له عيون الخ،

(١) ٥٤ و ٥٥ و ٦٠ ج ١ ، ٢١ - ٢٦ ج ٢ البيان والتبيين .

(٢) ٨٩ و ١١٦ و ١٧٩ و ٢٥٥ ج ١ البيان .

(٣) ٢٤٢ ج ١ البيان .

(٤) ١٦٦ ج ٢ و ٢٠٥ و ٢٠٦ ج ٢ البيان .

(٥) ١٧٥ ج ٢ البيان .

(٦) ١٣٢ ج ٢ البيان ، وتجد شرحاً لبيت جرير اللذين ذكرهما الجاحظ

في هذا الموضع في ص ٢٠٨ طبقات الشعراء لابن سلام .

(٧) ٤٢ جزء ٤ المعقد الفريد .

(٨) ٩١ ج ١ العمدة .

(٩) ١٨٥ ج ٤ زهر .

(١٠) ١٨٤ ج ٢ البيان .

(١١) ١٦٦ ج ٢ زهر . وراجع شرح البيت في العمدة ٢٧٥ ج ١ وكذلك

ذهب المبرد في الروضة في بيت أبي نواس ، ونقذهما ابن الأثير في ذهابهما إلى أن بيت أبي نواس من المعاني المبتكرة ورأى أنه من المعاني المعتادة وأن فصاحة هذا الشعر هي الموصوفة لا هذا المعنى (١٢٢ المثل

الساثر) .

(١٢) ٥٢ ج ٢ زهر .

ويعجب بقوله « روائع الجنة في الشباب » إعجاباً كبيراً^(١) ويذكر حوار إبراهيم بن عبد الله لأبيه في شعر كثير^(٢) ، وأن الناس كانوا يستحسنون بيت الأعشى « وبات على النار الندي والمخلق » حتى قال الحطيئة :

مضى تأتته تعشوا إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

فسقط بيت الأعشى^(٣) ، وينقد الكميت لقوله في رسول الله :
لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك اللججاج والصخب
كما ينقده لقوله في رثائه :

لقد غيبوا حزماً وعزماً ونائلاً عشية وأراه الصفيح المنصب

لأنه يصلح في عامة الناس^(٤) ، وقد دافعوا عنه بأنه إنما أراد في البيت الأول آل الرسول لا الرسول فروى عنهم بذكر النبي خوفاً من بني أمية^(٥) ويذكر مناهج الرواة^(٦) وتعصب أبي عمرو ابن العلاء على الإسلاميين^(٧) وأن الرواة كانوا^(٨) يحرصون على نسيب العباس بن الأحنف حتى أورد عليهم خلف نسيب الأعراب فعنوا به وزهدوا في نسيب العباس ، والملاحظ ينكر علو المنتصيين على الشعراء المحدثين ، ويرى أنه لو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد ممن كان ، وفي أي

(١) ٢٨ ج ٣ الاغانى ، ٢٦٦ ج ٢ عصر المأمون .

(٢) ١٤٦ ج ٢ البيان .

(٣) ٣٦ جزء ٢ البيان .

(٤) ١٧٢ و ١٧٣ ج ٢ البيان ، ١٧٠ ج ٥ الحيوان ط ١٩٤٢ . ١٤٥ ج ٢

العمدة .

(٥) ٢٠ الموازنة و ١٢٦ ج ٢ العمدة .

(٦) ٢٤٤ ج ٢ البيان و ٤ و ٥ الكشف عن مساوىء المتلى .

(٧) ٢٠٩ ج ١ البيان .

(٨) ٢٢٤ ج ٣ البيان .

زمان كان (١) .. إلى غير ذلك من شتى آرائه في النقد .

٣ - وأما ابن قتيبة فهو عالم ملم بالثقافات في عصره ، مجدد في التفكير ولكنه مع ذلك محافظ كل المحافظة في الأدب ، ينعي على الأدباء انصرافهم إلى المنطق وشغفهم به عما سواه من علوم السدين واللغة (٢) ، ويرى وجوب اتباع منهج المتقدمين في نظم القصيدة (٣) ولكنه مع ذلك لا يتعصب للقديم ولا للمحدث تعصباً أعمى ولكن يعطي كلاً حقه من العدالة والإنصاف وكتاب « الشعر والشعراء » وعلى الأخص مقدمته دراسة عميقة للشعر وأقسامه وعناصره وللطعم والصنعة فيه وللخصوصية بين القدماء والمحدثين ، ولدواعي الشعر ونظمه وأسباب اختلاف شعر الشاعر .

والكتاب مظهر لثقافة واسعة (٤) ، واطلاع واسع وذوق سليم ، وفيه عرض لنحو مائة وصتين شاعراً من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين وصدور المحدثين ، وقد عني في دراسته لهم ببيان مذاهبهم وخصائصهم واتجاهاتهم وذكر آراء النقاد في شعرهم وسرقاتهم وما يستجاد لهم من حكمة أو تشبيه أو وصف وما سبقوا إليه من معان . وسرد الشعراء سرداً دون ترتيب لطبقاتهم أولهم بحسب عصورهم بعكس ابن سلام ، وقد اهتم بدراسة لغة الشعراء وأثر البيئة فيها (٥) وتكلم عن بعض النساء الشاعرات كالخنساء (٦) وليلى

(١) ٤٠ ج ٣ الحيوان وذلك مما يريده ابن المعتز الذي حثم عدالة الحكومة الادبية وحثم الا يدفع احسان محسن عدوا كان أو صديقاً (١٣ و ١٤ رسائل ابن المعتز) . وكذلك رأى ابن قتيبة (٧ و ٨ الشعر والشعراء) ، وابن رشيقي (٧٤ ج ٢ العمدة) .

(٢) ص ٢ أدب الكاتب .

(٣) ١٤ وما بعدها الشعر والشعراء .

(٤) راجع مثلاً شرحه للمشكل من شعر أبي نواس (٢١٥ و ٢١٦ و ٢٢٠ و ٢٢٥ الشعر والشعراء) وسوى ذلك .

(٥) راجع رأيه في عدى وأمية بن أبي الصلت وأبي دؤاد (٦٢ و ٦٩ و ١٧٦ الشعر والشعراء) ، ١٧ ج ٢ الاغاني مثلاً .

(٦) ١٢٢ للشعر وللشعراء .

الأخيلية ^(١) ، وهو حريص على ذكر زلات الشعراء من ناحية العقيدة ^(٢) ، ويعنى بتحقيق نسبة الشعر لقائله عناية كبيرة .

(ج) وأما طبقة علماء اللغة فآثرهم في النقد واضح جليل يتجلى في آرائهم وكتبهم .

وكان هؤلاء كلهم أو جلهم يؤثرون الشعر القديم ، ومنهم : أبو العميل المتوفى ٢٤٠ هـ وابن السكيت م ٢٤٤ هـ ، وأبو حاتم السجستاني م ٢٥٥ هـ ، وأبو الفضل الرياشي م ٢٥٧ هـ ، والسكري م ٢٧٥ هـ . والمبرد م ٢٨٥ هـ وثعلب م ٢٩١ هـ ^(٣) . وأظهرهم أثراً في ذلك المبرد الذي حفظ « الكامل » كثيراً من آرائه في النقد .

وأهم ما في الكامل للمبرد دراسته للتشبيه وعرضه لكثير من شواهد ^(٤) وهذا الباب كله نقد أدبي جيد ، ويذكر المبرد كثيراً من السرقات الأدبية في كتابه ، ويذكر الكثير من آراء القدماء في النقد والموازنة ، ويشيد بابن مناذر ومرثيته « كل حي لاقى الحمام فمودي ^(٥) والمبرد لا يتعصب لتقديم على محدث » ، ويرى أنه « ليس لتقديم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطي كلاماً يستحق » ^(٦) ، ولذلك ضمن كتابه كثيراً من شعر المحدثين . وعقد

(١) ١٧٠ المرجع .

(٢) راجع مثلاً : ٢٢١ و ٢٢٢ المرجع .

(٣) ينقد ابن الرومي الاخفش لعدم خبرته بالنقد ، وذلك في أبياته :

قلت لمن قسال لي : عرضت على	الاخفش ما قلته فما حمده
قصرت بالشعر حين تعرضه	على مين العمى اذا انتقده
ما قسال شعرا ولا رواه فلا	نعلمه كسان لا ، ولا اسده
فان يقل انني رويت فكالدة	ترجها بكل ما اعتقده

(٤) الكامل ص ٢٥ - ١٠١ ج ٢ .

(٥) الكامل ص ٢٨٨ ج ٢ .

(٦) الكامل ص ١٨ ج ١ .

بابين لأشعارهم خاصة ^(١) ، ورأى أنها أشكل بالمعصر ^(٢) ، ويروي شعراً لأبي تمام ويقول : « وليس بتأقصه حظه من الصواب إنه محدث » ^(٣) وذكر مكانة الخنساء ويلي الأخيلية في الشعر ^(٤) ونقد قول الشماخ :

إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشترقي بدم الوتين ^(٥)

وإجماع النقاد على نقد قول نصيب :

أهيم بدعد ما حيت وإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي ^(٦)

ويذكر مجد آل حسان وابن أبي حفصة في الشعر ^(٧) ، كما يذكر بعض المعاني الجديدة في شعر أبي نواس ^(٨) : وبعب ^(٩) قوله : كيف لا يذنيك من أمسل من رسول الله من نفره ويذكر وجهاً لتخرجه .

وعلى أي حال فنقافة اللغويين في النقد كانت قابلة بالنسبة لأدباء الكتاب وعلماء النقد ^(١٠) ، وسئل البحري عن مسلم وأبي نواس أيهما

(١) الكامل ٢٦٠ ج ٢ ، وص ٢٢٢ - ٢٦١ ج ١ .

(٢) الكامل ٢٢٣ ج ١ .

(٣) الكامل ٢٦٠ ج ٢ ، والمبرد مناقشة أدبية بينه وبين ابن درستويه حول معنى لابي تمام (زهر الآداب ص ٢٢٩ و ٢٤٠ ج ٢) .

(٤) الكامل ص ٢٧٩ ج ٢ .

(٥) الكامل ص ٧٧ ج ١ .

(٦) المرجع نفسه ص ١٠٦ ج ١ ، وينكر الجاحظ أن صالح بن نيمان قال : أحق الشعراء الذي قال : « أهيم بدعد - البيت » (البيان ص ٢١٧ ج ٢)

(٧) الكامل ص ١٥٤ ج ١ .

(٨) الكامل ص ٩٤ ج ٢ .

(٩) الكامل ص ٤٣ و ٤٤ ج ١ .

(١٠) راجع كلمة الجاحظ في ذلك في ص ٢ و ٥ الكشف عن مساوي شعر المتنبي .

أشعر فقال : مسلم لأنه يتصرف في كل فن ، فقليل له إن ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ، وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه ^(١) . وقال البحري لصديق له أراد التوجه لأبي العباس ^(٢) ليقرأ عليه شيئاً من الشعر : رأيت أبا عباسكم هذا مما رأيته ناعداً للشعر ولا مميّزاً له ورأيتك يستجيد شيئاً وما هو بأفضل الشعر ^(٣) .

(د) وفي هذا القرن نشأت طبقة المفكرين والمثقفين الذين تنقفوا بثقافات أجنبية واسعة ، وتأثروا كل التأثر بأدب الأمم الأخرى ، وترجموا آراءهم في البيان ومناهجه إلى اللغة العربية . أو ألفوا كتباً تبحث في هذه الاتجاهات ، وهؤلاء قد عاشوا في البيئة الإسلامية ، وأثروا في النقد والأدب. والبيان ودراسه وتطوره تأثيراً واضحاً كبيراً ويمكننا أن نذكر شيئاً عن مجهود هذه الطبقة في خدمة البيان .

أهم عمل علمي قامت به هذه الطبقة هو ترجمة كتابي الخطابة والشعر لأرسطو إلى العربية ، فأما الخطابة فهو أصل كبير من أصول البلاغة ودراساتها وقد « أصيب بنقل قديم ونقله إسحاق بن حنين م ٢٩٨ هـ ، وكذلك نقله إبراهيم بن عبدالله وفسره الفارابي م ٣٢٩ هـ » ^(٤) وأما كتاب الشعر فقد اختصره الكندي م ٢٥٣ هـ ، وترجمه إسحاق أيضاً ^(٥) ، ونقله يعقوب بن عدي ومثى بن يونس في القرن الرابع من

(١) دلائل الاعجاز ص ١٩٥ ، والكشف ص ٥ ، واعجاز القرآن ١٠١ ،
والعمدة ٩ ج ٢ .

(٢) لعله يريد ثعلباً ، وأبو العباس بن المبرد وثلعب .

(٣) الدلائل ص ١٩٥ .

(٤) ٢٤٩ فهرست والدكتور إبراهيم سلامة حوله كتابان : خطابة
أرسطو ، وبلاغة أرسطو بين العرب واليونان .

(٥) راجع ٢٥٠ الفهرست لابن النديم .

السريانية إلى العربية ^(١) . وقد ألفوا في صناعة الشعر ، وللكندي رسالة في صناعة الشعر ^(٢) ، ولأبي زيد البلخي كتاب بعنوان « صناعة الشعر » أيضاً ^(٣) ، وكذلك لأبي هفان ^(٤) . وهناك آراء مأثورة عن هذه الطبقة في النقد وفي البلاغة وفي شتى كتب الأدب ومصادره ويذكر ابن الأثير أن الشعر والخطابة في الأدب العربي لم يتأثرا بثقافة اليونان في الأدب والنقد والبيان ، وينفي أن يكون هو قد تأثر في رسائله وكتابته بما ذكره علماء اليونان في حصر المعاني ، ويذكر أنه اطلع على ما كتبه ابن سينا في الخطابة والشعر فلم يوفق ذوقه ، ورأى أن ما ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئاً ^(٥) .

ويرى باحث محدث أنه كان للبلاغة اليونانية أثر في علم البلاغة العربية ^(٦) ويرى آخر أن أرسطو المعلم الأول للمسلمين في علم البيان ^(٧) وأن الكتاب والمتكلمين الذين عاشوا في القرن الثاني وأثروا

(١) ٣٤٩ و ٣٥٠ فهرست ، ونجد تحليلاً كاملاً للكتاب في (٦٤ - ١٣٦ قواعد النقد الأدبي) وهو لم يصل إلينا كاملاً وليس من شك في أن للكتاب جزءاً ثانياً قد فقد (المرجع ٦٨) ونكاد نجزم بأن أرسطو أراد بكتابه هذا أن يكون رداً على أفلاطون في رأيه الذي ذهب إليه ، وهو أن الشعر عمل غير جدير بمقام الذكاء البشري وأنه من أشد بواعث الفساد (٧١ المرجع) ، ويقول أرسطو في أوله : سأتكلم هنا عن فن الشعر وأنواعه المختلفة ووظائف كل نوع وفي البناء الصحيح للمنظومة وعدد أجزائها وخصائص كل منها » (٧٩ المرجع) وترجمة ابن سينا وابن رشد (٢٤ وما بعدها مقدمة نقد النثر) - وهما ترجمتان رديتان (١٢ فن الادب - المحاكاة لسهير القلماوي) ومن ترجمة متى بن يونس العربية لكتاب الشعر نسخة خطية في مكتبة جامعة القاهرة ، ومن ترجمات كتاب الشعر الحديثة : ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وترجمة احسان عباس ، وترجمة خلف الله وعاطف سلام وقد نشرت ترجمة متى لكتاب الشعر محققة .

(٢) ٣٥٩ فهرست .

(٣) ١٩٨ فهرست .

(٤) ٢٠٧ فهرست .

(٥) ٢٠ المثل السائر .

(٦) ٢٧٧ ج ١ ضحى الاسلام .

(٧) ٣١ مقدمة نقد النثر .

في البيان وتطوره جلهم أعاجم ^(١) وأن متكلمي المعتزلة بتضلهم من الفلسفة اليونانية من مؤسسي البيان العربي ، وأنه حتى منتصف القرن الثالث لم يوجد إلا بيان عربي واحد كان في دور الطفولة وكان خصباً جامعاً للروح العربي والفارسي واليوناني ، ثم وجد من ذلك الوقت بيانان : عربي بحث ويوناني يجهر بالأخذ عن أرسطو ^(٢) حتى العربي البحث تأثر باليونان ^(٣) . ويقرر أن عبد القاهر حين وضع في القرن الخامس كتابه « أسرار البلاغة » لم يكن إلا فيلسوفاً يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه ^(٤) .

ترجم كتاب الخطابة لأرسطو في النصف الثاني من القرن الثالث . وجاء فاستفاد من كتاب الخطابة وفهم منه كل ما يمكن أن ينتفع به وطبقه على الشعر العربي ولا سيما القسم الخاص بالأسلوب ، وكان يجهل كتاب الشعر فترجم المأساة بالمديح والمهزلة وبالهجاء ^(٥) . وقد درس قدامة الفلسفة وخاصة المنطق . على أن تشريع الفلسفة للأدب في رأي الدكتور طه حسين يظهر أول مرة في « نقد الشعر » ثم في « نقد النثر » الذي هو مستمد من آراء أرسطو في الجدل والقياس والخطابة ^(٦) ويحتمل أن المشتغلين بالفلسفة اليونانية اشتروا مع الجماعات الأخرى في خدمة البلاغة العربية واستعانوا بطرق اليونانيين ومناهجهم في دراسات البلاغة والتأليف فيها ، وأن للفرس وما ترجم من قواعد

(١) المرجع ٦

(٢) مقدمة نقد النثر

(٣) ص ١١ المرجع ٠

(٤) ص ١٤ المرجع ٠

(٥) و (٦) ص ٧ المرجع ٠

بلاغتهم أثراً ما في البلاغة العربية ^(١) ، كما يؤيده أبو هلال في الصناعتين ودبوان المعاني .

وفي غالب الظن أن في البلاغة العربية عناصر ثلاثة : عنصراً عربياً وعنصراً فارسياً وعنصراً يونانياً ، ولا شك أن البلاغة العربية حينما بدأ واضعوها في تدوينها قد أفادوا من هذه العناصر الثلاثة في هذا التدوين إلى حد كبير .

ومن عجب أن يزعم زاعم أن أرسطو كان أبا النقد في الآداب الأوربية ، وفي الأدب العربي كذلك ^(٢) ، فذلك هو الخطأ الذي ليس بعده خطأ .

(٢)

وإذا كان أبو تمام قد شغل النقد طول القرن الثالث والرابع الهجري حتى ألفوا في سرقاته ونقده ، وصنف فيه الصولي م ٣٣٦ هـ « أخبار أبي تمام » قاصداً بيان فضل الطائي ^(٣) ووازن الآمدي م ٣٧١ هـ بينه وبين البحرري مع ميل إلى البحرري وتقديم له ، وللحاتمي م ٣٨٨ هـ مناظرة بينه وبين أعرابي متعصباً للبحرري والحاتمي لأبي تمام ^(٤) .

فإن أول من كتب في نقده هو ابن المعتز ، فألف فيه رسالته في محاسن شعره ومساويه ، وقد روى المرزباني جزءاً منها إن لم يكن ما أثبت في كتابه هو كل الرسالة ؛ وقد نشرناها في كتابنا « رسائل ابن

(١) يقول أبو هلال : وكان عبد الحميد الكاتب قد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي الخ .

(٢) راجع ١٧٤ المدخل في النقد الادبي لهلال .

(٣) ١٦ أخبار أبي تمام .

(٤) ٢٠ - ٢٧ / ٣ زهر الآداب .

المعتر «^(١) ، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتر فيما عاب فيه أبا تمام^(٢) ، وللأمدى كتاب في الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام^(٣) .

(٣)

ومن أهم النقاد في القرن الثالث : الناشيء الأكبر (٢٩٣ هـ) ، وهو عبدالله بن محمد أبو العباس (ابن شرشير الأنباري البغدادي) ، كان من كبار النقاد في القرن الثالث وقد توفي في مصر وكان قد هاجر إليها وأقام فيها^(٤) آخر حياته .

وكان شاعراً كذلك في عداد الشعراء المجيدين ، كما يذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان وابن المعتر في طبقات الشعراء ، وغيرهما .

ويذكر ابن رشيق كتاباً له عنوانه « تفضيل الشعر »^(٥) ، ويذكر أبو حيان التوحيدي كتاباً له بعنوان « نقد الشعر »^(٦) .

(١) ٣٠٧ - ٣١٩ الموشح ، ١٩ - ٢١ رسائل ابن المعتر .

(٢) ١٨٨ فهرست ، ٢٠٤ / ٦ معجم الادباء نشر مرجليوث .

(٣) ٨٦ معجم الادباء نشر رفاعي .

(٤) ٤١٧ - ٤١٨ طبقات الشعراء لابن المعتر - ٢١٧ الفهرست لابن النديم - ٩٢ / ١٠ تاريخ بغداد - ٢ / ٢٧٧ وفيات الأعيان - ٨٥ مراتب النحويين ١٠١ / ١١ البداية والنهاية - ٥٧ / ٦ المنتظم - ٦٦ / ٢ أبو الفداء - ٥٨ - ٥٩ / ٣ النجوم الزاهرة ، ١٢٨ / ٢ انباء الرواة - ١٤٠ / ١ - حسن المحاصرة ٢ / ١ العمدة لابن رشيق (محيي الدين عبد الحميد) - وكان الناشيء معزلياً متكلماً .

اما الناشيء الاصغر فهو أبو الحسن علي بن عبد الله (٢٧١ - ٣٦٥ هـ) - ١ / ٢٣٢ يتيمة الدهر - ٢٢٦ الفهرست لابن النديم - ٣ / ٥١ وفيات .

(٥) ٢٠١ / ١ العمدة - تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

(٦) البصائر والنخائر ٢ / ٢٧٢ و ٦١٩ - دمشق .

ويروى أن له قصيدة في فنون العلم والكلام في أربعة آلاف بيت ^(١) ويروي له ابن رشيقي قصيدتين في نقد الشعر ^(٢) .

ويقول التوحيدي عنه : ما أصبت أحداً تكلم في نقد الشعر وترصيفه أحسن مما أتى به الناشيء المتكلم ، وإن كلامه ليزيد على كلام قدامة وغيره ^(٣) .

ويتحدث إحسان عباس عن الناشيء في كتابه « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » ^(٤) . وكتب عنه الدكتور يوسف حسين بكار مقالة في مجلة الأديب اللبنانية ^(٥) .

وعلى الحملة فإن تراث الناشيء النقدي لا يزال مجهولاً لم يكشف عنه بعد .

(١) ١٠١ / ١١ البداية والنهاية .

(٢) ٢ / ١١٣ ، العمدة ٢ / ١١٥ أيضا .

(٣) ٢ / ١١٧ البصائر والذخائر التوحيدي .

(٤) راجع ص ٦٦ من الكتاب .

(٥) عدد يونيو ١٩٧٤ .

النقد في القرن الرابع الهجري

انجبه علماء الأدب في مشرق هذا القرن إلى الكتابة في الأدب والنقد ، ثم مزجوا بحوث النقد والأدب بالبيان ، ثم أفادوا من دراسات النقد فائدة جلى انتقلت بهم إلى البحث في مظاهر البيان ومشكلات البلاغة فاتجه تأليفهم في آخر هذا القرن إلى بحوث البيان نفسه

ونقاد الأدب والشعر في القرن الرابع فريقان فريق كتب ونقد ووازن وحكم متأثراً بذوقه الأدبي وطبعه العربي وثقافته الخالصة من شوائب الثقافات الأخرى التي جرت جداول إلى يمين الثقافة الإسلامية الصميعة المتدفقة ، ومن هؤلاء الخاتمي ٣٨٣ هـ « صاحب الرسالة الخاتمية » في نقد شعر المتنبي وبيان سرقاته من حكمة أرسطو الفيلسوف والحسن بن بشر الآمدي ٣٧١ هـ صاحب الموازنة بين الطائيين ، وعلي ابن عبد العزيز الجرجاني ٣٩٢ هـ صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، وابن وكيع ٣٩٣ هـ صاحب « المنصف » في سرقسات المتنبي وأبو بكر الباقلاني ٤٠٣ هـ مؤلف « إعجاز القرآن » وقبلهم أبو بكر الصولي ٣٣٦ هـ صاحب « أخبار أبي تمام » وأبو الفرج الأصبهاني ٣٥٦ هـ مؤلف كتاب « الأغاني » . وفريق آخر كتب بروح أدبي هذبت فكرته ووسعت أفقه الثقافات الأخرى التي هضمها القرن الرابع وأحالتها غذاء عقلياً لكل من توسع في الدراسة والبحث العميق ، ومن هذا الفريق : جعفر بن قدامة وقدامة بن جعفر ٣٣٧ هـ صاحب (نقد الشعر) وابن العميد ٣٦٠ هـ والصاحب ابن عباد ٣٨٥ هـ صاحب رسالة « الكشف عن مساوئ شعر المتنبي » وأبو حلال العسكري ٣٩٥ هـ صاحب « الصناعتين » و « ديوان المعاني » وهذا الفريق الأخير

يختلف نقده قوة وضعفاً بحسب تمكن الطبع العربي من نفوس رجاله وأعلامه وتتفاوت منازلهم في الإجادة والإحسان بتفاوتهم في الذوق الأدبي الذي يعتد به في الحكومات الأدبية العادلة. ودعنا ممن نقدوا الأدب والشعر بدون تمكن الطبع الأدبي في نفوسهم ، من : النحويين علماء اللغة ، والمعنويين رجال العقل والفلسفة ، الذين جاء حكمهم بعيداً عن الذوق المطبوع والفطرة السليمة. والذين نقدهم اجرجاني في (وساطته) نقداً لا دعماً ، وطرح آراءهم في النقد والبيان فلم يعتد بها ولم يعرها نصيباً من البحث والمناقشة اللهم إلا حيث أراد أن يبرر موقفه منهم فذكر بعض أخطائهم في النقد لتكون حجة له في هذا الإهمال .

ولا شك أن ظهور قدامة في أول هذا القرن ، ورجوعه إلى البيان اليوناني وما فيه من موازين للنقد ومناهج للبيان يلقح بها البيان العربي ويضع بها أسس النقد الأدبي ، جاعلاً لألوان الترف في الأداء التي تمس الفكرة وتسبغ على المعنى حظاً كبيراً في النقد ، كان تطوراً جديداً في بحوث النقد والبيان وكان عقل قدامة المنطقي يغلب ذوقه الأدبي ، فرل أحياناً في نقده من حيث قوم ذوق ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي هلال العسكري أحكام عقولهم في النقد والحكومة الأدبية ، وإن تبعوا منهج قدامة ، وجروا في فهم الشعر وتذوقه ونقده مجراه الذي أوضحه في كتابه « نقد الشعر » والذي يرجع إلى البحث في عناصر الشعر الأساسية من : اللفظ والوزن والقافية والمعنى .

وجاء الأمدي فوضع نظرية عمود الشعر في النقد ونقد قدامة في كثير من آرائه ، بل ألف كتاباً بين فيه أخطائه في نقد الشعر ، وأهداه إلى ابن العميد ^(١) وبالرغم من ذلك كله فقد تأثر كرهاً ببعض آراء قدامة ، تأثر به في فهم عناصر ميزان النقد الأدبي التي حللها حين نقد أبا تمام والبحثري فيما يتصل باللفظ وسلامته والمعنى وصحته والغرض

(١) ٢ / ٥٨ معجم الادباء لياقوت - نشر فريد رفاعي .

واستقامته والأسلوب ومواءمته لأسلوب العرب في الأداء والوزن ،
وملاءمته لموسيقى الشعر وأوزانه . وتأثر به في تنسيق بحثه وموضوعاته
عارضاً للموضوعات التي أثارها ابن المعتز وقدامة . كبحوثه في الجناس
والطباق والاستعارة والتقسيم . مدلياً برأيه مع رجوعه إلى العربية
وحدها في المناقشة والنقد والحكم .

وجاء بعد الآمدي صاحب بن عباد فصار على ضوء أستاذه ابن
العبد في فهم النقد وعناصره وأصوله . ثم جاء القاضي الجرجاني
فوضع منهجاً متميزاً في النقد .

ومن ثم نجد أن النقد الأدبي في القرن الرابع :

- ١ - قد استحال إلى علم له أصوله وقواعده ومبادئه .
- ٢ - كثرت المؤلفات فيه إلى حد كبير .
- ٣ - كانت الموازنات الأدبية أظهر فروع النقد في هذا القرن ،
وأشهرها الموازنة للآمدي .
- ٤ - كثر النقاد في هذا القرن وتعددت آراؤهم في النقد .
- ٥ - كانت مشكلات النقد تثار غالباً عند الحديث عن منزلة
شاعر أو الموازنة بين شاعر وآخر .
- ٦ - تطور النقد فبحث في إعجاز القرآن وأسراره . ثم أخذ
يتحدث عن أصول البيان العربي . حتى استحال بعد ذلك إلى علم
البلاغة الذي وضع أصوله عبد القاهر الجرجاني في كتابه : الأسرار
والدلائل ..

قدامة بن جعفر

(١)

ولد قدامة في البصرة نحو عام ٢٦٠ هـ أو عام ٢٧٦ هـ في خلافة المعتمد العباسي .

وقرأ وتعلم وثقف على والده وعلى المبرد وغيره - واجتهد وبرع في البلاغة والحساب ، وقرأ صديقاً صالحاً من المتعلق وهو لائح على ديباجة تصانيفه واشتهر بالبلاغة ونقد الشعر والكتابة .

عاش في خلافة المعتمد والمعتضد والمكثني والمقتدر العباسي ، وأدرك مطلع حكم آل بويه ، وتولى مجلس الزمام لآل الفرات .

وألف كتباً كثيرة منها : نقد الشعر ، وكتاب السياسة ، وكتاب الحراج (ثمانية منازل وأضاف إليه منزلاً تاسعاً) ، وكتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام ، وكتاب صناعة الجدل ، وكتاب زاد المسافر ، وكتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وغيرها .

وتوفي في بغداد في خلافة المطيع العباسي عام ٢٢٧ هـ .

ظهر قدامة بن جعفر في هذا القرن (٢٦٠ هـ أو ٢٧٦ - ٣٣٧ هـ) فكان له آثار كبيرة في النقد .

وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ^(١) والنقاد الأعلام ، وكتابه نقد الشعر ذو أثر كبير في حركة النقد العربي ونهضته .

فصل قدامة في « نقد الشعر » مذهب في النقد الذي احتذى فيه حذو أرسطو في كتاب الخطابة الذي ترجمه إسحاق بن حنين في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري . ونجد أثر أرسطو واضحاً عند قدامة في كلامه على الصفات النفسية التي جعلها أمهات المضائل وذكر أن المدح الجيد لا يكون إلا بها ^(٢) .

ويرى قدامة أن الرثاء كالمديح في وقوعه بهذه الصفات ^(٣) ، وأن الهجاء ضد المدح ولا يكون إلا بأضدادها ^(٤) ، وهذا وغيره أثر لثقافة قدامة العقلية التي تزل في مواضع الذوق والإحساس والشعور في النقد وفهم الشعر والأدب ، وعناصر الشعر عند قدامة اللفظ والمعنى والوزن والقافية وما تتركب منها ^(٥) .

ثم يذكر أسباب الجودة التي تلحق بكل عنصر من هذه العناصر

(١) ٢٠٣ - ٢٠٥ : ٦ معجم الانبياء لياقوت . ١٨٨ الفهرست . وراجع تاريخ بغداد ٣٤ : ٢ كشف الظنون .

(٢) ٢٩ - ٤١ نقد الشعر بتحقيق « منون » .

(٣) ٥٩ قد الشعر . ١٢٦ الصناعتين .

(٤) ٥٥ نقد الشعر . ويقول عبد الصمد بن المعذل ٢٣٠ هـ : الشعر كله في ثلاث لفظات ، فإذا منحت قلت أنت : وإذا هجوت قلت لست : وإذا رثيت قلت : كنت ١٠٢ : ١ العمدة . وهذا أساس نظرية قدامة . وسار عليها أبو هلال وابن رشيق .

(٥) راجع نقد الشعر ص ١٢ . ومثل ذلك في العمدة ص ٩٩ ج ١ .

في نظم الشعر ويرى أن أضداد هذه الأمور هي أسباب الرداءة في النظم . ويحتم على الشاعر أن ينظم الشعر متبعاً لأسباب الجودة وحذراً من الرداءة وأسبابها ، والناقد يحكم على ضوء هذا النهج نفسه فيري مواطن الجمال والعيب في شعر الشاعر سواء في ألفاظه وأصاليه أو في أوزانه أو قوافيه أو في سوى ذلك مما تركب منها ، فيحكم عليه أو له بالرداءة أو الجودة والإحسان ؛ وهذا نهج عقلي واضح ولكنه في تقييده الشعر بهذه القيود الثقيلة وفي تطبيقه على هذه الأصول التي رسمها في كتابه يخطئ كثيراً .. وقد ألف الآمدي كتاباً في « تبين غلط قدامة في نقد الشعر » وأهداه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقرأه عليه عام ٣٦٥ هـ ^(١) ، كما نقده كثير من علماء النقد الأدب في شتى العصور . فلا ين رشيق كتاب « تزييف نقد قدامة ^(٢) » ولا ابن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ) كتاب « الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه » ^(٣) ، ولعبد اللطيف البغدادي (٦٢٩ هـ) شرح قواعد الشعر لقدامة ^(٤) ، وصماه « التكملة في شرح نقد قدامة » وله كتاب « كشف الظلامنة عن قدامة ^(٥) » .

(٣)

ويقول أبو حيان ^(٦) - في أثناء كلامه على بلاغة النثر - ما نصه :
« وما رأيت أحداً تنهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة ابن جعفر في المترلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير :

-
- (١) معجم الادباء في ترجمة الآمدي ص ٥٨ ج ٢ . وراجع ١٢٥ الموازنة طبعة صبيح .
(٢) ص ٨٨ تحرير التحبير لابن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ) .
(٣) ص ٤٩ كتاب تحرير التحبير .
(٤) ١٠ / ٢ فوات الوقفيات ط ١٢٨٣ هـ .
(٥) كشف الظنون ٢ / عمود ١٩٧٢ .
(٦) ١٤٥ و ١٤٦ ج ٢ الامتاع والموانسة - طبع لجنة التأليف .

عرض على قدامة كتابه سنة عشرين وثلثمائة ، وخبرته فوجدته قد بالغ وأحسن ، وتفرد في وصف فنون البلاغة في المتزلة الثالثة ، بما لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المحتجب والمعيّب المجتنب ، ولقد شاركه فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض ، ولكني وجدته هجين اللفظ ركيبك البلاغة ، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه .. وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم وحسن التصور . فأبو حيان على لسانه حيناً ، وعلى لسان ابن عيسى الوزير حيناً آخر يقرر :

١ - أن قدامة بذ سابقه في وصف النثر وفنون البلاغة من طريق اللفظ والمعنى في المتزلة الثالثة من كتابه .

٢ - أنه بتأليفه هذا الكتاب وابتكاره لبحوثه يضارع الخليل بن أحمد في سمو مكانته وابتكاره لعلم العروض .

٣ - أن كتابه هذا عرض على عليّ بن عيسى الوزير سنة ٣٢٠ هـ .

٤ - أن أسلوب قدامة في كتابه هجين اللفظ ركيبك البلاغة في وصف البلاغة ، واعتذار الوزير عنه في ذلك رائع ممتع دال على مدى مكانة قدامة عند معاصريه من المفكرين ، ولكن ما هو هذا الكتاب الذي استحق هذا التقدير والإعجاب من رجلين يعدان من أعظم رجال الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري وإذا فليس « نقد النثر » هو الكتاب الذي عناه أبو حيان والوزير .

ولعله كتاب آخر - ولا شك - غير « نقد النثر » الذي لا يمت إلى قدامة بصلة ، وغير نقد الشعر ، الثابت النسبة إليه والذي نقده الآمدي وشرحه عبد اللطيف بن يوسف .. وقدامة له - غير « نقد

الشعر - كتاب في صنعة الكتابة ^(١) وهو غير « نقد النثر » ، لأن هذا المرجع قد ذكر نقد النثر ، وجعله مؤلفاً آخر سواه ^(٢) ، وإن كان قد نسبته إلى قدامة ، ويذكر صاحب كشف الظنون أن لقدامة كتاباً اسمه « سر البلاغة في الكتابة » ^(٣) ، وكذلك يذكر اليزدادي في كمال البلاغة أن لقدامة تأليفاً في الكتابة (ص ١٦ كمال البلاغة) .. فليس من المستبعد إذاً أن يكون التوحيدي وعلي بن عيسى الوزير قد قصدا كتاباً من هذين الكتابين : صنعة الكتابة و سر البلاغة ، وقد يكون هذان الإسمان عنوانا لكتاب واحد لقدامة في بلاغة الكتابة ، وعلى أي حال فالذي نراه ونجزم به أن نقد النثر لا يمت إلى أحد الكتابين بصلة ، وليس هو أيضاً من مؤلفات قدامة في البيان ، وما يؤيد ذلك وصف اليزدادي لكتاب قدامة ، وأنه « فصول مستخرجة من رسائل الكتاب الخ » (١٦ و ١٩ كمال البلاغة) .

ولقدامة « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلي بالآستانة ، وقد استخرج دي غويه نبذاً منها وطبعها تحت عنوان « كتاب الخراج » وهذه النبذة هي الأبواب : الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس عشر من المنزلة الخامسة ، والبابان السادس والسابع من المنزلة السادسة وقد وصف ياقوت هذا الكتاب في ترجمة قدامة بقوله : « وله كتاب في الخراج وصناعة الكتابة » رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه ، على تسع منازل ، وكان ثمانية فأضاف إليه تاسعاً ، ويقول المطرزي - في كتاب الإيضاح شرح مقامات الحريري - مخطوطة المتحف البريطاني : « وله تصانيف كثيرة منها كتاب الألفاظ ، وكتاب نقد الشعر ، وهو حسن للغاية طالعه ونقلت منه أشياء . وقيل هو لوالده جعفر . ومنها صناعة

(١) راجع ٢٠٢ ج ٢ كتاب الادب العربي لجورجي زيدان .

(٢) راجع ١٧٢ ج ٢ نفس المرجع .

(٣) راجع ٤٧٠ ج ١ كشف الظنون .

الكتابة ظفرت به وعُثرت فيه على ضوال منشودة ، وهو كتاب يشتمل على تسع منازل ، كل منزلة منها تحتوي على أبواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء ؛ وقال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ٣٣٧ هـ موت قدامة ما نصه : « وله كتاب حسن في الحراج وصناعة الكتابة » .

كتاب نقد الشعر

(١)

أبو الفرج قدامة بن جعفر (٣٣٧ هـ) عالم ناقد بصري مشهور ألف كتاباً سماه « نقد الشعر » طارت شهرته في كل مكان . وصار أصلاً ، لجميع الدراسات النقدية عن الشعر ^(١) .

وقد عرّف قدامة الشعر بأنه قول موزون مقفي يدل على معنى ، وذكر أن الشعر قد يكون جيداً أو رديئاً ، أو بين الأمرين ، وأنه صنعة ككل الصناعات يقصد إلى طرفها الأعلى ^(٢)

ويقول عن منهجه في نقده للشعر : إنه يذكر صفات الشعر التي تبلغه غاية الجودة ، فإن وجد بضد هذا الحال كان شعراً في غاية الرداءة وإلا فهو بين طرفي الجودة والرداءة بحسب مدى قربه من أي الطرفين أو توسطه بينهما .

ويقرر أن المعاني كلها معرضة للشاعر وله أن يتكلم منها فيما أحب ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة ، والشعر منها كالصورة ، والمهم بلوغ الشاعر منزلة الجودة ، لا كتابته في معان رديئة .

(١) لشهرة نقد الشعر ألف الأمدى م ٢٧١ هـ كتاباً في تبين غلط قدامة في كتابه نقد الشعر (ص ١٢٥ الموازنة للأمدى طبعة صبيح ، ومعجم الأدباء في ترجمة الأمدى) - وألف عبد اللطيف البغدادي « ٦٢٩ هـ » كتاباً في شرح نقد الشعر لقدامة « ٧ ج ٢ فوات الوفيات » ، ولعبد اللطيف البغدادي هذا كتاب اسمه قوامين البلاغة ، واختصر كتاب الصناعات العسكري (٧ و ٨ : ٢ فوات الوفيات) ، ويروي مؤلف كشف الظنون لعبد اللطيف بن يوسف البغدادي « هذا كتاباً اسمه « تكملة الصلة في شرح نقد الشعر لقدامة » (٢٤٦ : ١ كشف الظنون) وكتاباً آخر اسمه كشف الظلام عن قدامة « ٤٠٠ : ٢ كشف الظنون » .

(٢) ص ١٢ نقد الشعر شرح « منون » .

ويقرر أن الشعر مؤلف من أربعة عناصر : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ويتألف من هذه العناصر أربعة عناصر أخرى هي :

١ - اتئلاف اللفظ مع المعنى أو الوزن .

٢ - اتئلاف المعنى مع الوزن أو القافية .

أما صفات اللفظ الجيد عنده فهي : سباحة اللفظ - سهولة مخارج الحروف - الخلو من البشاعة - الفصاحة .

وأما صفات الوزن الجيد فهي : سهولة العروض - التصريح .

وأما صفات القوافي الجيدة فهي : عذوبة حروف القافية - سهولة مخرجها - التصريح في المطلع .

وأما صفات المعنى الجيد عنده فهي : الوفاء بالغرض المقصود ، أما الغلو في المعنى فيؤثره قدامة على الإقتصار على الحد الوسط ويقول : إنه عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وحديثاً ، حتى قال بعضهم : أعذب الشعر أكذبه ، وكذلك ذهب فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم ، والغلو من باب الخروج عن الموجود والدخول في باب المندوم ، فالمراد به المثل وبلوغ النهاية في النعت ، ولما كانت المعاني عند قدامة لا نهاية لها فقد عدد نعوت الشعر في أغراض الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورثاء ووصف الخ .

فنعت المدح الجيد عنده هو : الصدق - ويقسم الفضائل الإنسانية إلى أربع : العفة والشجاعة والعدل والعقل ، ويقول : إن المدح المصيب يكون بهذه الصفات أو ببعضها وإن كان ذلك يعد قصوراً ، وقد يصف الشاعر الممدوحين ببلوغ الغاية في هذه الصفات من باب الغلو والمبالغة .. والهجاء ضد المدح في رأيه ، وصفاته ضد صفات المدح ،

ويقرر إنه ليس بين المرتبة والمدحة فرق إلا في اللفظ دون المعنى ،
فإصابة المعنى به ومواجهة غرضه هي أن يجري الأمر فيه على نسيل
المديح .. ثم يذكر نعوت التشبيه الجيد ، والوصف الجيد ،
والغزل الجيد .

ويقول : إن هذه هي نعوت أغراض الشعر التي نحتها الشعراء من
المعاني وهذه الأغراض بالنسبة للمعاني جزء من كل ، فأما ما يعم
جميع المعاني من نعوت الشعر فهي : صحة التقسيم - صحة المقابلة -
صحة التفسير - التميم - المبالغة - التكافؤ - الإلتفات - الإستغراب
والطرافة .

ثم يذكر قدامة نعوت ائتلاف اللفظ مع المعنى من : مساواة ،
وإرداف ، وإشارة ، وتمثيل ، ومطابق ومجانس .

ويعدد نعوت ائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف المعنى والوزن ،
وائتلاف المعنى مع القافية [من ترشيح وإيغال] .

ويذكر عيوب الشعر في اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافية ،
وعيوب ائتلاف اللفظ والمعنى وائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف
المعنى مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية ، وهي كلها بعكس ما
سبق أن قرره في صفات الجودة .

(٢)

والكتاب في غاية الأهمية في بابهِ ، وقد تأثر فيه قدامة بكتاب
[فن الشعر] لأرسطو تأثراً واضحاً .

هل أن قدامة يناقض نفسه حين يذهب إلى أن الشاعر يجب ألا

يمدح أحداً إلا بما هو فيه ^(١) ، ثم يذكر أن الشاعر الموجود في المدح هو من يجمع جميع الفضائل الإنسانية للممدوح .. وحين يرى قدامة أن المبالغة أجود يعود فيقيدها بمنهج العرب ومألفهم ^(٢) ، ثم يقيدها بالألا. نخرج إلى حد الممتنع الذي لا يكون ^(٣) .

وقدامة مع تفضيله للمبالغة يرى أن كثيراً في قوله لعبد الملك : « على أبي العاصي دلاص حصينة » الخ أجود من الأعشى في قوله : « كنت المقدم غير لابس جنة الخ » ، وقدامة مخطيء هنا لأن العرب قد تصف الرجل بالشجاعة ، وقد تصفه بالإحتراس ولبس الدروع ، وذلك منهجان من مناهج العرب في المدح ^(٤) .

وقدامة يحكم عقله المنطقي في النقد إلى أبعد حد ، فيجعل المدح الجيد بذكر جميع الفضائل الإنسانية ، ويعيب المدح إذا كان بشرف الآباء لأنه ليس مدحاً بفضائل ^(٥) ، ويجعل الهجاء بنفي أن يكون الرجل شريف الحسب معيباً ، ويقرر أنه ضد المدح ، ويجعل المراثية هي المدح مع جعل الأسلوب ماضياً وذلك كله خطأ ما بعده من خطأ .

وقدامة يجعل طرافة المعنى واختراعه ليس نعتاً للشعر بل للشاعر ^(٦) وذلك بين الخطأ .

وقدامة يستجيد أبياتاً ويعيب أبياتاً أخرى دون ذوق أدبي مصقول ومن مثل ذلك أيضاً أنه يحمل تناقضاً معيباً في بيت ابن هرمة :

(١) ص ٢٨ نقد الشعر .

(٢) ص ٢٧ سطر ١٠ - ١٢ .

(٣) ص ١٢٥ سطر ١٢ - ١٥ .

(٤) ص ٣٢٨ - ٣٣١ الوساطة .

(٥) ص ١١١ و ١١٢ نقد الشعر .

(٦) ص ٨٨ و ٨٩ المرجع .

تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه : يكلمه من حبه وهو أعجم
لقله « يكلمه » و « أعجم » (١)

ونراه يعيب البيت :

كانت بنو غالب لأمتها كالغيث في بكل ساعة يكف
لأنه كما يقول : ليس في المعهود أن يكف الغيث كل ساعة أي
يمطر (٢) .

وكذلك يثبت التناقض في قول زهير (٣) :

قف بالديار التي لم يعرفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

(٣)

على أن قدامة في كتابه يضع منهجاً نقدياً لنقد الشعر ، متأثراً فيه
بالتقافتين العربية الأصيلة ، والفلسفة اليونانية ، ونهج قدامة في نقد
الشعر نقد عقلي ، فقد صور المثل الأعلى للشعر وما يجب أن يكون عليه
وذلك ببيان عناصر للشعر والأوصاف الجميلة لكل عنصر ، ثم قال إن
هذا المثل الأعلى يرشدنا أولاً وبالذات إلى معرفة جيد الشعر ، وثانياً
وبالتبع إلى معرفة رديئة الذي هو ضد الجيد منه ، وثالثاً معرفة درجة
الرداءة بالنسبة إلى ما كان من الشعر بين الجودة والرداءة .

ولقد اطلع قدامة على الأدب العربي وعلى آراء الفلاسفة في نقد
الشعر وشرع للأدب العربي قوانين جديدة لنقده على ضوء ما قرأ في
النقد اليوناني والعربي ، ولكنه كان متأثراً في ذلك بعقله المنطقي أكثر

(١) ١٢٣ نقد الشعر .

(٢) ص ١٢٦ المرجع .

(٣) ص ١٢٤ المرجع .

من تأثره بمنهج النقاد العرب كالأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم من الذين حكموا الذوق الأدبي وحده والنهج العربي في الأسلوب دون سواه .. قدامة حكم عقله ، وثقافته اليونانية فيما ذكر من موازين النقد فأسرف وأحال .

على أن هذا النهج الذي نهجه قدامة كان أكبر خطوة جريئة لتدوين البلاغة العربية وأصول النقد الأدبي ، وحسبك أن ثلاثة من النقاد العرب احتذوا قدامة ونهجه في النقد احتذاء كاملاً ، وأولهم هو أبو هلال العسكري [٣٩٥ هـ] في كتابه « الصناعتين » وثانيهما ابن رشيق [٤٥٦ هـ] في كتابه « العمدة » ، وثالثهما ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) في كتابه « سر الفصاحة » وقد تأثر علماء البلاغة تأثراً شديداً بقدامة وآرائه في « نقد الشعر » ومنهم عبد القاهر الجرجاني والسيكاكي وسواهم .

ويمتاز قدامة في كتابه بالمنهجية العقلية والعلمية وبتخير الشواهد والمثل .

كتاب نقد الشعر لقدامه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر لإمامه

[مقدمة المؤلف لكتابه]

- (قال أبو الفرج قدامة بن جعفر) :
- العلم بالشعر ينقسم أقساماً :
- فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه .
- وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعته .
- وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته .
- وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصود به .
- وقسم ينسب إلى علم جيده ورديته .

وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة ، فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقاطع وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر ، وما الذي يريد بها الشاعر .

ولم أجد أحداً وضع ^(١) في « فقد الشعر » وتخلص جيده من رديته كتاباً ، وكان الكلام عندي في هذا القسم ^(٢) أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة ، لأن علم الغريب والنحو وأغراض المعاني محتاج إليه في أصل الكلام للشعر والنثر ، وليس هو بأحدهما أولى بالآخر ، وعلمنا ^(٣) الوزن والقوافي وإن خصا بالشعر وحده فليست الضرورة

(١) أي ألف .

(٢) وهو نقد الشعر .

(٣) الأصح : وعلمي بالعطف . على علم ، سابقا .

داعية إليهما لسهولة وجودهما في طباع أكثر الناس من غير تعلم . ومما يدل على ذلك أن جميع الشعر الجيد المستشهد به إنما هو لمن كان قبل وضع الكتب في العروض والقوافي ، ولو كانت الضرورة إلى ذلك داعية لكان جميع هذا الشعر فاسداً أو أكثره ؛ ثم ما نرى أيضاً من استغناء الناس عن هذا العلم بعد واضعيه إلى هذا الوقت فإن من يعلمه ومن لا يعلمه ليس يعول في شعر إذا أراد قوله إلا على ذوقه دون الرجوع إليه فلا يتأكد عند الذي يعلمه صحة ذوق ما تراخف منه بأن يعرض عليه ، فكان هذا العلم مما يقال فيه إن الجهل به غير ضائر وما كانت هذه حاله فليست تدعو إليه ضرورة .

فأما علم جيد الشعر من رديته فإن الناس يخبطون في ذلك منسداً تفقهوا في العلوم ، فقليلاً ما يصيبون ، ولما وجدت الأمر على ذلك ، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخر وأن الناس قد قصرُوا في وضع كتاب ^(١) فيه ، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع فأقول :

(١) هذا يشير إلى أن كتاب قدامة هذا هو أول مؤلف في نقد الشعر كما يرى قدامة .

الفصل الأول

إن أول ما يحتاج إليه في شرح هذا الأمر ^(١) معرفة حد ^(٢) الشعر الجائر عما ليس بشعر ، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز مع تمام الدلالة من أن يقال فيه : إنه قول موزون مقفى يدل على معنى فقولنا « قول » دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر ، وقولنا « موزون » يفصله مما ليس بموزون ، إذ كان من القول موزون وغير موزون ، وقولنا « مقفى » فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع ، وقولنا « يدل على معنى » يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى ، فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئاً على هذه الجهة لأمكنه وما تعذر عليه .

فإذ قد تبين أن ذلك كذلك ، وأن الشعر هو ما قدمناه ، فليس من الإضطراب إذا أن يكون ما هذه سبيله جيداً أبداً ولا رديئاً أبداً ، بل يحتمل أن يتعاقبه ^(٣) الأمران ^(٤) مرة هذه وأخرى هذه على حسب ما يتفق ، فحيثما يحتاج إلى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء .

ولما كانت للشعر صناعة ، وكان الغرض في كل صناعة لإجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال ، إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان ، أحدهما غاية الجودة ، والآخر غاية الرداءة ، وحدوده ^(٥) بينهما تسمى الوسائط ، وكان كل قاصد لشيء من ذلك فإنما يقصد الطرف الأجود ، فإن كان

(١) وهو بيان وجه الحاجة الى معرفة كل من الجيد والرديء ، أو بيان ان من الشعر ما هو جيد ومنه ما هو رديء .

(٢) أي ماهيته .

(٣) أي يتداوله .

(٤) الجودة والرداءة .

(٥) عطف على « طرفان » .

معه من القوة في الصناعة ما يبلغه إياه سمي حاذقاً تام الحذق ، فإن قصر عن ذلك نُزل له اسم بحسب الموضع الذي يبلغه في القرب من تلك الغاية والبعد عنها ، إذ كان الشعر أيضاً جارياً على سبيل سائر الصناعات ، مقصوداً فيه وفي ما يحاك ويؤلف منه إلى غاية التجويد ، وكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء إنما هو من ضعفت صناعته . فإذا قد صح أن هذا على ما قلناه فاندكر صفات الشعر الذي إذا اجتمعت فيه كان في غاية الجودة ، وهو الغرض الذي تنحوه الشعراء بحسب ما قدمناه مسن شريطة الصناعات ، والغاية الأخرى والمضادة لهذه الغاية هي نهاية الرداءة وأذكر أسباب الجودة وأحوالها وأعداد أجناسها ، ليكون ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة بأسرها يسمى شعراً في غاية الجودة ، وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة ، وما يجتمع فيه من الخالين أسباب ينزل له اسماً ^(١) بحسب قربه من الجيد أو من الرديء أو وقوعه في الوسط الذي يقال لما كان فيه : صالح أو متوسط أو لا جيد ولا رديء ، فإن سبيل الأوساط في كل ما له ذلك أن نحدد بسلب الطرفين ، كما يقال مثلاً في الفاتر الذي هو وسط بين الحار والبارد إنه لا حار ولا بارد ، والمز الذي هو وسط بين الحلو والحامض إنه لا حلو ولا حامض .

ومما يجب تقديمه وتوطيده قبل ما أريد أن أتكلم فيه أن المعاني كلها معرضة للشاعر ، وله أن يتكلم منها في ما أحب وأثر ، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة . من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها ، مثل الخشب للنجارة ، والنقطة للصياغة وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى — كان —

(١) الاصح : اسم على بناء « ينزل » للمفعول .

من الرفعة والضعفة ، والرفق والتراخية ، والبذخ والتناعة ، والمدح ^(١) وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة ، أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة .

ومما يجب تقديمه أيضاً أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين ، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً ، بينا غير منكر عليه . ولا معيب من فعله . إذا أحسن المدح والذم ، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته . واقتداره عليها .

وإنما قدمت هذين المعنيين ^(٢) لما وجدت قوماً يعيرون الشعر إذا سلك الشاعر هذين المسلكين ^(٣) . فلاني رأيت من يعيب أمراً القيس في قوله :

فَمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ
فَالْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَاسِمٍ مُحُولٍ ^(٤)
إِذَا مَا بَكَى مَنْ خَلَقَهَا انْصَرَفَتْ لَهُ
بِشَقٍّ وَتَحَى شِقْهَها لَمْ يَحُولِ

ويذكر أن هذا معنى فاحش . وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه ، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته .

وكذلك رأيت من يعيب هذا الشاعر أيضاً ^(٥) في سلوكه للمذهب الثاني ^(٦) الذي قدمته ، حيث استعمله باقتدار وقوة ، وتصرف فيه إحساناً وحذاقة ، وذلك قوله في موضع :

-
- (١) الأصح : والمدح والهجاء .
(٢) وهما : أن المعاني كلها معرضة للشاعر ، وإن مناقضة الشاعر نفسه أمر غير منكر .
(٣) بأن جعل المعاني فيه كلها معرضة للشاعر أو تناقض الشاعر نفسه في كلمتين أو قصيدتين .
(٤) الطروق : الاتيان ليلاً . المرضع : هي التي لها ولد رضيع . محول : أتى عليه حول .
(٥) وهو امرؤ القيس .
(٦) وهو مناقضة الشاعر نفسه في كلمتين .

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاي ولم أطلب قليل من المال
ولكنيما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي^(١)

وقوله في موضع آخر :

فتملاً بيئتنا أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شيع^(٢) وري^(٣)

فإن من عابه زعم أنه من قبيل المناقضة ، حيث وصف نفسه في موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدنيء المعيشة ، وأطرى في موضع آخر القناعة وأخبر عن اكتفاء الإنسان بشيعة وريه .

وإذ قد ذكرت ذلك فلا بأس بالرد على هذا العائب في هذا
ضع^(٤) ليكون في ما احتج به بعد التطريق^(٥) لمن يؤثر النظر في هذا العلم^(٥) [طريق] إلى التمهيد فيه ، فأقول :

إنه لو تصفح أولاً قول امرئ القيس حتى تصفحه لم يوجد معنى ناقض معنى ، فالمعنيان في الشعرين متفقان ، إلا أنه زاد في أحدهما زيادة لا تنقض ما في الآخر ، وليس أحد ممنوعاً من الإتيان في المعاني التي لا تتناقض ، وذلك أنه قال في أحد المعنيين :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاي ولم أطلب قليل من المال

وهذا موافق لقوله :

وحسبك من غنى شيع وري

(١) مؤثّل : ثابت .

(٢) الاقط : اللبن الخاثر أو هو لون من الجبن .

(٣) وهو الثاني (أي المناقضة) .

(٤) طرق له طريقاً اتخذ له وعبد له طريقاً .

(٥) وهو النقد .

ولكن في المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشيء ، وهو ^(١) قوله :
لكني لست أسعى لما يكفيني ولكن لمجد أوئله ، فالمعنيان اللذان ينشان
عن اكتفاء الإنسان باليسير متوافقان في الشعرين ، والزيادة في الشعر
الأول التي دل بها على بعد همته ليست تنقض واحداً منهما . ولا تسخه
وأرى أن هذا العائب ظن أن امرأ القيس قال في أحد الشعرين : إن
القليل يكفيه ، وفي الآخر : إنه لا يكفيه .

وقد ظهر بما قلنا أن هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ، ولا ذهب
إليه ، ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه لم يكن عندي مخطئاً . من أجل
أنه لم يكن في شرط شرطه يحتاج إلى أن لا ينقض بعضه بعضاً ، ولا
في معنى سلوكه في كلمة واحدة أيضاً لم يجر مجرى العيب . لأن الشاعر
ليس يوصف بأن يكون صادقاً . بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من
المعاني كائناً ما كان أن يعيده في وقته الحاضر . لا أن ينسخ ما قاله في
وقت آخر ، ومع ما قدمته فإني لما كنت آخذاً في معنى ^(٢) لم يسبق
إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها ، احتجت أن
أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها ، وقد فعلت ذلك والأسماء
لا منازعة فيها ، إذ كانت علامات . فإن قنع بما وضعته من هذه
الأسماء وإلا فليخترع كل من أبى ما وضعته منها ما أحب . فإنه ليس
يُنَازَعُ في ذلك .

★ ★ ★

وإذ قدمت ما احتجت إلى تقديمه فأقول :

إنه لما كان الشعر على ما قلناه لفظاً موزوناً مقفياً يدل على معنى .
وكان هذا الحد مأخوذاً من جنس الشعر العام له وفصوله التي
تخوزه ^(٣) عن غيره . كانت معاني هذا الجنس والفصول موجودة فيه

(١) أي والزائد قوله .

(٢) وهو وضع ميزان دقيق للنقد .

(٣) تفصله .

كما يوجد في كل محدود معاني حده ، لأن الإنسان مثلاً يحد بأنه حي ناطق ميت ، فحي بمعنى الحياة التي هي جنس الإنسان الموجود فيه ، وهو التحرك والحس ، وكذلك معنى النطق الذي هو فصله مما ليس بناطق موجود فيه ، وهو التخيل والذكر والفكر ، ومعنى الموت الذي في حد الإنسان وهو قبول بطلان الحركة ، وكذلك أيضاً معنى اللفظ الذي هو جنس للشعر موجود فيه ، وهو حروف خارجة بالصوت ، متواطئ عليها ، وكذلك معنى الوزن ومعنى التقفية ومعنى ما يدل عليه اللفظ ؛ فإن كان ذلك كما قلنا فالشعر إنما هو ما اجتمع من هذه الأسباب التي يحيط بها حده ولما كان كل مجتمع وكل مؤلف من أمور ، فالأمور مؤلف من بعضها مع بعض ، يزيد عددها فيه وينقص على حسب كثرة الأمور وقلتها ، وجب أن يكون الشعر أيضاً لما كان مجتمعاً من أسباب أن تكون أقسام تأليف هذه الأسباب بعضها إلى بعض جارياً هذا المجرى ، وأن يكون تعديد هذه التأليفات إذا استوعب وأضيف إلى ذلك عدة الأسباب المفردات من غير تأليف ، فقد أتى على جميع الأسباب التي يجب الكلام فيها من أمر الشعر فأقول :

إنه لما كانت الأسباب المفردات التي يحيط بها حد الشعر على ما قدمنا القول فيه أربعة ، وهي : اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والتقافية وجب بحسب هذا العدد أن يكون لما ستة أضرب من التأليف ، إلا أنني وجدت اللفظ والمعنى والوزن تأتلف ، فيحدث من اثنتانها بعضها إلى بعض معان يتكلم فيها ، ولم أجد للقافية مع واحد من سائر الأسباب الآخر اثتلافاً ، إلا أنني نظرت فيها فوجدتها - من جهة ما أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه - اثتلافاً مع سائر البيت فلما مع غيره فلا لأن القافية إنما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر ، ولها دلالة على معنى لذلك اللفظ أيضاً ، والوزن شيء واقع على جمع لفظ الشعر الدال على المعنى ، فإذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الآخر اثتلاف القافية أيضاً . إذ كانت لا تملأ أنها لفظة

كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع المعنى ، فأما من جهة ما هي قافية فليس ذلك ذاتاً يجب بها أن يكون لها به ائتلاف مع شيء آخر ، إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل فيها إنها قافية من أجل أنها مقطع البيت وآخره ، وليس أنها مقطع ذاتي لها . وإنما هي شيء عرض لها بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ من البيت غيرها ، وليس الترتيب أن لا يوجد للشيء نال يتلوه ذاتاً قائمة فيه ، فهذا هو السبب في أنه لم يكن للقافية من جهة ما هي قافية تأليف مع غيرها . فأما من جهة ما يدل عليه فإن ذلك تأليف معنى إلى ما يتألف ، إلا أني نسبته في هذا الكتاب إلى القافية على سبيل التسمية ، وإن أراد مريد إلى أن ينسب ذلك إلى أنه تأليف معنى القافية إلى ما يتألف معه لم أضايقه ، فصار ما أحدث من أقسام ائتلاف بعض هذه الأسباب إلى بعض أربعة ، وهي :

- ائتلاف اللفظ مع المعنى .
- وائتلاف اللفظ مع الوزن .
- وائتلاف المعنى مع الوزن .
- وائتلاف المعنى مع القافية .

وصارت أجناس الشعر ثمانية ، وهي الأربعة المفردات البسائط التي يدل عليها حده ، والأربعة المؤلفات منها .

ولما كان لكل واحد من هذه الثمانية صفات يمدح بها ، وأحوال يعاب من أجلها ، وجب أن يكون جيد ذلك ورديته لاحقين للشعر إذ كان ليس يخرج شيء منه عنها . فلنبداً بذكر أوصاف الجودة في كل واحد منها ، ليكون مجموع ذلك إذا اجتمع للشعر كان في نهاية الجودة وإذا لم يكن فيه شيء منها كان في نهاية الرداءة لا محالة ، إذ كان هذان الطرفان مشتملين على جميع التعوت أو العيوب التي تذكرها ،

ولما لم يكن كل شعر جامعاً لجميع النعوت أو العيوب ، وجب أن تكون الوسائط التي بين المدح والذم تشتمل على صفات محمودة وصفات مذمومة ، فما كان فيه من النعوت أكثر كان إلى الجودة أميل ، وما كان فيه من العيوب أكثر كان إلى الرداءة أقرب ، وما تكافأت فيه النعوت والعيوب كان وسطاً بين المدح والذم . وتزيلُ ذلك إذا حصر ما في الطرفين من النعوت والعيوب لا يبعدُ على من أعمل الفكر وأحسن سبَرَ الشعر ^(١) .

(١) سبر الجرح : نظر مامدي غوره وكل أمر رزته وجربته وخبرته فقد سبرته .

الفصل الثاني

فلندأ من ذكر الأجناس الثمانية بأولها من الأربعة المفردات ، وهو اللفظ ونذكر نعوت ذلك ، ونعوت سائر الأجناس ، ونجعل هذا الفصل مقصوراً على ذكر النعوت .

١ - نعت اللفظ

أن يكون سمحاً ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة . مثل أشعار يؤخذ فيها ذلك وإن خلت من سائر النعوت للشعر ، منها أبيات من تشبيب قصيدة للحادرة الدبباني وهي :

وتصدقت حتى استبتك بواضح	صلت كتصب الغزال الاتلع ^(١)
وبمقلتي حوراء تحب طرفها	وسنان حرة مستهل المدمع ^(٢)
وإذا تنازعك الحديث رأيتها	حسناً تبسمها لذيد المكرع ^(٣)
كقريض سارية تتمحه الصبا	بتزليل أسحر طيب المستقع ^(٤)
لعب السيول به فأصبح مأوه	عللاً يقطع في أصول الخروع ^(٥)
فسمي ويحك هل علمت بفتية	غاديت لذتهم بأدكن مترع ^(٦)
بكرؤا على بسحرة فصبحتهم	من عاتق كدتم الذبيح مشمشع ^(٧)

-
- (١) السواضح : الابيض اللسان أي يجيد واضح الصلت : الواضح استبتك : أسرتك . الاتلع : الطويل العنق .
 (٢) الحور : اشتداد بياض العين وسوادها . الطرف : العين . وسنان : نائم . حرة : خالصة . ومستهل : هائل . المدمع : المدعوم .
 (٣) المكرع هو الفم .
 (٤) السارية : السحابة تسري ليلاً . أسحر : اسم مكان . الصبا : ريح الشمال وهي باردة .
 (٥) الخروع كدرهم نبت لا يرى .
 (٦) سمي : اسم المحبوبة أدكن : أي ابريق أدكن اللون . مترع : مملوء .
 (٧) العاتق : الخمر القديم . مشمشع : ممزوج .

ومن هذا الجنس قول محمد بن عبدالله السلاماني :

ألا ربما هاجت لك الشوق عرصة^(١) بمروان تمر بها الرياح الزعازع^(٢)
 بها رسم^(٣) أطلال وجثم^(٤) خواشع^(٥) عليهن^(٦) تبكي الهاتفات^(٧) السواجع^(٨)
 وبيض^(٩) تهادى في الرياط^(١٠) كأنها منها ربوة طابت^(١١) لمن المراتع^(١٢)
 تحرين^(١٣) مناً موعداً بعد رقبته^(١٤) بأعقر^(١٥) تعلوه الشروح الدوافع^(١٦)
 فجئن^(١٧) هدواً والسياب^(١٨) كأنها من الطل بلتها^(١٩) الرهام^(٢٠) النواشع^(٢١)
 طروفاً^(٢٢) وألحانا الموى نحو^(٢٣) ربوة فلما قضينا غصة^(٢٤) من عيتاينا^(٢٥)
 جرى بيننا مينا^(٢٦) رسيس^(٢٧) يزيدنا جرئاً^(٢٨) وكان الليل في ذلك ساعة^(٢٩)
 وولين^(٣٠) من وجد^(٣١) بمثل الذي بنا يزجين^(٣٢) بكرأ^(٣٣) يبهز^(٣٤) الریط^(٣٥) متنهـا

-
- (١) العرصة كل بقعة بين الدور ليس بها نبات • تمرها • تدرها •
 الزعازع : الرياح الشديدة الحركة • مروان : موضع •
 (٢) الرسم : الاثر • الجثم : ما تلد في الارض • الهاتفات : هتف
 الحمامة تهتف صائت • السواجع : الصمامة رددت صوتها وجمعها سواجع •
 (٣) وبيض أي ونساء بيض • الرياط : جمع مفردة ريط وهو اللاء اذا
 كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين • المها : البقرة الوحشية • الربوة : ما
 ارتفع من الارض • المراتع جمع مرتع •
 (٤) الرقبة : الانتظار • تحرين : استوثقن • أعقر : الموضع من الرمل
 لا نبات به •
 (٥) الرهام : المطر الضعيف الدائم • النواشع : جمع ناشع من نشع
 اذا امطر قطرة قطرة •
 (٦) طروفا : أي بليل •
 (٧) غصة : جعل العتاب ومرارته كالغصة في الحلق •
 (٨) الرسيس : أول الحب • السقم : المرض • استيقنه المسامع : علمته
 وتحققته •
 (٩) صادع : مشرق •
 (١٠) المدارع : نوع من الثياب الطويلة ودرع المرأة قميصها •

وَقُئِمْنَ إِلَى خُوصٍ كَأَنَّ عِيُونَهَا قَلَّاتُ تَرَائِي مَاؤَهَا فَهِيَ نَاصِعٌ^(١)

ومنه بيتان لشماخ^(٢) يذكر نهيق الحمار :

إِذَا رَجَعَ التَّعْشِيرُ رَدًّا كَأَنَّهُ بِنَاجِيهِ مِنْ خَلْفِ قَارِحِهِ شَجٍ^(٣)
بَعِيدُ مَدَى التَّطَرِّيبِ أَوَّلَى نَهَاقِهِ سَحِيلٌ وَأَخْرَأَ مَخْفِي الْمَحْشَرِ^(٤)

ومنها أبيات بلجهاء الأشجعي :

أَمِنْ الْجَمِيعِ بِذِي الْبِقَاعِ رُبُوعٌ رَأَتْ فَوَادِكَ وَالرُّبُوعُ تَرُوعُ^(٥)
مِنْ بَعْدِ مَا بَلَّيْتُ وَغَبَّرَ آيَهَا قَطْرٌ وَمَسْبِلَةُ الذُّيُولِ خَدِيدٌ^(٦)
جَوَالَةٌ بَرُبِّي الْمَلَا غَزَلِيَّةٌ بِرِغَامِيهِنَّ مَرْبَةٌ زَعَزُوعُ^(٧)
يَا صَاحِبِي أَلَا أَرْفَعَانِي إِنَّهُ يَشْفِي الصَّدَّاعَ فَيُبْذِلُ الْمَرْفُوعُ
أَلْوَا حُ نَاجِيَةً كَأَنَّ قَلِيلَهَا جَذَعٌ تَطِيفُ بِهِ الرِّقَاةُ مَنِيْعٌ^(٨)
تَنْجُو إِذَا نَجَدَتْ وَعَارَضَ أَوْبَهَا أَشْلَاءُ لَحْنٍ مِّنَ النَّيَاطِ خُضُوعُ^(٩)
فِي كُلِّ مَطَرٍ الرِّفَاقُ كَأَنَّهُ نِسْرٌ يُرْتَقُ قَدْ دَمَاهُ وَقُوعُ
عَرِشِنَ دَائِرَةِ الظَّهْرِ بَعْدَ مَا وَغَرْنَ وَالْحَدَقُ الْكَثِينُ خَشُوعُ

(١) خوص : الخوص جمع أخوص والأخوص من غارت عينه فسي راسه • القلت : النقرة في الجبل • ناصع : خالص من كل شيء •

(٢) شاعر مخضرم بنوي مجيد •

(٣) رجع : ردد • التعشير : نهيق الحمار عشرا • الناجذ : واحد النواجد وهي أقصى الاضراس وهي أربعة أو هي الانياب • شج : شجى بالعظم إذا اعترض في حلقه •

(٤) المدى : الغاية • التطريب : ترجيع الصوت وتزيينه • أولى : أول • السحيل : النفاق •

(٥) البقاع : المكان المرتفع •

(٦) أيها • رسمها • القطر : مطر السحاب • مسبلة الذيول : أي سحابة طويلة الحواشي • خديد : حن خدعه أي خنقه •

(٧) جوالاة : طواقة • الرغام : القواب اللين • زعزوع : كثيرة زعزعة الاشياء •

(٨) الناجية : الناقة • الرقاة : جمع مفردة : راق •

(٩) لاح : ظهر • النياط : المفازة البعيدة الطرق •

بأَمْقُ أَغْبَرَ يَكْتُمِي حَتَانُكُهُ . : للريح بين فروعِهِ تَرْجِيع
يَعْتَسُ مَتْرَهْنَ أَطْلَسُ جَائِع طَيَّانُ يَتْلِفُ مَالَهُ وَيَضِيع^(١)

ومثله أيضاً (٢) :

ولما قَضَيْنَا مِنْ مِني كُلَّ حَاجَةٍ . ومَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مِنْ هُوَ مَاسِح
وَشَدَّتْ عَلَى دُهِمِ الْمَهَارِي رِحَالُنَا . ولم يَنْظُرِ الْعَادِي الَّذِي هُوَ رَانِع^(٣)
خَلَدُنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا . وسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ^(٤)

(١) اعتس طاف • الاطلس : الذئب في لونه غيرة الى السواد . والمراد به الرجل القبيح • طيان : طاول الايام بدون اكل •
(٢) الابيات لكثير عزة الشاعر الاموي المشهور •
(٣) دهم المهاري : سودها •
(٤) الاباطح : مفرده ابطح وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى •

٢ - نعت الوزن

أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها وإن خلت من أكثر
نعوت الشعر .. منها قصيدة حسان :

ما هاجَ حَسَانَ رسومُ المقام ومَظَنُّنَ الحَيِّ ومَبْتَى الخِيَامِ (١)
والنَّوَى قَدَ هَدَمَ أَعْضَادَهُ تَقَادُومَ العَهْدِ بِوَادِ تِهَامِ (٢)
قَدَ أَدْرَكَ الوَاشُونَ مَا أَمَلُوا فَالْحَبْلُ مِنْ شَعَثَاءِ رِثْ الزَّمَامِ (٣)
كَأَنَّ قَامَا ثَغَبٌ بَارِدٌ فِي رَصْفٍ نَحْتِ ظِلَالِ الغَمَامِ (٤)

ومنها قصيدة طرفة :

مَنْ عَائِدِي اللَّيْلَةِ أَمْ مِنْ نَصِيحِ بَيْتٌ بَنَصَبِ فَنَوَادِي قَرِيحِ (٥)
بَانَتْ فَأَسَى قَلْبُهُ هَائِماً قَدَ شَفَّهَ وَجَدَ بِهَا مَا يَرِيحِ (٦)
فِي سَلَفٍ أَرَعْنَ مُنْفَجِرِ يَقْدُمُ أَوَّلَى ظَعْنِ كَالطَّلُوحِ (٧)

-
- (١) رسوم : جمع رسم وهو ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الديار .
مظنن : مصدر ميمي من ظعن أي سار ورجل . والحي : بطن من بطون
القبيلة والمراد به هنا القوم . ومبني الخيام : بناؤها أو مكان بنائها وإقامتها .
(٢) النوى الحفر حول الخباء لئلا يدخل ماء المطر . أعضاده : نواحيه .
تهام : تهامى نسبة إلى تهامة . وتهامة مكة وبلاد جنوب الحجاز .
(٣) رث : خلق بال شعثاء : محبوبته .
(٤) الثغب : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه .
الرصف : الحجارة المترصقة المتدانية .
(٥) عائدي : العائد : زائر المريض . قريح بمعنى مقروح أي مجروح .
(٦) ما يريح : ما يتباعد .
(٧) منفجر : متدفق في سيره . يقدم : يتقدم . طلوح : جمع مفردة
طلع وهو شجر شبه الظعن به .

عَالِينَ رَقْمًا فَاخِرًا لُونَهُ مِنْ عِبْقَرِي كَتَجِيع الدَّبِيعِ^(١)

ومثله أبيات المنخل بن عبيد الشكري :

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ الْخَدَرَ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ^(٢)
 الْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرْفُلُ فِي الدَّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ^(٣)
 فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشَى الْقَطَاةُ إِلَى الْغَدِيرِ^(٤)
 وَعَطَفْتُهَا فَتَعَطَفَتْ كَتَمَطَفِ الْغُصْنِ النَّضِيرِ^(٥)
 وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ كَتَنَفَسِ الظُّبْيِ الْغَرِيرِ^(٦)
 وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَا مَةً بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ^(٧)
 فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنِّي رَبُّ الْخُورْنَقِ وَالسَّادِرِ^(٨)
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي رَبُّ الشُّوْبَةِ وَالْبَعِيرِ^(٩)

ومثله أبيات كمب بن الأشرف اليهودي :

رُبُّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَبَطَ الْمَثِيَّةَ أَبَاءَ أَنْفِ^(١٠)
 لِيْنُ الْجَانِبِ فِي أَقْرَبِهِ وَعَلَى الْأَعْدَاءِ مِمُّ كَالزَّرْعِ^(١١)

-
- (١) عالين رلعم والرقم : ضربا من الوشي فيها حمرة • فاخرا جيدا •
 عبقر : بلدة الجن كما يزعم العرب وينسب اليها كل صنعة رائعة • النجيع :
 الدم الطري • الذبيح : المذبوح •
 (٢) المطير : اليوم الذي يمطر ساعة ويكف أخرى •
 (٣) الكاعب : ذات الثدي المكعب • ترفل : تجر ذيلها • الدمقس :
 الابريس •
 (٤) الغدير جانب من المساء يفادها السيل •
 (٥) عطفتها : أملتها • فتعطفت : مالت على الغصن • النضير :
 الشديد الخضرة •
 (٦) لثمتها : قبلتها • الغرير ولد الظبي الصغير • تنفست الصعداء
 لموضعي من قلبها •
 (٧) كنا به عن كثرة شرايه •
 (٨) الخورنق : قصر للنعمان الاكبر • السدير : نهر بناحية الحيرة •
 (٩) الشوبية : تصغير شاه •
 (١٠) سبط : حسن •
 (١١) الزرع : القاتل •

لنا بُرٌّ رَوَاءَ جَمْعَةٍ تُعْجِزُ الشَّمْلَ كَأَمْثَالِ الْأَكْفِ (١)
وَصَرِيرٍ مِنْ مَجَالٍ خِلْتُهُ آخِرَ اللَّيْلِ أَهَازِيحُ تَدْفُ (٢)

★ ★ ★

ومن نعوت الوزن التبرصيع ، وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم ، فمما جاء في أشعار القدماء قول امرئ القيس الكندي :

مِخْشٌ مَجْشٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَتَبَ ظَبَاءُ الْخَلْبِ الْعَدَوَانَ (٣)

فأنى باللفظتين الأوليين مسجوعتين في تصريف واحد وبالتاليتين لهما شبيهتين بها في التصريف ، وربما كان السجع ليس في لفظة « ولكن » في لفظتين بالحرف نفسه كقوله :

أَلَسَ الضَّرُوسُ حَتَّى الضَّلُوعُ تَبُوعٌ طُلُوبٌ نَشِيطٌ أَشْرُ (٤)

وقصيدة أخرى سجع في لفظتين لفظتين بالحرف نفسه مثل قوله :

وَأَوْتَادُهُ مَآذِيَّةٌ وَعَمَادُهُ رُؤْيِيَّةٌ فِيهَا أَسْنَةٌ تَعْضِبُ (٥)

وقال زهير بن أبي سلمى :

(١) رَوَاءَ : كثير مَرَوْ . الشَّمْلَ : المكر .

(٢) وَصَرِيرٍ : وَرِبٌ صَرِيرٌ . الْهَزَجُ : صوت مطرب فيه ثَرم .

(٣) الْمَجْشُ : الجريء الماضي . مَجْشٌ : غليظ الصوت . الْقَيْسُ : فحل الظباء . الْخَلْبُ نبتة تأكلها الوحوش تضمخ عليها بطونها . الْعَدَوَانُ : الشديء الجريء وأمرؤ القيس هو زعيم الشعراء الجاهليين وصاحب معلقة « قفا نيك » .

(٤) أَلَسَ الضَّرُوسُ : ملتصق الاسنان بعضها ببعض . حَتَّى الضَّلُوعُ : ظاهرها تبوع للصيد قوى عليه .

(٥) الْمَآذِيَّةُ : قليل بيضاء وقيل الماضي خالص الحديد وجيده . أَسْنَةٌ : رماح تعضب : تقطع .

كبداء مُقبلةٌ وركاء مديرةٌ قوداء فيها إذا استعرضتها خضع

فأني بفعلاء مفعلة تجنيساً للحروف بالأوزان .. وقال أوس بن

حجر :

جشاً حناجرها علما مشافيرها تن أولادها في دحيس إيفاح^(١)

وقال طرفة :

بطيء إلى الداعي سريع إلى الخنا ذلولٌ بإجماع الرجال ملهد^(٢)

وقال عمرو بن أحمر الباهلي :

فمثلك ألوى بالقواد وزار بالعداد وأضحى في الحياة وأسكرا^(٣)

وقال النمر بن تولب :

من صوب سارية علت بغادية تنهل حتى يكادُ الصبحُ ينجاب^(٤)

وقال :

طويلُ الذراع قصيرُ الكراع يواشك في السبب الأخير^(٥)

وقال اللعين المنقري :

مكيثٌ إذا استرخى كيش إذا انتحى على القرب الأقصى وشد له الأزار^(٦)

(١) الكبداء : المرأة الضخمة « الوسط » البطيئة السير • القوداء :
الثنية العالية •

(٢) جشاً حناجرها : غليظة شديدة • علما مشافرها : مشقوقة المشافر
من أسفل •

(٣) بطيء : فعيل من البطء • الداعي : المستغيث ، ويروى عن الجلي
وهو الأمر العظيم • الخنا : الفحش • ذلول : فعول من الذل : ملهد : مدفع •
وطرفة هو الشاعر الجاهلي المشهور صاحب معلقة « لخولة أطلال » •

(٤) فمثلك ألوى بالقواد : أي مثلك يذهب به • وزار بالعداد : زيارتك
معدودة •

(٥) الصوب : انصباب المطر • السارية : السحابة تسقط ليلاً • علت
استزجت • الغادية : الآتية بالغداة • تنهل : تسقط • ينجاب • ينكشف •

(٦) الكراع : الأطراف السفلى من الإنسان • يواشك : يقارب •
السبب : المفازة أو الأرض المستوية البعيدة •

(٧) المكيث : الوزين • الكميش : السريع •

وقال الأسود بن يعفر :

هم الاسرةُ الدنيا وهم عدد الحصا وإخواننا من أمتنا وأبينا

وقال أبو زبيد الطائي :

غير فاشٍ شتماً ولا غلف طعماً إذا كان بالسديف السبيك^(١)

وقال الافوه الأزدي :

سودٌ غدائرها بلجٌ محاجرُها كأن أطرافها لما اختل الطنف^(٢)

وقال العجير بن عبدالله السلوي :

حمّ الذرى مرسله منه العرى وزجلات الرعد في غير صعق^(٣)

وقال سليك بن سلكة :

إذا سهلت جنت وإن أحرنت مشت وتعشى بهابين البطون وتصدف^(٤)

وقال الشماخ

رعين الندى حتى إذا وقده الحصى ولم يبقَ من فوه السماء بُروق^(٥)

(١) السديف : شحم السنام • السبيك : مفرد جمعه سبائك وهو ما سبك من الدقيق ونخل فأخذ خالصه • وأبو زبيد شاعر مخضرم أجاد في وصف الاسد وتوفي عام ٤١ هـ •

(٢) الغدائر : الشعر الطويل بلج محاجرها : نغية مشرقة والمحاجر ما بدا من البرقع أو ما يظهر من نقابها •

(٣) زجلات الرعد : أصوات الرعد : الصعق : محركة شدة الصوت •
(٤) سهلت : مشت في السهل • جنت : أسرعت • أحرنت : سارت في الجبال • البطون : الشقوق بين الجبال •

(٥) رعين : من الرعى • والندى: المطر والمراد به ما أنبتة مجاز مرسل ووقد الحصى : اشتداد حرارته • النوء : في الاصل النجم ، والمراد به انقطاع المطر لان العرب يضيقون المطر الى النجوم السماء : نجم وهو احد السماكين • بروق : جمع برق وهو الذي يلعب في الغيم •

وقال عبيد الراعي :

ضعافُ القوى ليسوا كمن يبني العُلَى جعاسيسُ قصَّارون دون المكارم^(١)

وقال - أيضاً : ١

سودٌ معاصمها جعدٌ معاقصها قد مسَّها من عقيد القار تفصيل^(٢)

وقال بشامة بن عمرو بن الغدير :

هوانُ الحياة وخزى الممات وكلاءُ أراه طعاماً وببلا^(٣)

وقالت ليلى الأخيلية :

وقد كان مرهوبَ السنان وبين اللسان ومجذام السرى غير فاتر^(٤)

وقال ناهض بن توبة الكلابي :

صخبُ الصدى ظمأى القطا مرَّة السرى

ركبا مأوها بين النعام الخراش^(٥)

وأكثر الشعراء المصيبين من القدماء والمحدثين قد غزوا هذا المغزى^(٦) ، ورموا هذا المرمى وإنما يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به . فإنه ليس في كل موضع يحسن ولا على كل حال يصلح ، ولا هو أيضاً إذا تواتر واتصل

(١) الجعاسوس : القصير الدميم . والراعي شاعر اموي مشهور ، توفي عام ٩٠ هـ .

(٢) المعصم : موضع السوار من اليد أو اليد . جعد معاقصها : أي قصيرة .

(٣) هوان الحياة : ذلها .

(٤) مرهوب السنان : ماضي السيف : بين اللسان : فصيحه . ومجذام السرى : قاطع السرى - والبيت في رثاء توبة الخفاجي (٦٧ هـ) - وقد عاشت ليلى حتى توفيت عام ٨٠ هـ - وهي اعلام الشعراء الامويين .

(٥) صخب الصدى : شديدة

(٦) أي قصدوا هذا المنحى .

في الأبيات كلها بمحمود ، فإن ذلك إذا كان دل على تعمد وأبان عن تكلف . على أن من الشعراء القدماء والمحدثين من قد نظم شعره كله ، ووالى بين أبيات كثيرة منه . منهم أبو صخر الهذلي فإنه أتى من ذلك بما يكاد لحودته أن يقال فيه إنه غير متكلف ، وهو قوله :

وتلك هيكلة خود ^(١) مُبْتَلَة	صفراء رعبلة في منصب سم ^(١)
عذب ^(٢) مقبلها جذل مخلخلها	كالدعص أسفلها مخضودة القدم ^(٢)
سود ^(٣) ذوائبها بيض ^(٣) ترائبها	محض ^(٣) ضرائبها صيفت على الكرم
عبل ^(٤) مقيدها حال مقلدها	بض ^(٤) مجردها لفاء في عمم ^(٤)
سمح خلانقها درم ^(٥) مرافقها	يروى معانقها من بارد الشيم ^(٥)
كان معتقة ^(٦) في الدن مغلفة	صهباء مصفقة من رابىء ردم
شيت بمرهية ^(٦) من رأس مرقبة	جرداء سلهية في حائق شمم
خالط ^(٧) طعم ثناياها وريقنتها	إذا يكون ^(٧) توالى النجم كالنظام ^(٧)

ومنهم أبو المثلث أنه قال :

لو كان للدمر مال^(٧) كان مثله لكان للدمر صخر مال فتیان^(٧)

-
- (١) الخود : الحسنه الخلق الشابه . والمبتلة من النساء الحسنه الخلق فلا تكون حسنة العين سمجة الانف ولا بالمكس . رعبلة ذات خلجان . منصب حسب . سم : عال .
- (٢) عذب مقبلها أي محل تقيلها وهو الفم . مخلخلها : موضع الخلخال من الساق يوضع فيه الخلخال : الدعص : الرمل . مخضودة القدم : مزينته .
- (٣) الذوائب : الشعر في أعلى الجبهة الترائب : الصدور . أو ما تحت العنق . محض ضرائبها : خالصة الاخلاق .
- (٤) عبيل : ضخم . المقيد : موضع الخلخال من المرأة . البض : الجسد الرقيق الجلد الممتلىء . مجردها عند تجردها .
- (٥) درم مرافقها : مستوية مرافقها : بارد الشيم : البارد يقال ماء شيم أي بارد .
- (٦) الثنايا : الرقيق . إذا يكون توالى الخ أي في هذا الوقت . شيت : مزجت . المرهية : الماء البارد . المرقبة : المكان العالي .
- (٧) المتلد : المال القديم .

آبى الهضيمة ناء بالعظيمة متلاف الكريمة جلد غير ثنيان^(١)
 حامي الحقيقة بسال الودعة معتاق الوسيقة لا نكس ولا واني
 رباء مرقبة متاع مغلبة وهاب سلهبة قطاع أقران^(٢)
 هباط أودية حمّال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان^(٣)
 يعطيك ما لا تكاد النفس ترسله من التلاد وهوب غير منان^(٤)

ومثل ذلك للمحدثين أيضاً كثير : وإنما يذهبون في هذا الباب إلى المقاربة بين الكلام بما يشبه بعضه بعضاً ، فإنه لا كلام أحسن من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كان يتوخى فيه مثل ذلك ، فمنه ما روى عنه عليه السلام من أنه عوذ الحسن والحسين عليهما السلام فقال « أعبذهما من السامة والهامة وكل عين لامة » ، وإنما أراد ملمة فلا تباع الكلمة أخواتها في الوزن قال لامة ، وكذلك ما جاء عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : خير المال سكة مأبورة ، ومهرة مأمورة ، فقال مأمورة من أجل مأبورة ، والقياس مؤمرة وجاء في الحديث : « يرجعن مأزورات غير مأجورات » وإذا كان هذا مقصوداً له في الكلام المنشور فاستعماله في الشعر الموزون أقمن وأحسن .

-
- (١) آبى الهضيمة : ياباها : ناء بالعظيمة : حامل لها ، الكريمة : النفيس من المال . جلد غير ثنيان : قوى متين .
 (٢) الرباء : الرقيب الذي يتقدم القوم لئلا يدهمهم العدو . المرقبة : المروض المشرف يرتفع عليه الرقيب : السلهبة : الخيل . قطاع أقران : غالب لأقرانه وانداده .
 (٣) هباط : صيغة مبالغة أودية أي كثير الهبوط فيها . ألوية : جمع لواء وهي الراية التي تكون في مقدمة الجيش ، والمعنى أنك تجده في كل مكان يدل على الشجاعة والكرم وعلو الهمة . والمرخان : الذئب .
 (٤) التلاد : المال القديم يورث . منان : صاحب من على الناس .

٢ - نعت القوافي

أن تكون عذبة الخرف سلسة المخرج . وأن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها^(١) . فإن الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك . ولا يكادون يعدلون عنه . وربما صرعوا أبياتاً آخر من القصيدة بعد البيت الأول . وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بخره . وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر فمنه قوله :

فما نبتك من ذكرى حبيبٍ ومترل بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(٢) .

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات فقال :

أفاطيس مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجمل^(٣)

ثم أتى بأبيات بعد هذا البيت فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل^(٤)

وقال في قصيدة أخرى أولها :

ألا انعم صباحاً أيها الظل البالي وهل ينعم من كان في العصر الخالي^(٥)

(١) ويسمى هذا تصريماً ، وهو الحاق العروض بالضرب وزناً وتقفيه سواء بزيادة أو بنقصان .

(٢) فقا : خطاب للأثنين أي لصديقيه لمعاونته في بكاء الاطلال والوقوف عليها . اللوى : ما النوى من الرمل . وسقط اللوى : منتهاه وهو مثلث السين . والدخول وحومل مكانان يقع بينهما سقط اللوى وفيه منزل الحبيب . (٣) أزمع الامر وأزمع عليه اذا ثبت عزمه على امضائه . الصرم : الهجر والقطيعة الاجمال : الرفق .

(٤) أمثل : أفضل ، يذكر أن همومه وأحزانه موصولة فليس الصبح خيراً من الليل .

(٥) الا انعم صباحاً : تحية الصباح في الجاهلية ، وكانوا يقولون في المساء . الا انعم مساءً ، وبالليل ظلاماً ، ثم جاء الاسلام فأبطل هذا مما أبطله من الالفاظ الجاهلية ، وبديل بدلها كلمة « السلام عليكم » .

وقال بعد بيتين :

ديارٌ لِسلمي عافياتٌ بذِي الحالِ أَلحَ عليها كلُّ أسحَمٍ هطّالٍ^(١)

ثم قال بعد أبيات أخرى :

أَلا إِنّني بالٍ على جملٍ بالي يَقودُ بنا بال ويتبعنا بالي^(٢)

وقال في قصيدة أخرى أولها :

غشيتُ ديارَ الحَيِّ بالبكراتِ فعارمةٌ فبرقةٌ العيراتِ^(٣)

ثم قال بعد بيتين :

أعني على التَّهَمامِ والذِّكراتِ يبتن على ذي الهمِّ مُعْتَكِراتِ^(٤)

وقال في قصيدة أخرى أولها :

عيناك دمعُهما سجالٌ كأنَّ شأنِهما أوْشالٌ^(٥)

وقال بعد أبيات :

قلُوبٌ خِزَّانَ ذِي أوْرالٍ قُوتًا كما تُرْزَقُ العيالُ^(٦)

(١) عافيات : دارسات • وذوخال : موضع ، يذكر أن ديارها بليت لاستمرار سقوط المطر عليها • الاسحَم : الاسود ، والمراد به السحاب الكثير الماء • الهطال : المطر الدائم في لين يريد أن هذه الدار فقيرة ودرست بدوام المطر عليها •

(٢) بال أي أنه مضني بلاء الحب •

(٣) غشيت : جئت • البكرات : أعلام بطريق مكة • عارمة : مكان • برقة : البقعة التي يخالط حجارتها السود رمل • العيرات : الحمر الوحشية • (٤) التهَمام : تقعال من الهم • والذِّكرات : جمع ذكرة من التذكير •

معْتَكِرات : منصرفات • ذوالهم : أي صاحب الحزن الطويل •

(٥) سجال جمع سجل وهو الدلو العظيم مملوء ماء • شأنِهما : جانبيهما أو مجاري الدموع منهما • أوْشال جمع وشل وهو الماء يتحدر من أعالي الجبال بكثرة •

(٦) الخِزان : ذكور الارانب جمع خزن • أوْرال : صاحب ورل والورل : دابة كالضب •

وقد سلك هذا السبيل غير امرئ القيس شعراء كثيرون
فمنهم أوس [بن حجر] قال في قصيدة أولها :

ودع ليس وداع الصَّارم اللّاحي قد نثمت في فسادٍ بعد إصلاح^(١)

ثم قال :

إني أرقّت ولم تأرقْ معي صاحبي لمُستكين بعيد النّوم لوّاح^(٢)

ومنهم مرقش قال في قصيدة أولها :

أمن رسم دار ماء عينك يسفحُ غداً من مقام أهله وتروحوا^(٣)

ثم قال :

أمن بنت عجلان الخيال المطرح ألمّ ورحلى ساقط متزحزح^(٤)

وقال حسان بن ثابت قصيدة أولها :

ألم تسأل الربع الحديد التّكلما بمدفع أشداخٍ فبرقة أظلما^(٥)

وقال في البيت التالي لهذا :

أبى رسم دار الحي أن يتكلما أينطقُ بالمعروف من كان أبكماً^(٦)

(١) اللّمس : المرأة اللينة الملمس .

(٢) المعنى لم تشاركني في أرقى يا صاحبي .

(٣) رسم الدار : انارها : يسفح : من سفح الدمع ارسله سفحاً
وسفوحاً ، والدمع سافح : منصّب .

(٤) بنت عجلان محبوبته . الخيال : مبتدأ مؤخر . المطرح ، يروى
ببلة : المبرح . الشديد : التبريح .

(٥) أشداخ : واد . والمدفع : مجرى سيوله . وبرقة أظلما : موضع .

(٦) رسم الدار : انارها .

وقال الشماخ قصيده أولها :

ألا نادياً أظعان ليلى تعرج فقد هيجن شوقاً ليتها لم يهيج^(١)

ثم قال بعد أبيات :

ألا أدلجت ليلاك من غير مدلج هوى نفسها إذ ادلجت لم تخرج^(٢)

وقال عبيد بن الأبرص قصيدة أولها :

أففر من أهله ملحوب فالقُطبيات فالذنوب^(٣)

ثم قال بعد أبيات :

أرض توارثها شعوب فكل من حلها محروب^(٤)

ثم قال بعد أبيات :

والمرء ما عاش في تكذب طول الحياة له تعذيب

وقال الراعي قصيدة أولها :

أبت آيات حي أن تينا لنا خبراً فأبكين الحزينا^(٥)

وربما أغفل بعض الشعراء التصريح في البيت الأول فأنى به

(١) نادياً : خطاب لرفيقه . الاظعان : جمع ظعينة وأكثر ما تطلق على المرأة في هودجها ثم أطلق على الهودج ثم المرأة بلاهودج . تعرج : تحبس مطاياها وهو جواب لنادياً . هجن شوقاً : حركته . والشماخ شاعر مخضرم مجيد - توفي عام ٢٢ هـ .

(٢) أدلجت من الادلاج وهو السير آخر الليل . والشماخ شاعر أموي مشهور . هوى نفسها : مفعول له . لم تعرج : لم تعطف .

(٣) ملحوب : اسم موضع . القطبيات : ماء بعينه وجمعه بما حوله . الذنوب : اسم موضع بعينه .

(٤) الشعوب : المثنية . المحروب : المسلوب المال . وعبيد : شاعر جاهلي مشهور .

(٥) آيات : جمع مفردا آية وهي العلامة ووزنها فعلة في قول الخليل وعند غيره أصلها فعلة بفتح الفاء والعين . والراعي : شاعر أموي مجيد .

في بعض من القصيدة فيما بعد . قال عمرو بن أحمر الباهلي
قصيدة أولها :

قد بكرت عاذلي بكرة^١ تزعم أني بالصبا مشتهر

فلم يصرع أول القصيدة وأتى بيتين بعد الأول ثم قال :

بل ودعيني طفل أتى بكر فقد دنا الصبح فمّا انتظر

وقال أيضاً من قصيدة أولها :

لعمرك ما خلقت إلا لما ترى وراء رجال أسلموني لما بيا^(١)

فأتى بالأول غير مصرع ثم قال بعد أبيات :

فأمسى جناب الشول أغبر كابيا وأمسى جناب الحي أبلج واريا^(٢)

وقال أمية بن حرثان بن الأسعر الكناني قصيدة أولها :

أصبحت هزءاً لراعي الضان أعجبه ماذا يرريك مني راعي الضان^(٣)

فلم يصرع أول بيت وأتى بعده بيت واحد قال فيه :

يا بني أمية إنني عنكما غاني وما الغنى غير أنني مُشعر^١ فإني

ولنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك لأن بنية
الشعر إنما هي التسجيع والتقفية ، فكلما كان الشعر أكثر
اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب
الشعر .

(١) خلقت : تأخرت عن الرجال في الطريق .

(٢) الجناب : الناحية . الشول : الناقة التي جف لبنها وارتفع ضرعها
واريا : متقدماً . كابيا : من كبا لونه كمد ، وكبا تغير ، ورجل كابي اللون
عليه غبرة ، والاسم من ذلك الكبوة . أبلج : مضيئاً ظاهراً .

(٣) هزءاً : سخريه واضحوكة : والمعنى : ما بي من الكبر والهرم جعلني
أصبح سخريه لكل شخص حتى لراعي الضان .

٤ - باب المعاني الدال عليها الشعر

جماع الوصف لذلك أن يكون المعنى مواجهاً للغرض المقصود ، غير عادل عن الأمر المطلوب . ولما كانت أقسام المعاني التي يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة مما لا نهاية لعدده . ولم يمكن أن يؤتى على تعديد جميع ذلك ، ولا أن يبلغ آخره رأيت أن أكرمه صديقاً ينسب عن نفسه . ويكون مثلاً لغيره ، وعبرة لما لم أذكره . وأن أجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشعراء وما هم عليه أكثر حرمًا ، وعليه أشد رومًا ، وهو : المديح والهجاء ، والنسيب ، والمراثي . والوصف ، والتشبيه .

وأقدم أمام كلامي في هذه الأقسام قولاً يحتاج إلى تقديمه ، وهو أنني رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر وهما : الغلو في المعنى إذا شرع فيه ، والإقتصار على الحد الأوسط في ما يقال منه .

وأكثر الفريقين لا يعرف من أصله ما يرجع إليه ، ويتمسك به ، ولا من اعتقاد خصمه ما يدفعه ويكون أبداً مضاداً له ، لكنهم يخطئون في ظلماء . فمصرة يعمد أحسد الفريقين إلى ما كان من جنس قول خصمه فيعلمه ، ومرة يقصد ما جانس قوله في نفسه فيدفعه ، ويعتقد نقضه ..

وقد شهدت أنا من هذه ، وله سبب ، قوماً يقولون إن قول مهلهل بن ربيعة :

فلولا الريحُ أسمع من بحجرٍ صليلَ البيضِ نقرَ بالذُّكور^(١)

(١) صليل البيض : صوت طنين السيوف ومهلهل من قدامى الشعراء الجاهليين وهو خال امرئ القيس : الذكور: السيوف ذات الحديد اليابس . حجر : موضع وهو مكان الرياض الحالية .

خطأ ، من أجل أنه كان بين موضع الرقة التي ذكرها وبين مسافة بعيدة جداً .

وكذلك يقولون في قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أشباهَ سيفٍ قديمٍ إثره بادي
تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والسَّاقين والهادي^(١)

وكذلك في قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق^(٢)
ثم رأيت هؤلاء بأعيانهم في وقت آخر يستحسنون ما يرون
من طعن النابغة^(٣) على حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله :
لنا الجففاتُ الغرُّ يلmen بالضحي وأسيفنا يقطرن من نجدة^(٤) دما

وذلك أنهم يرون موضع الطعن على حسان في قوله « الغر »
وكان ممكناً أن يقول البيض . لأن الغرة بياض قليل في لون
آخر غيره ، وقالوا : فلو قال « البيض » لكان أكثر من
الغرة ، وفي قوله : « يلmen بالضحي » ولو قال
« بالدجي » لكان أحسن ، وفي قوله « وأسيفنا يقطرن من
نجدة دما » قالوا : ولو قال « يجرين » لكان أحسن ، إذ كان
الجرى أكثر من القطر .

فلو أنهم يحصلون مذاهبهم لعلموا أن هذا المذهب في الطعن
على شعر حسان غير المذهب الذي كانوا معتقدين له من الإنكار

(١) الهادي : العنق لتقدمه والجمع هواد . والنمر شاعر جاهلي مجيد .

(٢) أخفت أهل الشرك : أفزعتهم وروعتهم . النطفة : ماء الرجل
جمعه نطف .

(٣) النابغة الذبياني شاعر جاهلي كبير وكان حكم الشعراء قسي
سوق عكاظ .

(٤) الجففات : جمع وهي القصعة تجمع أيضا على جفان . الغر :
البيض . يلmen : يشرقن . النجدة : الشجاعة .

على مهلهل والنمر وأبي نواس ، لأن المذهب الأول إنما هو لمن أنكر الغلو ، والثاني لمن استجاده ، فإن النابغة على ما حكى عنه لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو . بتصوير مكان كل معنى وضعه ما هو فوقه وزائد عليه . وعلى أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان ، من النابغة كان أو مسن غيره . خطأ وأن حسان مصيب إذ كانت مطابقة المعنى بالحق في يده ، وكان الرد عليه عادلاً عن الصواب إلى غيره .

فمن ذلك أن حساناً لم يرد بقوله « الغر » أن يجعل الجفان بيضاً ، فإذا قصر عن تصوير جميعها بيضاً نقص ما أراده لكنه أراد بقوله « الغر » المشهورات . كما يقال « يوم أغر » . « ويد غراء » وليس يراد البياض في شيء من ذلك . بل يراد الشهرة والنباهة .

وأما قول النابغة في « يلمعن بالضحى » وأنه لو قال « بالدجى » لكان أحسن من قوله « بالضحى » إذ كل شيء يلمع بالضحى . فهذا خلاف الحق . وعكس الواجب . لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع . النور الشديد الضياء فأما الليل فأكثر الأشياء مما له أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه . فمن ذلك الكواكب . وهي بارزة لنا . مقابلة لأبصارنا . دائماً تلمع بالليل . ويقل لمعانها بالنهار حتى تخفى . وكذلك السرج والمصابيح . ينقص نورها كلما أضحت النهار وفي الليل تلمع عيون السباع لشدة بصيصها وكذلك البراع حتى نخال نارا .

فأما قول النابغة أو من قال إن قوله ^(١) في السيوف « يجرين » خير من قوله « يقطرون » لأن الجري أكثر من

(١) أي قول حسان بن ثابت .

القطر فلم يرد حسان الكثرة وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا سيفه يقطر دماً ولم يسمع سيفه يجري دماً . ولعله لو قال يجري دماً يعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد إلى ما لم تجر عادة العرب بوصفه .. فلنرجع إلى ما بدأنا بذكره من الغلو والإقتصار على الحد الأوسط فأقول : إن الغلو عندي أجود المذهبيين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وقد بلغني عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه . وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم ، ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم المتقدم ذكره فهو مخطئ لأنهم وغيرهم ممن ذهب إلى الغلو إنما أرادوا به المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعلوم . وإنما يريد به المثل وبأوغ النهاية في النعت ، وهذا أحسن من المذهب الآخر فإن قول النابغة في معنى قول النمر [بن تولب] على مذهب الإقتصار ولزوم الحد الأوسط :

وقد أبقتُ صروفُ الدهر متى كما أبقت من السيف اليماني (١)

دون قول النمر [وأنى] دليلاً قوياً على أن ما بقي منه أكثر مما بقي من النابغة . وكذلك قول كعب بن مالك الأنصاري (٢) في معنى قول مهلهل (٣) ووصفه صوت الضرب (٤)

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كعمعة الإناء المحرق (٥)

(١) صروف الدهر: أحداثه ونوائبه . السيف اليماني: المنسوب إلى بلدة باليمن اشتهرت بصنع السيوف .

(٢) من شعراء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان هو وحسان وعبد الله بن رواحة من أشهر الشعراء الخضرين .

(٣) مهلهل : أقدم الشعراء الجاهليين وهو الذي طول القصيدة وبدأها بالغزل .

(٤) في بيت المهال المشهور :

فلولا الريح أسمع من حجر صليل البيض تقرح بالذكور

(٥) يرعبل : في اللسان قال الجوهري من رعبات اللحم قطعتة .

دون قول مهلهل لأن في قول مهلهل ما يدل على أن الضرب الذي ذكره أشد وأبلغ .

وكذلك قول الحزين الكناني في معنى قول أبي نواس (١) :

يُغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يتسم (٢)

دون قول أبي نواس لأن هذا وإن كان قد وصف صاحبه بما دل على مهابته فإن في قول أبي نواس دليلاً على عموم المهابة ، ورسوخها في قلب الشاهد ، والغائب ، وفي قوله « حتى إنه لشهابك » قوة لتكاد تهابك ، وكذا كل غال مفرط في الغلو إذا أتى بما يخرج عن الموجود فإنما يذهب فيه إلى تصديره مثلاً وقد أحسن أبو نواس ، حيث أتى بما ينسب عن عظم الشيء الذي وصفه .

وإذ قدمت ما أردت تقديمه فلنرجع إلى ذكر واحد واحد من المعاني الستة التي قلت : إنها الأعلام من أغراض الشعراء في المعاني . فأبدأ أولاً بذكر المديح ...

(١) نعت المديح

ما أحسن ما قال عمر بن الخطاب في وصف زهير (٣) حيث قال : إنه لم يكن يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال . فإنه في هذا القول إذا فهم وعمل به منفعة عامة . وهي العلم بأنه إذا كان الواجب أن لا يمدح الرجال إلا بما يكون لهم وفيهم فكذا يجب أن لا يمدح شيء غيره (٤) إلا بما يكون له وفيه وبما يليق به أو لا ينافره .

(١) أي السابق وهو قوله : وأخفت أهل الشرك حتى أنه - البيت .
(٢) يغضى حياء : الضمير في يغضى عائذ إلى زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما والأعضاء : ادناء الجفون بعضها إلى بعض - والبيت منسوب للحزين الكناني .
(٣) من أعلام الشعراء الجاهليين .
(٤) أي غير الرجل .

ومنفعة أخرى ثانية ، وهي تأكيد ما قلنا في أول كلامنا في المعاني ، من أن الواجب فيها قصد الغرض المطلوب على حقه وترك العدول عنه إلى ما لا يشبهه .

ولما كان المدح اسماً مشتركاً للمدح الرجال وغيرهم ، عمه بالقول في مدح الرجال ، إذ كان غرض الشعراء إنما هو مدحهم إلا ما يستعملون من أوصاف النساء فإن ذلك له قسم آخر سنأتي به في ما بعد إن شاء الله تعالى ^(١) ، وعلمنا أن أخذنا في التعريف بجودة مدح للرجال كيف يكون ، فقد يتعلم من حواشي قولنا في هذا كيف يسلك السبيل إلى مدح غيرهم ، فنقول :

إنه لما كانت فضائل الناس ، من حيث إنهم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب ، من الاتفاق في ذلك ، إنما هي : العقل والشجاعة - والعدل - والعفة ؛ كان القاصد للمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً ، والمادح بغيرها مخطئاً . وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والإغراق فيه ، دون البعض ، مثل أن يصف الشاعر إنساناً بالجوهر الذي هو أحد أقسام العدل وحده فيفرق فيه ، ويتفنن في معانيه ، أو بالنبذة فقط ، فيعمل فيها مثل ذلك ، أو بهما . أو يقتصر عليهما دون غيرهما ، فلا يسمى مخطئاً . لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله ؛ لكن يسمى مقصراً عن استعمال جميع المدح . فقد وجب أن يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال ، لا بغيرها . والبالغ في التجويد إلى أقصى حدوده من استوعبها ، ولم يقتصر على بعضها ، وذلك كما قال زهير بن أبي سلمى في قصيدة :

(١) وهو النسيب .

أخي ثقة . لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله^(١)

فوصفه في هذا البيت بالعفة ، لقلته إمعانه في اللذات ، وإنه لا ينفد ماله فيها ، وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات . وذلك هو العدل ثم قال :

ترأه إذا ما جئته متهللاً كأنك معطيه الذي أنت سائله^(٢)

فزاد في وصف السخاء بأن جعله يهش له ، ولا يلحقه مضض ، ولا تكره لفعله ، ثم قال :

فمن مثل حصن في الحروب ومثله لإنكار ضم أو لخصم يجار له^(٣)

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة ، والعقل فاستوعب زهير في أبياته هذه المديح بالأربع الخصال ، التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة . وزاد في ذلك ما هو - وإن كان داخلاً في هذه الأربع - فكثير من الناس لا يعلم وجسه دخوله فيها ، حيث قال « أخي ثقة » صفة له بالوفاء . والوفاء داخل في الفضائل التي قدمنا ذكرها .

وقد تفنن الشعراء في المديح . بأن يصفوا حسن خلقه الإنسان ويعددوا أنواع الأربع الفضائل التي قدمنا ذكرها . وأقسامها وأصناف تركيب بعضها مع بعض . وما أقل من يشعر بأن ذلك داخل في الأربع الحلال على الأفراد أو بالتركيب

(١) أخي ثقة : يوثق بما عنده من الخير لاشتهاره بالجود والكرم النائل . العطاء . يريد أن ماله لا يتلف بشرب الخمر إنما يتلف بالعطاء والبيت من قصيدة في مدح هرم بن سنان . وزهير من أعلام الشعراء الجاهليين .

(٢) المتهلل : الطلق الوجه المستبشر . المعنى : أن المدح يسر بمن يقصده للعطاء فكانه بهذا السرور أخذ العطاء لا معطيه للسائل .

(٣) الضيم : النذل .

إلا أهل الفهم ، مثل أن يذكروا من أقسام العقل ثقافة المعرفة والحياء ، والبيان ، والسياسة ، والكفاية ، والصدق بالحجة ، والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة ، وغير ذلك ، مما يجري هذا المجرى .

ومن أقسام العفة القناعة . وقلة الشره ، وطهارة الإزار ، وغير ذلك مما يجري مجراه .

ومن أقسام الشجاعة الحماية ، والدفاع ، والأخذ بالثأر ، والنكاية في العدو والمهابة ، وقتل الأقران . والسير في المهامه الموحشة ؛ وما أشبه ذلك .

ومن أقسام العدل السماحة ، ويرادف السماحة التغاين ، وهو من أنواعها ، والإنظام ، والتبرع بالنائل ، وإجابة السائل وقرى الأضياف ، وما جانس ذلك .

فأما تركيب بعضها مع البعض فيحدث منه ستة أقسام :
أما ما يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة فالصبر على الملمات ، ونوازل الخطوب ، والوفاء بالإبعاد .

وعن تركيب العقل مع السخاء فإنجاز الوعد وما أشبه ذلك
وعن تركيب العقل والعفة فالرغبة عن المسألة ، والإقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك .

وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإنلاف ، والإخلاص ، وما أشبه ذلك .

وعن تركيب الشجاعة مع العفة : إنكار الفواحش . والغيرة على الحرم .

وعن السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت ، والإيثار على النفس ، وما شاكل ذلك .

وجميع هذه التركيبات قد ذكرها الشعراء في أشعارهم ،
وسأذكر من جيد ما قالوه في ذلك صدرأ إن شاء الله تعالى ،
إلا أنني أبدأ قبل ذلك فأقول :

إن كل واحدة من الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسط
بين طرفين مذمومين ، وقد وصف شعراء مصييون متقدمون
قوماً بالافراط في هذه الفضائل . حتى زال الوصف إلى
الطرف المذموم . وليس ذلك منهم إلا كما قدمنا القول فيه .
في باب « الغلو في الشعر » من أن الذي يراد به إنما هو -
المبالغة والتمثيل . لا حقيقة الشيء ..

ومن الأخبار التي يحتاج إلى ذكرها . وشرح الحال فيها ،
ليكون ذلك مثالا يبنى الأمر عليه . ويعلم به ما يأتي من مثله
أن « كثيرأ » أنشد عبد الملك بن مروان :

على ابن أبي العاصي دلاص^(١) حضيئة أجاد المرء نسجها وأذالها^(٢)
يود^(٣) ضعيف القوم حمل قتيرها ويستظلي^(٤) القرم^(٥) الأشم^(٦) احتمالها

فقال له عبد الملك : قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحسن
من قولك حيث يقول له :

وإذا نجيء كتيبة^(٧) مملومة^(٨) شهاء يخشى^(٩) الرأهيدون^(١٠) نهالها^(١١)
كنت المقدّم غير لايس^(١٢) جنة^(١٣) بالشيف^(١٤) تضرب^(١٥) معلماً^(١٦) أبطلها^(١٧)

(١) الدلاص : الدرع اللساء اللينة . أجاد المرء : صانعها الماهر .
والقتير رويس مسابير الضلوع . القرم الأشم : الرجل العظيم ذو المكانة
العالية . كثير شاعر أموي عذري مشهور توفي عام ١٠٥ هـ .

(٢) الكتيبة : الجيش . أو جماعة الخيل إذا أغارت من المائسة إلى
الآلاف . شهاء : عطية كثيرة .

(٣) الحنة : بالضم كل ما وقاك .

فقال : يا أمير المؤمنين وصدقتك بالخزم ووصف الأعشى صاحبه بالخرق .

والذي عندي في ذلك أن عبد الملك أصبح نظراً من كثير ، إلا أن يكون كثير غلط واعتذر بما يعتد خلافة ، لأنه قد تقدم من قولنا في أن المبالغة أحسن من الإقتصار على الأمر الوسط بما فيه كفاية ، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة ، حيث جعل الشجاع شديد الإقدام ، بغير جنة على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالخزم وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه لأن الصواب له ، ولا لغيره . إلا لبس الجنة ، وقول كثير تقصير في الوصف .

فلنرجع إلى ذكر مدائح الشعراء المحسنين ، ثم نأتي بعد ذلك بصدر ، يشتمل على افتنائهم في المدح ليكون مثلاً لما تقدم الإنخبار عنه ، وعبرة في اختيارات المديح .. فمن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

يَطْلُبُ شَاوُ امْرَأَيْنِ قَدَمًا حَسَنًا	نَالَاَ الْمُلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوقَا
هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَاوِهِمَا	عَلَى تَكْلِيْفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقًا
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ	فَمِثْلُ مَا قَدَمًا مِنْ صَالِحٍ سَبَقًا ^(١)

ومن هذه القصيدة :

(١) الشار : الطلق من الجري والشاو أيضا الغاية . والمراد بالمرايين أباه وجده أي يعارضهما بفعله ويسعى سعيهما في المكارم . نالا أي بافعا لهما أفعال الملوك . بد : غلب أي أنه سبق أبواه وأوساط الناس وساويا الملوك فهو يطلب سبقهما . هو الجواد : أي الممدوح بمغزلة الجواد من الخيل في مسابقة أبويه في الكرم والجود . المهل : التقدم .

من يَلْتَقَ يوماً على عِلَاقَتِهِ هَرَمًا
ليثٌ بعثرَ بصطادُ الرجالِ إذا
يَطْعَنُهُمْ ما رتَموا حتى إذا اطَّعَنُوا
فَضْلُ الجِوَادِ على الخيلِ البطاءِ قَلَا
هذا وليسَ كمن يعيسا بخطبته
لو نالَ حيٍّ من الدُّنْيَا بمكرمةٍ

ومن أخرى له :

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا المَالُ يُخْبَلُوا
وفيهمْ مقاماتٌ حسانٌ وجوههم
فإن جثتهم أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ
على مَكْتَرِهِمْ حَقٌّ من يَغْتَرِبُهُمْ
سَعَى بعدهم قومٌ ليكي يُدْرِكُوهم

وإن يُسْأَلُوا يعطوا وإن ييسروا يعلموا^(٣)
وأنديةٌ يَتَابُهْا القولُ والفِعلُ^(٤)
مجالسٌ قد يشفى بأحلامها الجهلُ
وعندَ المُقْلِينَ السَّحَابَةُ والبَدَلُ^(٥)
فلم يُدْرِكُوا ولم يُدْعُوا ولم يَأْلُوا^(٦)

(١) على علاقته : على قلة ماله والمعنى أنك إن تلقه على قلة ماله تجده
سبحا كريما فكيف به وهو على غير تلك الحال • عثر : اسم موضع • أقرانه :
الفرن : صاحب في القتال • والمعنى هو في الجرأة والاقدام على الاقران
كالليث •

(٢) الندى : مجلس القوم • يصف معدوحه بأنه يزيد عليهم في كل
حال من أحوال الحرب •

(٣) الاستخبال : أن يستعير الرجل ابلا فيشرب ألبانها وينتفع باوبارها •
ييسروا : يغفلوا أي اذ قامروا باليسر أخذوا ثمان الجزر فيقامرون عليها لا
يفحرون الا غالیه •

(٤) المقامات : المجالس والمراد بها أهلها • الاندية : جمع ندى وهو
الجلس • يتابها القول الخ : يبتغيها الجميل من القول •

(٥) على مكترهم : مياسيرهم وأغنيائهم • المقل : القليل المال • البذل :
المطاء • أي يبذل الفقراء على قدر جهدهم وطاقتهم •

(٦) لم يليموا : لم يأتوا ما يلامون عليه حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء •

فما كانَ من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم . قبل (١)
 وهل يُنبئُ الخطيئَ إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل (٢)

ولزهير يمدح بني الصيداء :

إنني سترحلُ بالمطبي قصائدي حتى تحلَّ على بني ورقاء (٣)
 مدحاً لهم يتوارثون ثناءها رهن لآخرهم بطول بقاء
 حلماً في النّادي إذا ما جئتهم جهلاء يوم عجاجة وليقاء (٤)
 من سالموا نال الكرامة كلها أو حاربوا ألوى مع العنقاء

وله :

إنَّ البخيلَ ملومٌ حيث كانَ ولكنَّ الجوادَ على علاته هرم (٥)
 هو الجوادُ الذي يعطيك نائله عفواً ويظالم أحياناً فينظالم (٦)

ومن ذلك قول الخطيئة في بني بغيس :

وإنَّ التي نكبتُها عن معاشير على غضاب أن صدّدت كما صدوا
 أنت آل شمّاس بن لأي وإنما أناهم بها الأحلام والحسب العيد (٦)

(١) توارثه آباء آبائهم : أي مجدهم قديم ورثوه كابرا عن كابر .

(٢) الخطي : الرمح نسبة الى الخط وهي جزيرة بالبحرين يرفأ اليها سفن الرماح . الوشيح : القنا الملتف في منبته واحده وشيجه . أي لا تنبت القنّة الا القنّة . وتغرس النخلة الا حيث تنبت ، كذلك لا يولد الكرام الا في منبت كريم .

(٣) ورقاء : اسم رجل .

(٤) عجاجة : غبار وهول وشدة .

(٥) علاته : ما يتوبه من قلة ذات يده . هرم : اسم المدوح . عفوا سهلا بلا مظل ولا تعب . يظلم أحياناً : يطلب منه في غير موضع الطلب وفي غير وقته .

(٦) أراد المدحة التي عدل بها عن آل الزبيرقان الى بغيس وقومه . العدم القديم ، والخطيئة - شاعر مخضرم مجيد توفي عام ٣٠ هـ .

ومنها :

يَسْـَٔسُونَ أَحْلَاماً بَعِيداً أَنَاتُهَا وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيفَةُ وَالْجَدُّ
أَقْلَبُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنَ الدُّومِ أَوْ سَدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَى وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْ فَوَّوْا إِنْ عَقَدُوا أَشَدُّوا
وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوا هَاوَلَا كَدُّوا^(١)
وَتَعَدَّلْنِي أَبْنَاءَ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدٌ

ومن ذلك قول الأخطل :

صم عن الجهل عن قبل الخنا خرس وَإِنْ أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
شمسُ العداوة حتى يستفاد لهم وَأَوْسَعُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَّرُوا^(٢)

ومن ذلك ما أنشدنا أحمد بن يحيى^(٣) :

مَيَّامِينَ يَرْضُونَ السِّيَاسَةَ إِنْ كَفُوا وَيَكْفَوْنَ إِنْ سَلَسُوا بِغَيْرِ تَكْدِفٍ
إِذَا صُرِّفُوا لِلْحَقِّ يَوْمًا تَصَرَّفُوا إِذَا الْجَاهِلُ الْخَبِرَاتِ لَمْ يَتَصَرَّفِ
وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مُوسِرٌ بَثَّ فَضْلُهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَعْسِرٌ لَمْ يُطَوَّفِ

وأنشدنا أيضاً :

وفيتيان صدق بآئسين صحبتهم يزيدهم هول الجناب تآسيا
فإن يكُ خيراً أحسنوا أسلابها وإن كان شرّاً يشركوه تحاسيا^(٤)

(١) ويررى ان كانت النعمى عليهم - أي انهم ان انعموا لم يمنوا ولم يكذبوا نعمتهم بالئن ولم يكذبوا المنعم عليه بالثواب .

(٢) الخنا : الفحش . رجل شמוש عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده جمعه شمس .

(٣) هو ثعلب امام الكوفيين في النحو توفي عام ٢٩١ هـ .

(٤) السلب : ما يسلب والجمع أسلاب .

وأنشدنا :

إذا المحل أنسى العفة الناس ذببت وحامت عن الأحساب بكرن وائل
بهم بغض بعض الناس لكن يردهم حياء عفافٍ عن دنْيء المأكَل

وأنشدنا :

يذكرني بشرأ بكاء حمامة عني من من بطن بيضة مائل^(١)
فتي مثل صفور الماء ليس بياخل بخير ولا مهدٍ ملاما لباخل
ولا ناطقاً أحدىثة السبق معجبا بأظهارها في المجلس المتقابل^(٢)
تري أهله في نعمة وهو شاحب طوي البطن مخمّص الضحى والأصائل^(٣)

وأنشدنا لمحمد بن زياد الحارثي :

تخالهم للحلم صمّا عن الخنا وخرّما من الفحشاء عند التهاجر^(٤)
ومرضى إذا لوقوا حياء وعفة وعند الحفاظ كالليوث الخوادر^(٥)
لم ذلّ أنصاف وأنس تواضع ومن عزهم ذلت رقاب العشائر
أنّ بهم وصماً يخافون عارَه وليس بهم إلا اتقاء المعابر^(٦)

ثم من الشعراء الآن من يحمل المديح . فيكون ذلك باباً من

(١) الفنن : الغصن أو ما تشعب منه جمعه أفنان • بيضة : موضع •
(٢) الاحدوثة : ما يتحدث به الناس • السبق : ما يتسابق فيه
الناس من المكارم •

(٣) الشاحب : المتغير من هزال وجوع • طوي البطن : لم يأكل شيئاً •
المخماص • الجائع • الضحى والأصائل : وقتان يجوع فيهما المدحوق في
حين أنهما وقتان يشبع فيهما غيره •

(٤) الخنا : الفحش • التهاجر : التقاطع •

(٥) الحفاظ : الذب عن المحارم • الخوادر جمع مقرده خادر والخادر

اجمة الاسد ومنه أسد خادر •

(٦) المعابر : المعايير •

أبوابه حسناً أيضاً . لبلوغه الإرادة مع خلوه عن الإطالة وبعده
عن الإكثار ودخوله في باب الاختصار

فمن ذلك قول الحطيئة :

تزور امرأة يعطى على الحمد ماله ومن يعط أثمان المكارم بحمد
يرى البخل لا يبقى على المرء ماله ويعلم أن المال غير مخلص
كسوب ومتلاف إذا ما سألته تهلل واهترأهتاز المهندر^(١)
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد^(٢)

فقد تصرف في الأبيات الأولى في أصناف المديح المتقدم
ذكرها وأتى بجماع الوصف وجملة المديح على سبيل الاختصار
في البيت الأخير ومن ذلك قول الشماخ :

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين^(٣)
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وقد أوما السمت بن مروان أبي حفصة في مدحه شرحبيل بن
معن بن زائدة إيماء موجزاً ظريفاً . أتى على كثير من الممدوح
باختصار . وإشارة بديعة . فقال :

(١) كسوب : كثير الكسب للمال . متلاف : كثير التلف للمال . تهلل :
تلاوا وحبه . اهترأز المهندر : اهترأز السيف المشحود .

(٢) تعشو : تقصد في الظلام . وعشا يعشو : إذا سار في ظلمة تسمى
عشوة . وقال ابن يعيش : عشوته أي قصده في الظلام . ثم اتسع ففيل لكل
قاصد عاش .

(٣) عرابة : هو ممدوح الشماخ . الأوسى : نسبة إلى أوس . يسمو :
يرتفع . منقطع القرين : عادم النظير .

رأيت ابنَ مَعْنٍ أَفْتَنَ النَّاسَ جَوْدُهُ فكلّف قول الشعر من كان مفتحاً^(١)
وأرخصَ بالعدلِ السلاحَ بأرضنا فما يبلغُ السيفُ المهندُ درهما

ومن الشعراء أيضاً من يفرق في المدح بفضيلة واحدة أو اثنين ، فيأتي على آخر ما في كل واحدة منهما أو أكثر . وذلك إذا فعل مصيباً به الغرض في الوقوع على الفضائل . ومقصراً عن المدح الجامع لها . لكنه يجود المديح حينئذ كلما أغرق في أوصاف الفضيلة ، وأتى بجميع خواصها أو أكثرها . وذلك مثل في الجرأة والإقدام . كما قال الفرزدق لسالم الغداني . حين قتل قاتل أخيه ، العائذ بجوار عبد الملك :

إذا كنتَ في دارٍ تخافُ بها الرّدى فصمّ كتصميم الغداني سالم^(٢)
سحاً طلباً للوتر نفساً بموته فمات كريماً عائفاً للملايم^(٣)
نقى ثياب الدّكر من دنس الحنا يُناجى ضميراً مستدفّ الغرائم^(٤)
إذا هم أقرى ما به هم ماضياً على الهول طلاعاً ثنايا العظام
ولما رأى السلطانَ لاَ ينفعوته قضى بين أيديهم بأبيض صارم

وقد ينبغي أن يعلم أن مدائح الرجال . وهي التي صمدنا للكلام في هذا الباب ، تنقسم أقساماً بحسب الممدوحين من أصناف الناس . في الإرتفاع والإرنضاع ، وضروب الصناعات . والتبدي

(١) المفتح : من لا يقدر أن يقول شعراً . والمعنى أن ممدوحه قد بلغ من كثرة جوده وكرمه على مادحيه أن كلّف بقول الشعر من هو عاجز عن قوله . وبلغ من عدله أن رخص ثمن السلاح لعدم الاحتياج إليه .

(٢) رجل من بني غدانة بن يربوع قتل أخوه وكان لقاتله ناحية في السلطان فشدد عليه فقتله .

(٣) سحى : كرم وبذل المال . والعائف . الكاره .

(٤) استدفاف الامر : تهيوؤه .

والتحضر . وأنه يحتاج إلى الوقوف على المعين بمدح كل قسم من هذه الأقسام :

فأما إصابة الوجه في مدح الملوك فمثل قول النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة^(١) ترى كل ملك دونها يتذبذب^(٢)
فإنك شمس^(٣) والملوك كواكب^(٤) إذا طاعت لم يبدُ منهن كوكب

ومثل ذلك قول نصيب في سليمان بن عبد الملك :

أقول لركب قاعلين لقيتهم قتنا ذات أوшал ومولاك قارب^(٥)

القفا : الثنية وهي العقبة . والعرب تقول لقيت فلاناً قفا الثنية أي خلف الثنية :

قيفوا خبروني عن سليمان إنني لمعرفه من أهل ودان طالب
فعاوجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب
هو البدر والناس الكواكب حولته وهل يشبه البدر المنير الكواكب

ومثل قول الحرير الكناني في عبد الله بن عبد الملك بن مروان وقد وفد عليه وهو عامل مصر :

لما وقفت عليه في الحموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم^(٦)
حييته بسلام وهو مرتفق^(٧) وضجته القوم عند الباب تزدحم

(١) السورة : القوة والسلطان . والملك يسكون اللام الملك بتحريكها .
(٢) قفا يفتح القاف : وراء . الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل .
ذات أوशल : موضع . قارب : طالب الماء ليلاً ولا يقال ذلك لطالب الماء نهاراً . وفي التهذيب : القارب : الذي يطلب الماء ولم يعين وقتاً . ويريد المولى نفسه . والخطاب للخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك . ونصيب : شاعر أموي مشهور .

(٣) نسبت هذه القصيدة للفرزدق بمدح علي بن زين العابدين بن الحسين حين سأل عنه هشام بن عبد الملك .

في كفته خيزران ريجها عبق^(١) في كف أروع في عرفينه شمس^(٢)
 يغضى حياء ويغضى من مهابة^(٣) فما يكلّسم^(٤) إلا حين يتسم
 كلتا يديه ربيع غير ذي خلف^(٥) هذي خروج وهذي عارض هم^(٦)

ومثل قول أبي العتاهية في الهادي^(٧) :

يضطرب الخوف والرّجاء إذا حرك موسى القضيبة أو مكثرا

فأما مدح ذوي الصناعات . كأن يمدح الوزير والكتّاب بما
 يليق بالفكرة والروية وحسن التنفيذ والسياسة . فإن انضاف إلى
 ذلك الوصف السرعة في إصابة الخزم : والإستغناء بخصوص
 الذهن عن الإبطاء لطلب الإصابة كان أحسن وأكمل للمدح
 كما قال أشجع^(٨) :

بديته مثل تفكيره متى رمته فهو مستجمع

وكما قال منصور النمري^(٩) :

وليس لأعباء الأمور إذا اعترت بمكثرت لكن لمن صبور
 يرى ساكن الأوصال باسط وجهه يريك الهوينا والأمور تطير^(١٠)

(١) الخيزران : العمود اللدن ، يريد أن العصا التي يمسكها طيبة
 الرائحة لأنها تستمد طيبها من طيب كفه . الأروع : من يعجبك بحسنه
 وتمجاعته . عرفينه : أنفه . شمس : ارتفاع وحسن وهو من علامات السيد
 الشريف .

(٢) ربيع ، ويروى : غياث : أي نجدة : ومعونة . غير ذي خلف :
 يروى أيضا عم نفعها .

(٣) أبو العتاهية شاعر عباسي مشهور اشتهر بزهدياته توفي عام ٢١١ هـ .
 والهادي خليفة عباسي ملك عاما واحدا (١٦٩ - ١٧٠ هـ) .

(٤) أشجع السلمي شاعر عباسي مشهور من شعراء عصر الرشيد .

(٥) من شعراء عصر الرشيد والمأمون .

(٦) الأوصال : المفاصل أو مجتمع الاعظام جمع وصل بكسر الواو
 وضعها .

وأما مدح القائد في ما يجالس البأس والمنحدة ويدخل في باب
شدة البطش والبسالة فإن أضيف إلى ذلك المدح الجود والسماحة
والتخرق في البذل والعطية كان المديح حسناً والنعت تاماً .
إذا كان السخاء أخا الشجاعة . وكان في أكثر الأمور
موجودين في بعداء الحمم . وأهل الإقدام والصولة . وذلك كما
ول بعض الشعراء في جمع البأس والجود :

فني دهره شطران فيما ينوبه^(١) فني بأسه شطر^(٢) وفي جوده شطر^(٣)
فلا من بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الحرب في أذنه وقر^(٤)

وكما قال منصور النمرى في إفراذه ذكر البأس وحده :

ترى أخيل يوم الحرب يظمان تحنه وتروى القنا في كفه والمناصل^(٥)
حلال^(٦) لأطراد^(٧) الأسنة نحرها حرام^(٨) عليها مستنها والكواهل^(٩)

وكما قال بشّار بن برد :

ألا أيها الحاسد^(١٠) المبتغى نجوم السماء بسعى أم^(١١)
سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست ثم^(١٢)
إذا عرض اللهو في صاده لها بالعطاء وضرب البهم^(١٣)

(١) البأس . الشدة في الحرب - والمبيت لابي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي .

(٢) بغاة الخير : البغاة جمع مفرد باغي وهو الطالب . الزئير . الصوت . الرقر : ثقل في الاذن يسبب عدم السمع ومنه قوله تعالى (كان لم يسمعها كان في أذنيه وقرا) ، أي ثقلاً .

(٣) القنا : الرمح . والمناصل السيوف .
(٤) متنها المتن . الظهر . الكواهل : جمع كاهل وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الأعلى فيه .

(٥) الامم محرقة : القرب .
(٦) ثم : اسم يشار به بمعنى هناك للمكان البعيد ظرف لا يتصرف ، والمعنى أنك بعيد عنها ولست أهلاً لها .
(٧) البهم : الرجل الشجاع .

يلذ العطاء وسفك الدماء . ويغدو على نعم أو نِقَم
فقل للخليفة إن جثته نصحاً ولا خير في متهم
إذا أيقظتك حروب العدى فيه لها عمراً ثم نَم
فَي لا ينامُ على ثأره ولا يشربُ الماء إلا بدم^(١)

وأما مدح السوقة من البدو والحاضرة فينقسم قسمين : بحسب
انقسام السوقة : إلى المتعيشين بأصناف الحرف وضروب المكاسب
وإلى الصعاليك والحراب والمتلصصة ومن جرى مجراهـ .
فمدح القسم الأول يكون بما يضاوي الفضائل النفسانية التي
قدمنا ذكرها خالياً من مدح الملوك ومن قدمنا ذكره . من
الوزراء والقواد . وذلك مثل قول الشاعر :

يتراحمون ، ذوو يسارهمُ يتعاطفون على ذوي الفقر
وذوو يسارهم كأنهم من صدق عفتهم ذوو وع^(٢)
متحملين لطيب خيمهم لا يهلعون لنبوة الدهر^(٣)

ومدح القسم^(٤) الثاني يكون بما يضاوي المذهب الذي يسلكه
أهله من الإقدام والفتك والتشمير والجد والتيقظ والصبر
مع التعرق والسماحة وقلة الإكتراث للخطوب الملمة كما
قال تأبط شراً يمدح صخر بن مالك^(٥) :

وإني لمهد من ثنائي فقاصد^(٦) به لابن عم الصدق صخر بن مالك^(٧)

(١) كناية عن كثرة حروبه وشدة بأسه .

(٢) ذوو وع : مالهم قليل ، ويقال الرجل وقع في وع أي قل ماله .

(٣) الخيم الشيمة والخلق والسجية ، وقيل الخيم الأصل : نبوة الدهر : جفوته .

(٤) وهم الصعاليك ومن في حكمهم .

(٥) تأبط شراً : من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .

(٦) مهد : من أهديت . لابن عم الصدق : متعلق بمهد . والمهدى محذوف
لعلم السامع به أي ثناء أو قصيده .

أهزُّ به في ندوة الحمي عطفه
لطيفُ الحوايا يقسمُ الرّاد بينه
كأنَّ به في البرد أثناء حبة
يظلُّ بمومة ويمسى بغيرها
ويسبقُ وفد الريح من حيث تتحي
إذا خاطَ عينه كرى النوم لم يزل
وإن طلعت أولى العسدة ففرة
إذا هزّه في وجهه قرن تهللت

كما هزَّ عطني بالهجان الأوارك^(١)
سواءً وبين الذئب قسم المشارك^(٢)
بعيدُ الخطى شتى الهوى والمسالك^(٣)
جحيشاً ويعروري ظهور المعارك^(٤)
بمنخرق من شدة المتدارك^(٥)
له كالىء من قلب شبحان فائلك^(٦)
إلى سلة من صارم الغرب باتيك^(٧)
نواجذه أفواه المنايا الضواحك^(٨)

وقال أبو كبير الهزلي :

ولقد سريتُ على الظلام بمخشم
جلدٍ من الفتيان غير مُثقل^(٩)

-
- (١) الندوة : أنادي . عطفه : عطف كل شيء جانبه ، وقيل العنق كما في قوله تعالى « ثاني عطفه » أي عنقه ، وقيل خصره . الهجان الأوارك : التي ترعى الأراك وهو نوع من الشجر .
- (٢) الحوايا : أي الامعاء .
- (٣) شتى : المتفرق وتشتت الشيء تفرقه والاشتات جمع شت . المسالك : الطرق ويروى البيت برواية أخرى هي :
- قليل التشكي للمهم يصيبه
كثير الهوى شتى النوى والمسالك
- (٤) المومة : المغارة التي لا ماء فيها وجمعها موام . جحيشاً : وحيداً . أي منفرداً . ويعروري ظهور المعارك : أي يركبها ويروي ظهور .
- (٥) وقد الريح : أولها . المنخرق : السريع . المتدارك : المتلاحق .
- (٦) الكرى : النوم الخفيف وإضافة الكرى إلى النوم كما يضاف البعض إلى الجنس . شبحان : حازم . الفاتك : هو الذي يفاجئ غيره بمكره .
- (٧) العدة . الرجالة يعدون أمام الخيل : الباتك القاطع .
- (٨) في وجه قرن ويروي في عظم قرن أي لا يتعرض له إلا من يقارنه بأساً وشدة . تهللت نواجذه ، مجاز ، والهلل : الضحك شبه تهلل البرق ولمعانه .
- (٩) على الظلام أي وقت الظلام . المخشم : من الغشم وهو الظلمة . الجلد : الصلب القوي . غير مثقل : حسن القبول .

مَنْ حَمَلَنَ بِهِ وَهْنٌ عَوَاقِدُ حُبُّكَ النَّطَاقُ فَشَبَّ غَيْرُ مُهَيَّلٍ (١)
 حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْوُودَةٍ كُرْهَا وَعَقْدٌ نَطَاقُهَا لَمْ يَحْلَلِ (٢)
 فَأَتَتْ بِهِ حَوْشَ الْفَوَادِ مَبْطُنًا سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوَجْلِ (٣)
 وَمَبْرَأٌ مِنْ كُلِّ غُبَرٍ حِيضَةٍ وَفَسَادٍ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مَغِيلٍ (٤)
 مَا أَنْ يَمْسُ الْأَرْضُ إِلَّا مَتَكَبٌّ مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طِيءُ الْمَحْمَلِ (٥)
 وَإِذَا انْتَبَهَتْ مِنَ الْمَنَامِ رَأَيْتَهُ كَرَسُوبٍ كَعَبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزَمَلٍ (٦)
 فَإِذَا طَرَحَتْ لَهُ الْحِصَاةَ رَأَيْتَهُ يَتَرَوُ لَوْقَتَهَا نَزْوً الْأَخْيَلِ (٧)
 وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفُجَاجَ رَأَيْتَهُ يَنْضَوُ غَارِمَهَا هَوًى الْأَجْدَلِ (٨)
 وَإِذَا نَفَارَتْ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهَهُ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ (٩)

- (١) مَمَّنْ حَمَلْنِ : الضمير للنساء • حُبُّكَ النَّطَاقُ • المَسْرَادُ به حبك الثياب لأن النطاق لا يكون له حبك • والحبك واحدا حببك • والمعنى أنه من الفتيان الذين حملت أمهاتهم بهم وهن غير مستعدات للفراش •
- (٢) مَزْوُودَةٌ • من الزُّود : الذعر • كُرْهَا : كَارَهَا • النَّطَاقُ مَا تَنْتَظِقُ بِهِ الْمَرَأَةُ تَشْدُ بِهِ وَسَطَهَا لِلْعَمَلِ وَذَاتِ النَّطَاقِينَ أَسْمَاءُ بَنَتْ أَبِي بَكْرٍ • وَالْمَعْنَى أَنَّهَا أَكْرَهَتْ وَلَمْ يَحْلُ نَطَاقُهَا •
- (٣) حَوْشُ الْفَوَادِ : وَحْشِيهِ لِحَدَثِهِ وَتَوَقُّدِهِ ، وَرَجُلٌ حَوْشَى لَا يَخَالُطُ النَّاسَ وَلَيْلٌ حَوْشَى مَظْلَمٌ هَائِلٌ : مَبْطُنٌ : خَمِيصُ الْبَطْنِ الْهَوَجْلِ : الثَّقِيلُ الْكَسْلَانُ وَقِيلَ الْأَحْمَقُ •
- (٤) غُبَرُ الْحِيضِ : بَقَايَاهُ وَيُرْوَى مَبْرَأً بِالْفَصْبِ وَمَبْرِئٌ بِالْجَرِّ فَالْمَنْصِبُ عَطْفٌ عَلَى غَيْرِ مُهَيَّلٍ وَالْجَرُّ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ جَلَدَ مِنَ الْفَتَيَانِ • وَفَسَادٌ مُرْضِعَةٌ : أَضَافَ الْفَسَادَ إِلَى الْمُرْضِعَةِ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْفَسَادَ الَّذِي يَكُونُ مِنْ جَهْتِهَا مَغِيلٌ : الْمَغِيلُ مِنَ الْغِيلِ وَهُوَ أَنَّهُ نَفَسُ الْمَرَأَةِ وَهِيَ تَرْضِعُ بِذَلِكَ اللَّبَنَ الْغِيلَ : وَيُرْوَى وَدَاءٌ مَعْضَلٌ وَهُوَ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ كَأَنَّهُ أَعْضَلَ الْأَطْيَاءَ •
- (٥) الْمَحْمَلُ : حِمَالَةُ السَّيْفِ •
- (٦) وَإِذَا انْتَبَهَتْ مِنَ الْمَنَامِ ، يَرَوَى : وَإِذَا يَهَبُ مِنَ الْمَنَامِ ، وَالْمَعْنَى : إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ انْتَصَبَ انْتَصَابَ كَعَبِ السَّاقِ •
- (٧) طَرَحَتْ • نَبَذَتْ • رَأَيْتُهُ : جَوَابُ إِذَا رَأَيْتَهُ • نَزْوُ الْأَخْيَلِ وَيُرْوَى طَمُورُ الْأَخْيَلِ ، وَالطُّمُورُ : الْوُثُوبُ •
- (٨) الْفَجْ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ فِي الْجَبَلِ وَنَحْوِهِ وَالْجَمْعُ فَجَاجٌ • الْمَخَارِمُ : جَمْعُ مَخْرَمٍ وَهُوَ مَنْقُطَعُ أَنْفِ الْجَبَلِ • وَالْخَرَمُ : أَنْفُ الْمَجْمَلِ الْأَجْدَلِ : الصَّقَرُ •
- (٩) الْأَسْرَةُ : جَمْعُ صَرَارٍ وَهِيَ الْخَبُوطُ الَّتِي فِي الْوَجْهِ الْعَارِضُ : مَنْ السَّحَابُ الَّذِي يَعْضُضُ فِي جَانِبِ السَّمَاءِ • وَالْمَعْنَى يَصْقَهُ بِحَسَنِ الطَّلَعَةِ وَطَلَاةِ الْوَجْهِ •

نحني الصحاب إذا تكون كريمة^(١) وإذا هم أزموا فمأوى العييل^(٢)
ثم نعقب الكلام في المديح بالكلام في الهجاء .

٢ - نعت الهجاء

إنه قد سهل السبيل إلى معرفة وجه الهجاء وطريقه ما
قدم في قولنا في باب المديح وأسبابه ، إذ كان الهجاء ضد
المديح فكلما كثرت أصداد المديح في الشعر كان أهجى له ثم
تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجي فيها وكثرتها ، فمن الهجاء
المقلدع الموجه ما أنشدناه أحمد بن يحيى :

كأثر سعدٍ إنَّ سعداً كثيرةً ولا تبغ من سعد وفاء ولا نصراً^(٣)
ولا تدعُ سعداً للقراع وخطها إذا أمنت من روعها البلد الفقراً^(٤)
يروعك من سعد بن عمرو جسومها وتزهدُ فيها حين تقتلها خيراً

فمن إصابة المعنى في هذا الهجاء أن هذا الشاعر سلم هؤلاء
القوم أمرين يظن أنهما فضيلتان ، وليستا بحسب ما وصفناه
من الفضائل فضيلتين ، وهما : كثرة العدد وعظم الخلق ، وغزا
بذلك مغازي دلت على حذقه في الشعر :

فمنها : أن أدخل لهم هجاء في باب الأقوال الصادقة لإعطائه
إياهم شيئاً ومنعه لهم شيئاً آخر وقصده بذلك أن يظن أن قوله
فيهم إنما هو على سبيل الصدق وذكره إياهم بما فيهم من جيد
وردي .

(١) العييل جمع عائل : وهو الفقير .

(٢) الكاثر : الكثير وعدد كاثر كثير ، يقول الاعشى :

ولست بالاكثر منهم حصي وإنما العزة للكاثر

(٣) القراع : القتال . خيراً : اختبأ . خبره بالضم وخبرة بالكسر :
بلاء .

ومنها : ما بان من معرفته بالفضائل حتى يميز صحيحها من باطلها فسلم الباطلة ومنع الصحيحة .

ومنها : أنه قطع عن هؤلاء القوم ما يعتذر به الكرام من قلة العدد ، فإن الكرام أبدأ فيهم قلة ، كما قال السموأل :

تعبني أنا قليلٌ عديدنا فقلت لها إن الكرام قایلٌ^(١)

ومن خبيث الهجاء ما أنشدناه أحمد بن يحيى أيضاً :

إن يغدروا أو يشجروا أو يبخلوا لا يخفلوا
يغدوا عليك مُرجلين كأنهم لم يفعلوا

فمن جودة هذا الهجاء أن الشاعر به نعد أصداد الفضائل على الحقيقة فجعلها فيهم لأن الغدر ضد الوفاء والفجور ضد الصدق والبخل ضد الخود ثم أتى بعد ذلك بضد أجل الفضائل وهو العقل حيث قال : وغدو عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا ، لأن هذا الفعل إنما هو من أفعال أهل الجهل والبهيمة والقحة التي هي من عمى القوة المثيرة كما قال جالينوس في كتابه في أخلاق النفس .

ولزياد الأعجم في غياض بن حصين بن المنذر :

وسميت غيَاضاً ولستَ بِغَائِظٍ عدواً ولكن للصدِّيقِ تَغِيظُ
عدوُّكَ مسرورٌ وذو الردِّ للذي يرى بك من غيظٍ عليك كظايط^(٢)
تسني لما أوليت من صالحٍ مضى وأنتَ لتعدادِ الذُّنُوبِ حَفِيطُ

(١) تعيرنا : يقال عيرته كذا وهو المختار . وقد جاء عيرته بكذا . ان الكرام قليل : نعم ان الكرام قليل ولهذا تجد أن الموت يعتامهم وولوع الدهر بهم وتضحيتهم في الدفاع عن أحسابهم واهانة كرائم نفوسهم مخافة لزوم العار لهم .

(٢) كظايط : المغتاط اشد الغيظ .

تَلِينُ لِأَهْلِ الْغِيلِ وَالْفَدْرِ مِنْهُمْ وَأَنْتَ عَلَى أَهْلِ الصَّفَاءِ فَظِيظُ^(١)

ومن الهجاء أيضاً ما تجمل المعاني كما يفعل في المدح ، فيكون ذلك حسناً إذا أصيب به الغرض المقصود ، مع الإيجاز في اللفظ وذلك مثل قول العباس بن يزيد الكندي في مهاجاته جريراً ، ومعارضته إياه ، في قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميمٍ حسبت الناس كلهم غضاباً
لو اطلع الغرابُ على تميمٍ وما فيها من السوءاتِ شأبا^(٢)

ومثل قول مرة بن عداء الفقعسي :

وإذا تسرّكت من تميمٍ خصلةٌ فلما يسوءك من تميمٍ أكثرُ
وقول الآخر :

ويقضى الأمرُ حينَ تغيب تميمٌ ولا يستأذنونَ وهمُ شهودُ
وللحكيم الحضري :

ألم تر أنهم رقيموا بلؤمٍ كما رقيت بأذرُعها الحميرُ^(٣)
ومثل قول أعشى باهلة :

بنو تميمٍ قرارةٌ كلُّ لؤمٍ لكل مصب سائلة قرار^(٤)

وقد تبع أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الأعشى في هذا المعنى فقال :

(١) الغمر : الكريم الواسع الخلق • فظيظ : سيء الخلق • الغل : الحقد .
(٢) السرواة : الفاحشة والخلة القبيحة .
(٣) رقيموا بلؤم : أي عرفوا وتميزوا به كما تخطط الحمير بالكي بالنار وبذلك تعرف بهذا الكي .
(٤) القرارة : ما يقر فيه .

أضحوا بمستن سيل اللؤم وارتفعت أموالهم في هضاب المطل والعلل^(١)

ومثل قول الآخر :

لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو أسد

ومثل قول الآخر :

قوم إذا ما جنى جانبيهم أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قوداً^(٢)

ومثل قول زياد الأعجم :

إنني لأكرم نفسي أن أكلفها هجاء جرم ولما يهجم أحد^(٣)
ماذا يقول لهم من كان هاجيهم لا يبلغ الناس ما فيهم وإن جهدوا

ومثل قول أوس بن معزة :

فلست بعاف عن شيمة عامر ولا حابسي عما أقول وعيدوها^(٤)
تري اللؤم ما عاشوا جديداً عليهم وأبقى ثياب اللابسين جديدها
لعمرك ما تبلى سراويل عامر من اللؤم ما دامت عليها جلودها

هذه الأبيات قالها أوس وهو يهاجي النابغة الجعدي ، فيقال إن النابغة كان يقول إني وأوساً نبتدر بيناً فمن قاله غلب على صاحبه فلما قال أوس البيت الأخير قال هذا هو البيت الذي كنا نبتدره فغلب أوس عليه .

ومثل قول عباس بن مرداس السلمى في سفيان بن عبد يغوث النصري :

وأ وعد وقل ما شئت إنك جاهل على أما أنت امرؤ من بني نصر

(١) المعنى أن أموالهم متحصنة بحيث لا يراها السائلون .

(٢) القود : القصاص .

(٣) جرم : بطن من بطون طيء أو هي بطن من بطون قضاة . جهدوا : بلغوا نهاية طاقتهم ووسعهم في الهجاء . زياد : شاعر أموي مشهور توفي عام ١٢٠ هـ .

(٤) عامر : هي قبيلة النابغة الجعدي .

وما أجود ما قال الفرزدق في عبدالله بن عمير الليثي حيث
هرب من أبي فديك الخارجي وكان يتمنى لقاء الخوارج .

تَمَنَيْتَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتَهُمْ تَرَكْتُ لَهُمْ عِنْدَ الْجِلَادِ السَّرَادِقَا^(١)
وَأَعْطَيْتُ مَا تَعْطِي الْحَلِيلَةَ بَعْلَهَا وَكُنْتُ حِبَارَى إِذْ رَأَيْتَ الْبَوَارِقَا^(٢)

وفي قوله « ما تعطي الحليلة بعلاها » مع إيجازه عجائب ،
وكذلك في قوله « حبارى » .

ومنهم من يفرط في ذكر نقيصة واحدة كما يغلو عند المدح
في فضيلة واحدة ، فمن ذلك للحطيئة يفرق في ذكر البخل وحده :

كَدَدْتُ بِأُظْفَارِي وَأَعْمَلْتُ مَعُولِي فَصَادَفْتُ جُلُودًا مِنَ الصَّخْرِ أَمْلَسَا^(٣)
تَشَاغَلَ لَمَّا جِئْتُ فِي وَجْهِ حَاجَتِي وَأَطْرَقَ حَتَّى قَلْبَ قَدَمَاتٍ أَوْ عَسَى
وَأَجْمَعْتُ أَنْ أَنْعَاهُ حِينَ رَأَيْتُهُ يَفُوقُ فُوقَ الْمَوْتِ حَتَّى تَنْفَسَا^(٤)
فَقُلْتُ لَهُ لَا بِأَمْسٍ لَسْتُ بِعَائِدٍ فَأَفْرَخُ تَعْلُوهُ السَّمَادِيرُ مَلْبَسَا^(٥)

ولحرير في ذكر العجز وحده :

وَلَا يَتَقَوْنَ الشَّرَّ حَتَّى يَصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا مِنَ النَّذْرِ^(٦)

ثم ينظر أقسام المديح وأسبابه فيجري أمر الهجاء بحسبها في
المراتب والدرجات والأقسام ، ويلزم ضد المعنى الذي يدل عليه
إذ كان المديح ضد الهجاء ولنتبع القول في الهجاء بالقول في
المراثي .

(١) الجلال : القتال • السرادق : الذي يمد فوق صحن البيت •

(٢) الحبارى : طائر للذكر والانثى • البوارق : السيوف •

(٣) كددت : اجتهدت • معولي : قاسي •

(٤) يفوق فوقًا : يخرج صوته •

(٥) فأفرخ : هدا وسكن روعه • السمادير : ضعف البصر •

(٦) النذر : النحب والارش جمعه نذور والنذر لا تكون الا في الحراج

صفارها وكبارها •

٢ - نعت المراثي

ليس بين المراثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك ، مثل : كان ، وتولى ، وقضى نحبه ، وما أشبه ذلك ^(١) . وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه ، لأن تأييد الميت إنما هو بمثل ما كان كان يمدح في حياته ، وقد يفعل في التأييد شيء يتفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كأن وما جرى مجراها ، وهو أن يكون الحي مثلاً يوصف بالجوود ، فلا يقال كان جواداً ولكن يقال ذهب الجود أو فمن للوجود بعده أو ليس الجود مستعملاً مذ تولى ، وما أشبه هذه الأشياء ، كما قالت ليلي الأحميلية ^(٢) ترثي توبة ^(٣) بن الحمير بالنجدة على هذه السبيل :

فليس رجالُ الحرب يأتون بعدها بعارٍ ولا غادرٍ بركب مسافر

ومن الشعر من يرثي بذكر بكاء الأشياء التي كان الميت يزاولها ، وغير ذلك ، ومثله يحتاج إلى تعلم صحة هذا المعنى ، في مثل ما تكلم به في مثل هذه الأشياء ، فإنه ليس من إصابة المعنى أن يقال في كل شيء تركه الميت بأنه يبكي عليه ، لأن من ذلك ما إن قيل إنه بكى عليه لكان سيئة وعيباً لاحقين له .

فمن ذلك مثلاً إن قال قائل في ميت : بكى الخيل إذ لم تجد لها فارساً مثلك كان مخطئاً ، لأن من شأن ما كان يوصف في حياته بكده إياه أن يذكر اغتيابه بموته ^(٤) وما كان في حياته يوصف بالإحسان إليه أن يذكر اغتمامه بوفاته ، ومن ذلك إحسان النساء في

(١) هذا خطأ من قدامة فالتجربة الشعرية في الرثاء غيرها في المدح .

(٢) شاعرة أموية مشهورة توفيت عام ٨٠ هـ .

(٣) توبة الخفاجي شاعر أموي توفي عام ٦٧ هـ .

(٤) ليس ذلك ضرباً لازماً في كل حال .

مرثيتها صخراً وإصابتها المعنى ، حيث قالت تذكر اغتباط حذفة فرس
بموته :

فقد فقدتلك حذفة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها^(١)

ولو قالت : فقدتلك حذفة فبكت ، لأخطأت ، وبكاء من يجب
أن يبكي على الميت إنما هو من كان يوصف إذا وصف في حياته
بإغائته والإحسان إليه كما قال كعب بن سعد الغنوي في مرثية أخيه :

ليبكك شيخ لم يجد من يُعينه وطاوي الحشا نائي المزار غريب^(٢)

وكما قال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي :

ليبكك الشرب	والمدامة	والفتيان طراً	وطامعاً طمعا ^(٣)
وذات هدم	عار نواشرها	تصت بالماء	تولبا جنعا ^(٤)
والحي إذ حاذروا الصباح	وإذ	خافوا مغيرا	وسائراً تلعا ^(٥)

فيجب أن يتفقد مثل هذا في إصابة الغرض والانحراف عنه .

وإذا قد تبين بما قلنا آنفاً أنه لا فضل بين المديح والتأبين إلا في
اللفظ دون المعنى ، فإصابة المعنى به ومواجهة غرضه هو أن يجري

(١) حذفة : اسم فرس صخر : والمعنى لبيتك ترى الآن ما صارت اليه
فرسك من الراحة والقوة والسمن لأنها استراحت من غزو صخر عليها .

(٢) الحشا : ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وغيره . والمعنى :
طاوي الحشا من شدة الجوع . نائي المزار : بعيد .

(٣) الشراب : بالفتح جماعة الشاربين . المدامة : الخمر . طرا : جميعاً .

(٤) ذات هدم : أي خلق بالية . عار نواشرها : أذرعها عارية . التولب :
ولد الجحش الصغير . جدعا : سيء الغذاء .

(٥) حاذروا الصباح : خافوا من مجيئه لانه وقت اغارة وحرب وهم
قد فقدوا شجاعهم والمدافع عنهم . تلعا : طويل الظهر أو العنق .

الأمر فيه على سبيل المديح ^(١) . فمن المراثي التي تشبه في المديح استيعاب الفضائل التي قدمنا ذكرها ، والأبيات عليها مثل قول كعب ابن سعد الغنوي يرثي أخاه :

لَعَمْرِي لَنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مُصِيبَةً أَخِي وَالْمَنَابَا لِلرَّجَالِ شَعُوبٌ
لَقَدْ كَانَ أَمًّا حَلَمَهُ فَمَرَّوحٌ عَلَيْنَا وَأَهْأَ جَهْلُهُ قَفَرِيبٌ
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ هَيُوبٌ ^(٢)

فقد أتى في هذه الأبيات بما وجب أن يأتي به في المراثي ، إذ أصاب بها المعنى ، وجرت على الواجب ، أما في البيت الأول فتذكر ما يدل على أن الشعر مرثية هالك لا مديح لباقي ، وأما في الأبيات الأخرى [فقد بكى فيه الصفات] الأربع التي هي العقل والشجاعة والعفة والحلم ثم افتن كعب في هذه المرثية بعد ذلك وزاد في وصف بعض الفضائل ما لم يخرج به عن استقامة ، وهو قوله :

حَلِيمٌ إِذَا مَا سُورَةُ الْجَهْلِ أَطْلَقَتْ حَيًّا الشَّيْبَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غُلُوبٌ ^(٣)
كَعَالِيَةِ الرَّمْحِ الرُّدْيِيِّ لَمْ يَكُنْ إِذَا ابْتَلَرَتْ الْقَوْمُ الْعَلَاءَ يَنْجِبٌ ^(٤)
فَإِنِّي لِبَاكِهِ وَإِنِّي لَصَادِقٌ عَلَيْهِ وَبَعْضُ الْقَاتِلِينَ كَذُوبٌ
لِيَبْكَكَ شَيْخٌ لَمْ يَحْدُ مِنْ يُعِينُهُ وَطَاوِي الْحَشَا نَائِي الْمَزَارِ غَرِيبٌ
جَمُوعٌ خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِذَا جَاءَ جِيَاءٌ بِهِنَّ ذَهُوبٌ ^(٥)
فَتَى لَا يَبَالِي أَنْ يَكُونَ لِيَجْصِمُهُ إِذَا نَالَ خِلَائَتِ الْكَرَامِ شَحُوبٌ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحَلَمُ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ مَعَ الْحَلَمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهْيبٌ

(١) هذا خطأ من أساسه ، فالفرق كبير جدا بين المدح والثناء .

(٢) هيبوب : محاذر كثير الخوف والاحجام .

(٣) سورة الجهل : شدته . اللجوج : المترعدة المتعادية في ما هي عليه .

(٤) عالية الرمح : أعلاه .

(٥) جموع خلال الخير : مسرع اليه . جياء : كثير المجيء .

إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا فلم ينطقوا العوراء وهو قريب^(١)

ومثل قول أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي بجميع الفضائل التي ذكرناها إلا العفة وحدها ، فإنه ترك ذكرها ، إلا أنه في بعض القصيدة وصفه بالكمال ، وفي الكمال كل فضيلة من العفة وغيرها .

أبا دليجة من يكفي العشرة إذ أمسا من الخطب في نار وبلبال^(٢)
أم من يكون خطيب القوم إذ حفلوا لدى الملوك ذوي أيد وإفضال
أم من لأهل لواء في مسكعة من حقهم لبسوا حقاً بأبطال^(٣)
أم من لحى أضاعوا بعد أمرهم بين القسوط وبين الدين زلزال^(٤)
فوجت غمتهم وكنت معينهم حتى استقرت نواهم بعد تزوال^(٥)

فقد رثاه في هذه الأبيات بما جانس العقل والرأي واللسان ونحو ذلك ، وقال :

أبا دليجة من يوصي بأرملسة أم من لأشعث ذي طمرين طملال^(٦)
وما خليج من المراز ذو حذب يرى الضرب بنحش الأيك والضال^(٧)
يوماً بأجود منه حين تسأله ولا مغب ببحر بين أشبال^(٨)

(١) التحفظ : قلة الغفلة في الأمور والتميقظ من القطة كأنه لى حذر .
(٢) البلبال : شدة الهم والوساوس .
(٣) المسكعة : المضلة من الأرضين لا يهتدي فيها لوجه الامر لبسوا : خلطوا .

(٤) القسوط : الجور والعدول عن الحق .
(٥) نواهم : أقامتهم .
(٦) الطمر : بالكسر الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف جمعه أطمار . الطملال : العاري من الثياب والفقير السيء الحال القبيح الهيئة .

(٧) الايك : الشجر الملتف الكثير . الضال : نوع من الشجر أو الدر البري .

(٨) المغب : الاسد . البرح : الشدة والشر . الاشبال : جمع مفردة شبل وهو ولد الاسد اذا أمرك الصيد .

ليثٌ عليه من البردي هيرية كالمرزباني عياراً بأوصال^(١)
يوماً بأجراً منه جدياً بادره على كي بمهد الحد فصّال

وقد رثاه في هذه الأبيات بما جانس البذل والجود والسماحة
والشجاعة ولم يذكر العفة ، إلا أنه قال في أول القصيدة :

أم حصانٌ فلم تضرب بكلتها قد طفت في كل هذا الناس أحوالي
أي امرئ سوقة ممن سمعت به أندي وأكل منه أي إكمال

وقال أوس [بن حجر] يرثي فضالة :

أيتها النفسُ أجملِي جزعاً إن الذي تحذرين قد وقعاً
إن الذي جمعَ السّماحة والنجدة والبأس والنّدَى جُمعاً
الألمي الذي يغان بك الظنّ كأن قد رأى وقد سمعاً^(٢)

فقد جمع في هذه المراثية جميع الفضائل ووضع الشيء من ذلك
مواضعه .

ومن المراثي التي تشبه في المديح اقتضاب المعاني واختصار الألفاظ
ما قاله أوس في قصيدته يرثي فضالة التي أولها :

ألم تكسف الشمسُ شمسُ النهار معَ النجم والقمرِ الواجبِ
لهلك فضالة لا تستوي الفَقود ولا خائسة الداهِبِ
وأفضلتَ في كل شيء فما يقاربُ معيكَ من طالبِ

(١) الهيرية ما يتناثر من البردي فيبقى في شعره متلبداً . عيار : هو
الذي يذهب بأوصال الرجال إلى أجمته .

(٢) الألمي : قال صاحب اللسان هو الداهية الذي يتظن الأمور فلا
يخطئ . وقيل : هو الذكي المتوقد الحديد اللسان والقلب ، وقال الأزهري :
الألمي : الخفيف الظريف .

نجيحٌ مليحٌ أخو ماقط ثقابٌ يحدثُ بالغائبِ (١)
ويكفي المقالة أهل الرجال غيرَ معيب ولا عائبِ

وليس ينبغي للناظر أن يظن خطأ في وضع مليح موضع المدح
بالفضائل النفسية ، لأن مليحاً في هذا الموضع ليس هو من قولهم
« قريش ملح الناس » أي يستشفي بهم ، والذي يشهد بصحته قوله
ثقاب يحدث بالغائب لأن هذا من جنس الرأي والحدث .

وقال الشماخ في عمر بن الخطاب :

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليُدرِك ما قدمت بالأمس يُسبق (٢)

وقول الخطيئة (٣) يرثي علقمة بن علاثة :

فما كانَ بِنِي لو لقيتك سالماً وبين الفنى إلا ليال قلائل
ولو عشتَ لم أملل حياتي فإن تمت فما في حياةٍ بعد موتك طائل (٤)

ومنهم أيضاً من يفرق في وصف فضيلة واحدة على حسب ما
تقدم ، وتكون جميع الأحوال في المراثي جارية على حسب أحوال
المديح وفي ما تقدم في باب المديح في وصف ذلك ما أغنى عن إعادته
في هذا الموضع ، وليل كلامنا في المراثي الكلام في التشبيه .

(١) ثقاب : ذكي . رجل نجيح : منجح الحاجات ، ورأى نجيع صواب .
الماقط : الشدة .

(٢) فمن يسع أو يركب الخ : من يكلف لحاقله كان سبوقا وضرب
المثل بجناحي النعامة لأنه يضرب به المثل في خفة العدو .

(٣) شاعر مخضرم توفي عام ٢٠ هـ .

(٤) الطائل : الفضل والقدرة والسعة .

٤ - نعت التشبيه

يجب أن نذكر أولاً معنى التشبيه ثم نشرع في وصفه فنقول :

إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات إذ كان الشيطان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحاداً ، فصار الإثنين واحداً ، فبقي أن يكون التشبيه إنمّا يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ، ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها ، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد . ومما جاء من التشبيهات الحسان قول يزيد بن عوف الطيمي يذكر صوت جرس رجل قرى اللبـن :

فغـب دِجـالاً جـرعـه متواتـراً كوقـع السحاب بالطـراف المـدد^(١)

فهذا التشبيه إنمّا يشبه صوت الجرع بصوت المطر على الخباء الذي من آدم ومن جودته أنه لما كانت الأصوات تختلف ، وكان اختلافها إنمّا هو بحسب الأجسام التي تحدث الأصوات اصطكاكها ، وليس يندفع أن اللبن وعصب المري اللذين حدث عن اصطكاكهما صوت الجرع قريب الشبه من الأديم الموتن والماء اللذين حدث عن اصطكاكهما صوت المطر ، وعند سلوك هذه السبيل في تعرف جودة التشبيه يستجد قول جبهاء الأشجعي ، في تشبيه صوت حلب عزر بصوت الكير إذا نفخ :

(١) دخالا : سريعا . غب : شرب شربة بعد شربة . الطراف : الخيمة أي الخباء إذا كان من آدم . المعد : المسوط .

كَأَنَّ أَجِيجَ الْكَبِيرِ أَرْزَامُ شُخْبِهَا إِذَا امْتَاَحَهَا فِي مَحَلِّ الْحَيِّ مَائِثٍ^(١)

وقال أوس بن حجر يشبه ارتفاع أصواتهم في الحرب تارة وهمودها وانقطاعها تارة بصوت التي يجاهد أمر الولادة :

لَهَا صَرْخَةٌ ثُمَّ إِسْكَاتَةٌ كَمَا طَرَقَتْ بِنَفَاسٍ بِكَرٍّ^(٢)

ولم يرد المشبه في هذا الموضع نفس الصوت ، وإنما أراد حاله في أزمان مقاطع الصرخات ، وإذا نظر في ذلك وجد الذي وقف بين الصوتين واحداً وهو مجاهدة المشقة والإستعانة على الألم بالتبديد في الصرخة .

ومن جيد التشبيه قول الشماخ يذكر لواذ الثعلب من العقاب :

تَلَوْدُ ثَعَالِبُ الشَّرَفِينَ مِنْهَا كَمَا لَاذُ الْغَرِيمِ مِنَ التَّبِيعِ^(٣)

وقد يختلف اللواذان بحسب اختلاف اللانذين ، فأما التبيع فهو ملح في طلب الغريم لفائدة يرومها منه ، والغريم بحسب ذلك مجتهد في الروغان في اللواذ خوفاً من مكروه يلحقه ، وكذلك الثعلب والعقاب سواء ، لأن العقاب ترجو شبعها والثعلب يخاف موته ، وقال الشماخ :

كَأَنَّ عَلَى أَوْرَاكِهَا مِنْ ثُعَابِهِ وَخِيفَةُ خَطْمِي بِمَاءٍ مُرْجَرٍ^(٤)

فشبه لعاب الفحل إذا ظهر على أورك^(٥) لاتن^(٥) عند كدمه إياها

(١) أجيج الكبير : صوته . الشخب : ما خرج من الضرع من اللبن . امتاوحا استندر لبنها . المائث : المستتر اللبن يقال : امتاحت الشمس زغري البعير استندرت عرقه .

(٢) طرقت : من التطريق وهو خروج بعض الولد عند الوضع .

(٣) تلود : تفر . الثعالب : جمع مفردة ثعلب . الشرفين : تثنية شرف وهو ما شرف من الأرض وهو اسم موضع . الغريم : الشخص المدين . التبيع : صاحب الدين .

(٤) الخطمي : بكسر الخاء وفتحها نبات محلل منضج ملين نافع لعسر البول والحصى .
(٥) جمع أتان .

بالخطمي وهو شبيه به في قوام الثخن وفي الرغوة وفي اللون أيضاً ،
وذلك أن الحمار إنما يكثر كدمه ^(١) الاتن في الربيع عند خضرة
الرطب ، وشره في ذلك الوقت .

وقد أحسن الشماع في قوله حين شبه أضلاع الناقة حين براها
السير بالقسي الموتر :
قربت مبراةً كأنَّ ضلوعها من الماسخيات القسيَّ الموترًا ^(٢)

مبراة من البرة التي تجعل في الأنف من الناقة . والماسخيات :
قسي تنسب إلى قوم ؛ وقد أحسن الشماع في هذا التشبيه ، من قبل
اجتماع الأضلاع والقسي الموتر في الشكل والتوتر والأعصاب ،
والأوتار ، ولم يرد إلا الشكل فقط ، وقد أتى على ما فيه .

ولابن أحمر الباهلي يذكر قلب الفرس عند الحركة السريعة :

حتى ضحية طاوياً ذا شرّة وفؤاده زجل كعريف الهدهد ^(٣)

فتواتر نبض قلب الفرس إذا تحرك قريب الشبه من تواتر حركة
عرف الهدهد

وللمرّار :

لها قلاص نعام يرتقن بها كأنهنَّ سبي لابسو الهدم ^(٤)

(١) الكدم : الجماع والمواقعة .

(٢) الموتر : الذي شدت بالآوتار فقد شبه ضلوع الناقة في الانحناء

بالفرس وهذا تشبيه حسن بديع .

(٣) ضحية : اسم فرس الشاعر . شرّة : قوة ونشاط . زجل : كثير

الاضطراب والخفقان .

(٤) القلاص : فواضل ريش النعام .

فما أحسن ما شبه فواضل ريش النعام بانسدال الأطمار الرثة على
اللابس ولا سيما السبي ، فإن في مشيهم أعجمية تشبه مشي النعام ،
وفي ألوان ثيابهم قتمة من الدرن تشبه قتمة ريش النعام ، ففي الشيثين
اشترك في معان كثيرة .

وقد يقع في التشبيه تصرف إلى وجوه تستحسن :

فمنها : أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة كما
قال امرؤ القيس :

له أبطلاً ظبي وساقا وساقا نعاماً وإرخاء سرحان وتقريبُ تنفل^(١)

فأنتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء وذلك أن مخرج قوله له أبطلاً
ظبي إنما هو على أنه له أبطلان كأبطلِي الظبي وكذا ساقان كساقِي
نعام وإرخاء كإرخاء السرحان وتقريب كتقريب التنفل .

ومنها : أن يشبه شيء بأشياء في بيت أو لفظ قصير وذلك كما
قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شئٍ كأنه أساربعُ ظبي أو مساويكُ إسحل^(٢)

ومنها : أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تلك
الأحوال كما قال امرؤ القيس يصف الدرع في حال طيها :

ومشدودة السك موضونة تضائل في الطي كاليسبرد^(٣)

(١) أبطلا ظبي : خاصرنا ظبي وإنما خص الظبي لأنه ضامر وكذلك
النعام لأنها طويلة الساقين . الإرخاء : الجري الذي فيه سهولة مأخوذ من
الرَّخاء وهو الريح السهلة . السرحان : الذئب . تنفل : ولد الثعلب .
(٢) تعطو : تتناول . برخص : بأصابع رخصة لبنة . شئن : خشنة .
أساربع : صفار . ظبي : اسم رملة . الإسحل : شجر يستاك به .
(٣) مشدودة : متداخل بعضها في بعض . السك : الدرع . تضائل في
الطي : يعني إذا طويت صفرت ولطفت حتى تصير كاليسبرد .

ثم وصفها في حال النشر في هذه الأبيات فقال :

تفيضُ على المرءِ أردانها كفيض الآتيِّ على الجدجدِ (١)

وكما قال يزيد بن الطثيرة يشبه رأسه في حال يكون الجمرة عليه
وبعد حلقتها :

فأصبح رأسي كالصخرة أشرفت عليها عقابٌ ثم طارت عقابها (٢)

وأحسن أيضاً في تشبيه رأسه بعد الحلقت بالصخرة ، وذلك أنه
قريب منها في الضخامة والملاسة واللون المائل إلى الخضرة . وقد قال
بعضهم في مثل ذلك :

حنا كل إملاء الأكف كأنها رؤوسُ رجالٍ حُلقت في المواسم

وقال الحسين بن مطير يشبه أفعال رجل مات وكان جواداً :

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ومن أبواب التصرف في التشبيه أن يكون الشعراء قد لزموا طريقة
واحدة من تشبيه شيء بشيء فيأتي الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التي
أخذ فيها عامة الشعراء ، فمن أمثال ذلك أن أكثر الشعراء يشبهون
الحوذ بالبيض كما قال سلامة بن جندل :

كانَ نعاماً باض فوق رؤوسهم بنهي القذاف أو بنهي محقق
وقال :

كانَ نعام الدوِّ باضَ عليهم وأعينهم تحَتَ الحبيك الجواحرِ (٣)

(١) أردانها : أطرافها . الآتي : السيل . الجدجد : الأرض ذات الحصا .
(٢) أشرفت عليها الخ : أي علت عليها ووقفت والمراد شعر العقاب
الذي في مقدم رأسه فإنه قد شبه رأسه قبل حلقتها بالصخرة الصغيرة قد
أشرف عليها عقاب وبعد حلقتها بالصخرة التي طار عنها العقاب .
(٣) الدو : الفلاة الواسعة . الحبيك : جمع حبيكة وهي البيضة .
الجواحر : البيض .

وأكثر الشعراء يلتزمون هذا التشبيه فقال أبو شجاع الأردني :

فلم أرَ إلا الحيلَ تعدو كأنما سنورها فوق الرؤس الكواكب^(١)

وربما كان الشعراء يأخذون في تشبيه شيء بشيء والشبه بين هذين الشئين من جهة ما ، فيأتي شاعر آخر في تشبيهه من جهة أخرى فيكون ذلك تصرفاً أيضاً مثال ذلك أن جل الشعراء يشبهون الدروع بالغدير الذي تصفقه الرياح كما قال أوس بن حجر :

وأملس صولي كنهبي قمره^(٢) أحس بقاع نفخ ريح فأجفلا^(٣)

وقال الآخر :

وعلي سايغة الذبول كأنها سوق الجنوب جناب نهي مفرط^(٤)

وكثير من الشعراء ينحون في تشبيه الدروع هذا المنحى وإنما يذهبون إلى الشكل ، وذلك أن الريح تفعل بالماء في تركيبها إياه بعضاً على بعض ما يشبهه في حال التشكيل فقال سلامة بن جندل عادلاً عن تشبيه الشكل إلى تشبيه الالين وذلك أن الالين من دلائل جودة الدرع لصغر قتيورها وحلقها :

فألقوا لنا أرسان كل نجيفة^(٥) وسايغة كأنها متن خرنسق^(٦)

وقال يذكر بريقها وهو وجه غير الوجهين الأولين :

(١) سنورها : لبوس من قد يلبس في الحرب .
(٢) النهي : بفتح النون وكسرهما الغدير أو شبهه . القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .
(٣) سايغة الذبول : درع تامة طويلة واسعة . الجنوب : ريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا . نهي مفرط : غدير غزير .
(٤) أرسان جمع رسن وهو الحبل وما كان من زمام على أنف . نجيفة : الناقة السريعة . المتن : الظهر . خرنسق : أرنب والمعنى درع لين كأنه ظهر أرنب .

مداخلة^١ من نسج داود^٢ صكهها كتركب ضاح من عماية مشرق

ومن التشبيه الجيد للحكم الخضري يصف غليان القدر بما فيها
من قطع اللحم :

كان^٣ جذول^٤ النَّابِ فيها إذا غلت دعاميص^٥ تحشى صائداً فتعوم^٦

ولقيس بن زهير :

كان^٧ خذاري^٨ف السواعد^٩ بيننا مغالي غواة^{١٠} يلعبون بها لعباً^{١١}

وللارقبان أحد بني عرافة بن سعد بن زيد :

وقد سقوهن سجالات^{١٢} فاستقروا من أجس^{١٣} كأنهن^{١٤} الزنبق^{١٥}

ثم أتبع القول في التشبيه القول في الوصف .

٥ - نعت الوصف

أقول : الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال
والهيئات . ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء
المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر
المعاني التي الموصوف مركب منها . ثم بأظهرها فيه وأولاها
حتى يحكيه بشعره ويمثله للحسن بنعته .

فمن ذلك : قول الشماخ يصف أرضاً تسير النبالة فيها :

(١) الجذل : أصل الشيء . النَّاب : السن خلف الرباعية . الدعاميص :
جمع دعمص وهي دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء .

(٢) خذاري^٨ف : جمع مفردة وهو شيء يدوره الصبي بيده فيسمع
له دوي .

(٣) السجالات : جمع سجال وهو الدلو الضخمة المملوءة ماء .

تقعقع في الآباط منها وفاضها خلت غير آثار الأراجيل ترتمي^(١)

فقد أتى في هذا البيت بذكر الرجالة ، وبين أفعالها بقوله
ترتمي ، ومن الحال في مقدار سيرها بوصفه تقعقع الوفاض ، إذ
كان في ذلك دليل على الهرولة أو نحوها من ضروب السير ودل
أيضاً على الموضع الذي حملت فيه هذه الرجالة الوفاض وهي
أوعية السهام ، حيث قال في الآباط ، فاستوعب أكثر هبثات
النبالة ، وأتى من صفاتها بأولها وأظهرها عليها ، وحكاها
حتى كأن سامع قوله يراها .

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهللي ، يصف حال السيل عند
انقلاع السحاب وسكون المطر :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج^(٢)

ومنه قول رجل من هذيل يصف حال القوم في الحرب عند الجلاء :

كعماغم الثيران بينهم ضرب تمض دونه الحدق

ومثله قوله معاوية بن خنيس النصرى ، من نصر بن قعين ، يذكر
نباهة حية ، وأنه أشهر من جدلم حي آخر :

فنحن الثريا عيوقها ونحن السما كان والمرزم^(٣)

(١) الآباط : جمع ابط وهو باطن المنكب . الوفاض : جمع وفضة وهي
جعبة السهام من الادم . والشمأخ شاعر مخضرم مجيد توفي عام ٢٢ هـ .

(٢) المسيل : موضع سيل الماء كالوادي . عجيج : صوت . تقطع اقران
السحاب . كناية عن نزول المطر .

(٣) العيوق : كركب أحمر مضيء بحبال الثريا في ناحية الشمال ،
ويطلع قبل الجوزاء ، سمي بذلك لأنه يعوق الدبران عن لقاء الثريا . المرزم
والمرزام نجمان وهما مع الشعريين فالذراع القبوضة هي إحدى الرزمين
ونظم الجوزاء أحد للرزمين .

وأنتم كواكبٌ مجهولةٌ تُرى في السماء ولا تعلم

وليزيد بن الصمد يصف آثار خيل وأبل طردها فنجا بها :

ألا رَبُّ غزو ما رَكَبْنَا جِوَادَهُ وما قد عقرنا من صَفِيٍّ ومن قَرَمٍ^(١)
وأصبحن قد جاوزنَ أسفلَ ذي حِسا وآثارُها فوقَ المصيح كالرَّقم

ولعبد الرحمن بن عبد الله ألقس يصف إصغاء السامعين إلى الغناء
الحسن المطرب وهو في سلامة :

إذا ما عَجَّ مِزْهُرُهَا إِلَيْهَا وعاجت نحوهُ أذنٌ كِرامٍ^(٢)
فأصغوا نحوهَا الأسماعَ حَتَّى كأنَّهُمْ وما ناموا نِيامُ

وللمرار بن المنقذ من بلعدوية يصف الفرس الكريم :

ذو مِراخٍ فإذا وَقَرَّتْهُ فذَلولٌ حَسْنُ الخلقِ يَسْرُ^(٣)

وليزيد بن مالك الغامدي ، يصف فعل سنابك الخيل
في الأرض :

يُثْرِنُ بِسَهْلِ الأَرْضِ مِمَّا يَدُسُّهُ عِجَاجاً وبالحران نَارَ الحِبابِ^(٤)

ولعدي بن الرقاع العاملي ، يصف فعل سنابك حمارين
إذا عدوا :

يتعاوران من الغبار ملاءً غرباء محكمة عما نسجها^(٥)

(١) الصفي : من الغنيمة ما اختاره الرئيس لنفسه ويجمع صفايا
قال الشاعر :

لَكَ المِربَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحَكَمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ
القرم : الفحل .

(٢) عَجَّ : صاح . مزهرها : المزهرة كمنبر العود يضرب به . عاجت
نحوه أذن : أي مالت وعطفت . كرام : جمع كريمة والكريمة كل جارحة
شريفة كالأنثى واليد .

(٣) وقرتة : حملته حملاً ثقيلاً .

(٤) نار الحباب : دويبة صغيرة تضيء بالليل ، والمعنى أن ما اقتدح
من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة كالحباب في حالة طيرانها
ليلاً مضيئة .

(٥) يتعاوران من الغبار الخ : أي كل منهما يعير الآخر ملاء من الغبار
الذي يثيره .

تطوي إذا علوا مكاناً ناشزاً وإذا السابك أسهلت نشرها^(١)

ولذي الرمة :

ترى الخود يكرهن الرياح إذا جرت ومي بها لولا التخرج تفرح
إذا ضربتها الريح في المرط أشرفت روادفها وانضم منها الموشع^(٢)

ولنتبع القول في الوصف ، بالقول في النسب .

(١) ناشزا : مرتفعاً . أسهلت : أي سارت في أرض سهلة مستوية ذات غبار . نشرها : الضمير للملاءة أي إذا سارا في مكان عال ذهبت عنهم الملاءة ، وإذا سارا في مكان سهل نشرها فوقهم . وعدي شاعر أموي مجيد .

(٢) الخود : الناعمة الحسنة الخلق جمعها خودات وخود . مي : معشوقة ذي الرمة التخرج : الضيق والملل . المرط : بالكسر كساء من صوف أو خز جمعه مروط . الروائف : الإعجاز ونحو الرمة شاعر أموي مجيد في وصف الطبيعة البدوية . توفي عام ١١٧ هـ .

٦ - نعت النسيب

أقول إن كثيراً من الناس يحتاج إلى أن يعلم أولاً : ما النسيب ؟ ونحن نخده فنقول :

إن النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن ، وقد يذهب على قوم أيضاً موضع الفرق بين النسيب والغزل ، والفرق بينهما إن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله فكان النسيب ذكر الغزل ، والغزل المعنى نفسه .

والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء ويقال في الإنسان انه غزل إذا كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء ، وتجانس موافقاتهن ، لحاجته بالوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه والذي يميلن إليه هو الشماثل الحلوة ، والمعاطف الظرفية والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والمزاج المستغرب ، ويقال لمن يتعاطى هذا المذهب من الرجال والنساء متشاج ، وإنما هو متفاعل من الشجي ، أي متشبه بمن قد شجاه الحب .

ولاذ قد بان أن الذي قلناه على ما قلنا ، فيجب أن يكون النسيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصباية ، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة ، وما كان فيه من التصابي والرقّة أكثر ممسا يكون من الحشن والجلادة ، ومن الخشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الإباء والعز ، وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة ، ووافق الإنحلال والرخاوة ، فإذا كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض .

وقد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة والحمايم الهاتفة والخيالات الطائفة وآثار الديار العافية وأشخاص الأطلال الدائرة ، وجميع ذلك إذا

ذكر احتيج ان تكون فيه أدلة على عظيم الحسرة ومن مضى
الأسف والمنازعة .

ولست اذكر متى سمعت في التشوق بآثار الديار اوجز
ولا اجمع ، ولا ادل على لاعج الشوق ومكمد الوجد من قول
محمد بن عبيد الأزدي :

فلم تدع الأرواحُ والماء والبلى من الدار إلا ما يشوقُ ويشغف^(١)

ولعمري إن عمرو بن أحمر الباهلي قد أوجز وأبان عن تشوق
وعظم تحسر بقوله :

معارفُ تلوى بالفؤاد وإن تَقَلَّ لها بيئي لي حاجة لم تكلم^(٢)

واما قوله « لم تكلم » فهو تجاهل الهائم ، وتدله الواله ، فإنه
قد يحتاج إلى ان يكون في شعر الواق دليل على انه للتحنن .

وممن شاقته المنازل صخر الخضري وقد مر على ربيع فقال :

بليت كما يبل الرداء ولا أرى جناباً ولا أكتاف وزرة تخلقُ
ألوى حيازيمي بن صابئة كما تنطوي الحية المشرق^(٣)

وممن شاقه البرق فأحس ما مر به من الشوق حبيش بن مطر
العامري ، حيث يقول ويذكر خفقان قلبه :

أجذك لا يبدو لك البرق مرةً من الدهر إلا ماء عينيك ينفرف^(٤)

(١) الأرواح : جمع مفردة ربح . الا ما يشوق ويشغف : أي الا رسوما
وآثارا تسبب الشوق والشغف على ما مضى من أيام الانس والتعيم .

(٢) معارف تلوى : المعارف الآثار ، تلوى : تذهب به .

(٣) الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن .

(٤) أجذك : منصوب على المصدرية ولا يقال الا مضافا ومعناه القسم
واليمين .

وَقَلْبُكَ مِنْ فَرَطٍ اشْتِيَاقٍ كَأَنَّهُ بَدَأَ لَامِعٌ أَوْ طَائِرٌ يَنْطَرِّفُ

ولرجل من عبس :

إِذَا اللَّهُ أَسْقَى دِمْنَتَيْنِ بَيْبِلَسَةً مِنْ الْأَرْضِ سُقِيًّا رَحِمَةً فَسَقَاهُمَا ^(١)
نَزَلْنَا بِهِذِي مَتَرَلًا ثُمَّ مَتَرَلًا بِهِذِي قَطَابَ الْمَتَرَلَانِ كَلَاهُمَا
فَبْتُ أَشِيمُ الْبَرْقِ مَرْتَفَعًا لَهُ بَدَأَ عَنْ يَدٍ حَتَّى وَفَى مَنَكِبَاهُمَا ^(٢)

وقال الشماخ :

رَأَيْتُ سَنَا بَرْقٍ فَقُلْتُ لَصَاحِي بَعِيدٌ بَعَلُو مَا رَأَيْتُ سَحِيقُ ^(٣)
فَبَاتَ مَهْمًا لِي يَذْكُرُنِي الْمَوَى كَأَنِّي لِبَرْقٍ بِالْحِجَازِ صَدِيقُ ^(٤)
وَبَاتَ فَوَادِي مَسْتَخْفًا كَأَنَّهُ خَوَافِي عَقَابٍ بِالْجَنَاحِ خَفُوقُ ^(٥)

فأما النسيب نفسه فقد تقدمت أوصافنا له .

ومما اختتم به القول أن المحسن من الشعراء فيه هو الذي يصف
من أحوال ما يجده ما يعلم به كل ذي وجد حاضر أو دائر أنه يجد
أو قد وجد مثله ، حتى يكون الشاعر فضيلة الشعر .

(١) الدمنة : ما ارتفع من الأرض .

(٢) أشيم البرق : يقال شام البرق نظر إليه أين يقصد ، وأين يمطر .
مرتفعاً له : أي واقفاً ثابتاً دائم الثبوت لا تنظر إليه .

(٣) سنا برق : ضوءه . بعلو : اسم موضع وفي رواية يفلج وهي
موضع كذلك بين البصرة وحما . ما رأيت : ما بمعنى الذي . سحيق : بعيد ،
وهو تأكيد معنوي لبعيد . والمعنى : الذي يلمع بعيد .

(٤) مهما لي : محزنًا لي . وحجاز : الأرض المعروفة لأنها سميت
بهذا الاسم حجت بين تهامة ونجد .

(٥) مستخفا : اسم مفعول استخفه الشيء فهو مستخف أي حمله الجهل
والخفة . الخوافي : جمع خافية وهن ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .
هذا والشماخ شاعر مخضرم توفي عام ٢٢ هـ .

فمن ذلك قول أبي صخر الهذلي يصف ما ارى ان كل متعلق
بمودة يجد مثله قوله :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر^(١)
لقد كنتُ آتيها وفي النفس هجرها بتاتاً لأنخري الدهر ما طلع الفجر
فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبتهى لا عرفٌ لدي ولا نكرُ
وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها كما قد تُنسى لبَّ شاربها الخمر

وفي هذه القصيدة ايضاً مرجع آخر ، دال على إفراط المحبة
مبين عن سجية في اهل الهوى عامة وهو قوله :

ويعني من بعد إنكار ظلمها إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عذر
مخافة أني قد عرفتُ لأن بدا لي المجرُ منها ما على هجرها صبر
وإني لا أدري إذا النفس أشرفت على هجرها ما يفعلن في الهجر

وكما قال الشاعر :

يودُّ بأن يمسى سقيماً لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تُرامله^(٢)
ويهتزُّ للمعروف في طلب العلي لتحمد يوماً عند ليل شمائله

فهو من احسن القول في الغزل ، وذلك أن هذا الشاعر قد أبان
في البيت الأول عن أعظم وجد وجدده محب ، حيث جعل السقم
أيسر ما يجد من الشوق ، فإنه اختاره ليكون سبيلاً إلى أن يشفى
بالمراسلة فهو أيسر ما يتعلق به الواقق وأدنى فوائده العاشق ، وأبان
في البيت الثاني عن إعظام منه شديد لهذه المرأة حيث لم يرض لنفسه

(١) كرر الذي للتفخيم . وجواب القسم قوله في البيت الآتي « لقد
كنت آتيها » .

(٢) سقيماً : مريضاً . شمائله : طبائعه مفرد شمال .

كونها على سجيتها الأولى ، حتى احتاج إلى أن يتكلف سجايا مكتسبة يترين بها عندها ، وهذه غاية المحبة ، ووصف الشاعر لذلك هو الذي يستجاد لاعتقاده إذا كان الشعر إنما هو قول ، وإذا أجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد ، لأنه قد يجوز أن يكون معتقد لأضعاف ما في نفس هذا الشاعر من الوجد ، بحيث لم ينكروه وإنما اعتقدوه فقط ، ولم يدخلوا في باب من يوصف بالشعر والقول والنسب قول طريح التقفي :

بسان الخليط وفرق الشمل وعلى التفرق ما بدا الوصل^(١)
أبكاك منهم ما فرحت به ولكل مولد فرحة نكل

ومن هذه الأبيات :

مسودة خلقت فعليتها خوط ومعد مرطها عبل^(٢)
تضع البريم فيستدير على فم ألف كأنه رمل^(٣)
يسجى إذا ما قلت أخفضه ويثور منكشطا إذا يعاو^(٤)
وقيامها حسم وضحكها عند العجيب تبسم رتل^(٥)
وعلا بها عظام فالحقها بنائها ولدانها بل

ولأبي صمغر الهنلي في التصابي والخلاعة :

أراد الشيب مني ختل نفسي لأنسي ذكر ربات الحجال^(٦)

(١) بان : تفرق وابتعد . الخليط : الشريك .

(٢) مسودة : مجذولة الخلق . خوط : ذاعم رفيع كالغصن . ومعد مرطها عبل : أي عنقها ضخم .

(٣) البريم : خيطان مختلفان أحمر وأبيض تشده المرأة على وسطها وعضدها . الفم : التي استوى خلقها وغلظ ساقها فهي قعمة .

(٤) يسجى : ينفط . منكشطا : مرتفعا .

(٥) رتل : حسم .

(٦) ختل نفسي : خداعها .

إذا اختصم الصبي والشيبُ عندي فأفلجت الشبابَ فلا أبالي^(١)

فقد أتينا من ذكر نعوت الأغراض التي نحتها الشعراء من المعاني ، وهي : المديح — والمهجاء وغيرها مما عددناه وشرحنا أحواله ، على ما فيه كفاية لمن له فهم ، وعنده نظر وفحص .

وهذه المعاني التي ذكرناها من أغراض الشعراء فلأنما هي أجزاء من جملة ، وما تكلمنا به فيها مع ما بيناه فيه من الحال فيه مثلاً لغيره واعتباراً في ما لم نذكره .

فأما ما يعم جميع المعاني الشعرية فإننا نبتهديء بذكره وتعبده ، فمن ذلك :

١ - صفة التقسيم

وهي أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ولا يغادر قسماً منها ، مثال ذلك قول نصيب يريد أن يأتي بأقسام جواب المجيب عن الاستخبار :

فقالَ فريقُ القومِ لا وفريقهم نعم وفريقٌ قالَ ويحك لا أدري
فليس في أقسام الإجابة عن مطلوب إذا مثل عنه غير هذه الأقسام

ومثل ذلك أيضاً قول الشماخ يصف صلابة منابك الحمار
وشدة وطئه على الأرض :

منى وقعت أرساغهُ مُطمِئنةٌ على حجرٍ يرفضُ أو يتدحرجُ^(٢)

(١) أفلجت الشباب : نصرت الشباب وجعلته ظافراً • وأبو صخر شاعر أموي مجيد •

(٢) أرساغه : جمع رسخ ، والرسخ بالضم ويضمين الموضع المستدق بين الحافز وموصل الوظيفة من اليد والرجل ويجمع أيضاً على أرسغ • مطمئنة : ساكنة • يرفض : يتفرق ويذهب • يتدحرج : يتتابع •

فليس في أمر الوطاء الشديد إلا أن يوجد الذي يوطأ عليه
رخواً فيرص أو صلباً فيدفع .

ومثال ذلك أيضاً قول الأسعر بن حمدان الجعفي يصف
فرسا على هيئته جميع جهاته :

أما إذا استقبلته فكأنَّه باز يُكفِّفُ أن يطيرَ وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه ساقٍ قموص الوقع عاريةُ النسا^(١)
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثل سرحان الغضا^(٢)

فلم يدع هذا الشاعر قسماً من أقسام النصبية التي يرى الفرس
عليها إلا أتى به . وقد يجوز أن يظن ظان في قولنا أن هذا
الشاعر قد أتى بجميع الأقسام . وكل جسم فله ست جهات
فإذا ذكرت حال أربع منها بقيت جهتان لم تذكر . وحل هذا
الشك إن وقع من أحد هو أن هذا الشاعر إنما وصف فرسا لا جسماً
مطلقاً وللفرس أحوال تمتنع بها من أن تنتصب على كل نصبة ،
ومع ذلك فإن هذا الشاعر إنما وصف الجهات التي يراها الإنسان
من الفرس . إذا كان على بسيط الأرض وكان الرجل قائماً
أو قاعداً . إذ كانت هذه الحال التي يرى الناس عليها الخيل
في أكثر الأمر ، فأما مثل أن يكون الإنسان في عليّة فيرى من
الفرس اعلاه فقط فما أبعد ما يقع ذلك ، ولم يقصده الشاعر ، ولا
له وجه في أن يريده ، إذ كان ليس في ما يعرف ويعهد
من النظر إلى الخيل إلا ما ذكره ، وهو أن تستقبل أو تستدبر أو
تستعرض من أحد الجانبين .

ومثال هذا الباب أيضاً قول (أبي) زيد الطائي :

-
- (١) عارية النسا : النسا عرق من الورك الى الكعب .
(٢) السرحان : الذئب . الغضا : نوع من الشجر .

يا اسم صبراً على ما كان من حدثٍ إنَّ الحوادثَ ملقيٌ ومتنظَرٌ^(١)
فليس في الحوادث إلا أن تكون قد لقيت أو ينتظر لقيها .
ومن انواع المعاني واجناسها ايضاً :

٢ - صحة المقابلة

وهو ان يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض
والمخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على
الصحة ، او يشرط شروطاً ويعدد احوالاً في احد المعنيين ، فيجب
ان يأتي في ما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده ، وفي ما يخالف
بضد ذلك ، كما قال بعضهم :

تقاصرُن واحلُوَيْنَ لي ثمَّ إنه أنت بعدُ أيتامٍ طوالٍ أمرتِ
فقابلِ القصر والحلاوة بالطول والمرارة ، ومثله قول الآخر:
وإذا حديثٌ ساءني لم أكتب وإذا حديثٌ سرَّني لم أشير^(٢)
فقد جعل بإزاء سرني ساءني ، وبإزاء الاكتئاب الأشير
وهذه المعاني غاية في التقابل .

ولعقيل بن حجاج :

تشقَّ في حيثُ لم تبعُدْ مصعدَةً ولم تُصوبْ إلى أدنى مهاويها
فجعل بإزاء قوله «تبعُدْ مصعدَةً» أدنى مهاويها ولو جعل
إبزاء الإبعاد في الصعود الهوى من غير ان يقول أدنى المهاوي
لكانت المقابلة ناقصة . كما قال تبعُدْ قال أدنى ، ولو قال «لم تبعُدْ»
لقنع منه بأن يقول تحوي من غير ان يأتي بالدنو .

(١) يا اسم : منادى ترخيم اسماء . الحدث : ما يحدث للانسان من
احوال الدهر وأحداثه وأبو زيد شاعر مخضرم توفي عام ٤١ هـ وكان مجيداً
في وصف الاسد .

(٢) لم أكتب : لم أحزن . الأشير : المرجح .

وللطرماع بن حكيم :

أسرناهم وأنعمنا عليهم وأسقينا دماءهم التراباً
فما صبروا لبأسٍ عندَ حربٍ ولا أدوا لحسن يدٍ ثواباً^(١)

فجعل بلزاء ان سقوا دماءهم التراب وقاتلوهم ان يصبروا،
وبلزاء ان انعموا عليهم ان يشيوا .

ولآخر :

جزى الله عنا ذاتَ بعل تصدقتْ على عزبٍ حتى يكونَ له أهل^(٢)
فلما سنجزيها كما فعلتْ بينا إذا ما تزوجنا وليسَ لها بعل^(٣)

فقد اجاد هذا الشاعر حيث وضع مقابل ان تكون المرأة ذات
بعل (انه عزب) ، وقابل حاجته وهو عزب بحاجتها وهي عزبة ،
من غير أن يفادر شرطاً ولا أن يزيد شيئاً .

٣ - ومن أنواع المعاني صفة التفسير

وهو أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره
الذي يصنعه فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى
به منها ولا يزيد أو ينقص مثل قول الفرزدق^(٤) رحمه الله :

لقد جئتُ قوماً لو بلأتُ إليهم طريدَ دمٍ أو حاملاً ثقلَ مغرم

فلما كان هذا البيت محتاجاً إلى تفسير قال :

(١) يد : اليد النعمة مجاز مرسل علاقته السببية . والطرماع شاعر
أموي من زعماء الخوارج توفي عام ١٢٥ هـ وقد حقق ديوانه عزة حسن وهو
مطبوع بدمشق عام ١٩٦٨ .

(٢) البعل : الزوج . عزب : العزب محرقة من لا أهل له .

(٣) سنجزيها : سنكافئها ويروى سنجديها .

(٤) الفرزدق شاعر العصر الأموي توفي عام ١١٠ هـ .

لَأَلْفَيْتُ فِيهِمْ مُعْطِياً أَوْ مُطَاعاً وَرَأَيْتُ شَرْراً بِالْوَشِيحِ الْمَقُومِ
ففسر قوله حاملاً ثقل مغرم بقوله إن يلبق ، فيهم من يطاعن
دونه ويحميه .

ومثله قول الحسين بن مطير الأسدي (١) :

وَلَهُ بَلَاءٌ حَزَنٌ وَلَا بِمَسْرَةٍ ضَحَكٌ يُرَاحُ بَيْنَهُ وَبَكَاءٌ
ففسر بلا حزن ببكاء ولا بمسرة بضحك .

وقال صالح بن جناح اللخمي :

لَنْ كُنْتُ مُحْتَاجاً إِلَى الْحَلَمِ لَأَنْتَ إِلَى الْجَهْلِ فِي بَغْضِ الْأَحَابِيثِ أَحْوَجُ (٢)

وفسر ذلك بأن قال :

وَلِيَ فَرَسٌ لِلْحَلَمِ بِالْحَلَمِ مُلْجَمٌ وَلِيَ فَرَسٌ الْمَجْهَلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ (٣)

فلم يزد المعنى ولا نقص منه ، ثم فسر البيت الثاني أيضاً فقال :

فَمَنْ رَامَ تَقْوِيَّيَ فَلَأَنْتَ مُقَوِّمٌ وَمَنْ رَامَ تَعْوِيَّيَ فَلَأَنْتَ مُعَوِّجٌ

وقال سهل بن مروان :

فَوَاحِشَتْنِي حَتَّى مَتَى الْقَلْبُ مُوَجَّعٌ بِقَصْدٍ حَبِيبٍ أَوْ تَعَذُّرٍ لِإِفْضَالِ

(١) شاعر من مخضرمي الدولتين توفي عام ١٦٩ هـ .

(٢) المراد بالجهل هنا القضب .

(٣) ملجم: أي أن الحلم لا جمعه وممانعه من الوقوع في المكروه . ومسرج :
أي أن الجهل لتمكنه فيه كأنه مسرج فيه . وينسب هذا البيت وما بعده
للأمام علي .

وفسر ذلك فقال :

فراقُ خليلٍ مثله يورثُ الأسى وخلةُ حرٍّ لا يقومُ بها مالى

٤ - ومن أنوأك نعوت المعاني التتميم

وهو ان يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به ، مثل قول نافع بن خليفة الغنوي :

رجالٌ إذا لم يقبلِ الحق منهم ويعطوه عاذوا بالسيوف القواطع^(١)
فما تمت جودة المعنى إلا بقوله : يعطوه وإلا كان المعنى منقوص الضمة .

ومثل قول عمير بن الأيهم التغلبي :

بها نيلنا القرائب من سوانا وأحرزنا القرائب أن تنالا
والذي اكمل جودة هذا البيت قوله « وأحرزنا القرائب
ان تنالا » مع أنهم نالوا القرائب من سواهم .
ومثله قول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديعة تهمي^(٢)
فقوله « غير مفسدها » انما بالجودة ما قاله لأنه لو لم يقل
غير مفسدها لعب كما عيب ذو الرمة^(٣) في قوله :
ألا يا أسلمى يا دارمي على البسلى ولا زال منهلًا يجرعائك القطر

(١) عاذوا : التجثوا .

(٢) صواب الربيع : انصباه . الديعة : المطر الدائم . تهمي : تسيل .
غير مفسدها : تتميم واحتراس للديار من الهدم . وطرفة من الشعراء
الجاهليين أصحاب المعلقة واشهرهم واحدة مات عن ستة وعشرين ربيعاً
(٥٤٠ - ٥٦٦ م) .

(٣) شاعر بدوي وصاف للطبيعة وبيتة البادية . توفي عام ١١٧ هـ .

فإن الذي عابه في هذا القول إنما هو بأن نسب قوله هذا إلى أن فيه
إفساداً للدار التي دعا لها ، وهو أن تعرف بكثرة المطر . ومثل قول
مضر بن ربيعي :

والمانيعونَ إذا كانت ممانعةٌ والعائنون بحسناهم إذا قلدروا
ومثل قول عبيد الراعي :

لا خيرَ في طول الإقامة للفتى إلا إذا ما لم يجد متحولاً^(١)

ومثل قول كعب بن سعد الغنوي :

حليمٌ إذا ما الحلم زينَ أهله مع الحلم في عين العدو مهيب
ومثل قول الأسود بن يعفر :

ألا من لآمني إلا صديق فلاقى صاحباً كأبي زياد
ومثل قول حسان بن ثابت^(٢) :

لم تفتها شمسُ النهار بشيء غير أنَّ الشباب ليس يسدوم
ومثل قول أعشى باهلة :

لا يصعب الأمر إلا ريثَ يركبه وكلُّ أمرٍ سوى الفحشاء يَأْتُرُ^(٣)
ومثل قول النمر بن تولب :

لقد أصبحَ البيضُ الغواني كأنما يرين إذا ما كنتَ فيهنَّ أجرباً^(٤)

(١) يحبيب الشاعر في السفر والقتل والراعي شاعر أموي مجيد .
توفي عام ٩٠ هـ .

(٢) شاعر رسول الله توفي عام ٦٠ هـ ويروى أن وفاته عام ٥٤ هـ .

(٣) الريث : الإبطاء .

(٤) البيض الغواني : النساء الحسنات .

وَكُنْتُ إِذَا لَاقَيْتَهُنَّ بَيْلِدَةً يَقْلَنَ عَلَى النِّكَرَاءِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا

فَقَوْلُهُ « عَلَى النِّكَرَاءِ » أَيْ جُودَةُ الْمَعْنَى وَإِلَّا فَلَوْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ مَعْرِفَةٌ لَمْ يَنْكَرُ أَنْ يَقْلَنَ لَهُ : أَهْلًا وَمَرْحَبًا .

٥ - وَمِنْ أَنْوَاعِ نَعَوْتِ الْمَعَانِي الْمُبَالَغَةِ

وهي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده ، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبغ في ما قصد . وذلك مثل قول عمير بن الأبيهم التغلبي :

وَنَكْرَمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنَتَّبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ سَارَا

فإنكرامهم للجار ما كان فيهم من الأخلاق الحميلة الموصوفة ، واتباعهم الكرامة حيث كان من المبالغة في الحميل .

ومثل ذلك قول الحكم الحضري :

وَأَقْبَحَ مِنْ قَرْدٍ وَأَبْخَلُ بِالْقَرَى مِنْ الْكَلْبِ وَهُوَ غَرَثَانُ أَعْجَفُ^(١)

فقد كان يحز في الذم أن يكون هذا المهجو أبخل من الكلب ، ومن المبالغة في هجائه قوله « وَهُوَ غَرَثَانُ أَعْجَفُ » .

ومن هذا الجنس لدريد بن الصمة :

مَتَى مَا تَدْعُ قَوْمَكَ ادْعُ قَوْمِي فَيَأْتِي مِنْ بَنِي جِثْمٍ فِثَامُ^(٢)
فَوَارِسُ بُهْمَةٍ حَشْدٌ إِذَا مَا بَدَأَ حَضَرَ الْحَيَّةَ وَالْحَذَامُ^(٣)

(١) القرى : الطعام . الغرثان : الجائع . الأعجف : النحيف الذي ذهب سمته .

(٢) الفثام : الجماعة من الناس ودريد بن الصمة شاعر جاهلي أدرك الاسلام ولم يسلم ، وقتل في حنين عام ٨ هـ .

(٣) البهمة : الجيش .

والمبالغة الشديدة في هذا الشعر هي في قوله الحية :

ومنه للحكم الحضري أيضاً :

فكن يا جارهم في خير دار فلا ظلم عليك ولا جفاء

فقوله « فلا ظلم عليك ولا جفاء » تأكيد ومبالغة .

ومنه قول رواش بن تميم ، أحد الغطارييف ، الأزدي :

وإنا لنُعطي النصف منا وإنّا لنأخذهُ من كل أبلّغ ظالم^(١)

فهذه مبالغات مضاعفة مكررة .

ومنه قول مضر^(٢) :

بهم تمرى الحربُ العَوَانُ وفيهمُ تؤدّى القروضُ حلُوها ومريرُها

فقوله « ومريرها » مبالغة .

وكذلك قول أوس بن غافاء المجعبي :

هُمُ تركوكَ أسلَحَ من حُبَارَى رأت صقراً وأشرَدَ من نَعَام^(٣)

١ - ومن نعوت المعاني التكافؤ^(٤)

وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه ويتكلم فيه . أي معنى كان .
فيأتي بمعنيين متكافئين .

والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع أي متقابلين إما من

(١) النصف : الحق كاملاً - الأبلغ : المتكبر .

(٢) مضرس شاعر حسن التشبيه والوصف ، وهو مخضرم (٢٩٠

معجم الشعراء ، ٢٩٢/٢ الخزاعة) . تمرى الحرب : يشتد وطيسها .

(٣) الحبارى : طائر .

(٤) هو الطباق

جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل مثل
قول أبي الشعب العبسي :

حُلُوُ الشَّمَائِلِ وهو مرٌ باسِلٌ يعمي الدمارَ صبيحةَ الأرهان^(١)

فقوله « مر وحلو » تكافؤ .

ومثل قول أم الضحاك المحاربة :

وكيف يساوي خالداً أو يناله خميصٌ من التَّقوى بطينٌ من الخمر^(٢)

فقوله « خميص وبطين » تكافؤ .

ومثل قول طرفة :

بطيء إلى الجلى سريعٌ إلى الخفا ذلولٌ بإجماع الرجال ملهَدٍ^(٣)

فقوله « سريع وبطيء » تكافؤ .

ومثل قول زهير^(٤) :

حاماء في النَّادي إذا ما جِئْتهم جهلاء يومَ عِجاجةٍ وَلِقَاءِ

فقوله « حلباء وجهلاء » تكافؤ .

ومثل قول حميد بن ثور :

فلم أرَ محزوناً له مِثْلُ صوتِها ولا عربياً شاقه صوتُ أعجماء

فقوله « عربي وأعجم » تكافؤ .

(١) الشَّمَائِلُ : جمع الشمال : الطبع . الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .
(٢) الخميص : الضامر البطن . بطين من الخمر : أي كثير الشرب لها .
(٣) الجلى : الشيء العظيم . الخفا : القحش . ملهد : مدفع يدهمه
الناس .

(٤) زهير حكيم الشعراء في الجاهلية ومن النقد من يضعه على رأس
الشعراء الجاهليين ، وكان من أسرة شاعرة ، وهو من أصحاب المعلقة .
توفي نحو عام ١٢ ق هـ .

ومثل قول الآخر :

بطاء عن الفحشاء لا يحضرونها سراع إلى داعي الصبح أحـ المثوب^(١)

ومثل قول عباس بن مرداس :

مطهماً خلقه شماً سنا بكه صلاً على أن في الجنبين أجفارا^(٢)

فجعل « صلاً » مكافئاً لأجفارا .

ومثل قول الفرزدق :

فتى السن كهلُ العلم قد عرفت له قبائلُ ما بين الدني وأباد^(٣)

فقوله « فتى » مكافأة لقوله « كهل » .

وقال الفرزدق أيضاً :

لعمري لن قلّ الحصى في رجالكم بني نهشل ما تؤمكم بقليل^(٤)

فهذا ضرب من المكافأة من جهة السلب .

واستجاد الناس قول دعبل حين روي أنه قال :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحكك المشيبُ برأسه فبكي^(٥)

لأن ضحكك وبكى مكافأة .

(١) بطاء عن الفحشاء : قليلو الاسراع اليها • داعي الصباح : المؤذن للفجر • المثوب : الداعي الى الصلاة •

(٢) المطهم : كمعظم السمين الفاحش السمن • السنبك : طرف الحافر • الصعل : الطويل وقيل الدقيق الرأس والعنق • الجفر : ما عظم واستكرش يجمع على أجفارا • وعباس شاعر صحابي جليل من المخضرمين •

(٣) فتى السن : صغير السن • كهل العلم : قديم فيه • الدنى وأباد : اسمان لموضعين تقطن بينهما تلك القبائل •

(٤) الحصى : العدد •

(٥) ضحك المشيب : أي اشتد بياض شعره • ودعبل شاعر عباسي مشهور توفي عام ٢٤٦ هـ •

وقد أتى المحدثون من التكافؤ بأشياء كثيرة ، وذلك أنه بطباع أهل التحصيل والروية في الشعر والتطلب لتجنيبه أولى منه بطباع القائلين على الهاجس^(١) بحسب ما يستح من الخاطر مثل الأعراب ومن جرى مجراهم^(٢) على أن أولئك^(٣) بطباعهم قد أتوا بكثير منه وقد قدمنا بعضه وما للمحدثين في ذلك [أكثر] مثل قول بشار^(٤) :

إذا أيقظتلك حروب العِدَى فبهِ لهاً عمراً ثمَّ نَمَّ

فه « نَبَّه » « ونَمَّ » تكافؤ .

وله أثر في نجويد الشعر قوي فإنه لو قال مثلاً « فجرد لها عمراً » لم يكن لهذه اللفظة لـ « نَبَّه » من الموضوع مع نم .

٧ - ومن نعوت المعاني الالتفات

وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً إلى ما قدمه فلما أن يذكر سببه ، أو يحل الشك فيه ، مثال ذلك قول المعطل في بني رهم من هذيل :

تَبِينُ صَلَاةُ الْحَرْبِ مَثَلًا وَمِنْهُمْ إِذَا مَا التَّقَيْنَا وَالْمَسَالِمَ بَادِنُ^(٥)

فقوله بادن . رجوع عن المعنى الذي قدمه ، حين بين أن علامة صلاة الحرب أن المسالم يكون بادناً والمحارب ضامراً .

(١) أي على القريحة فهو عند أصحاب الصنعة أكثر منه عند أصحاب الطبع .

(٢) ممن هم من أصحاب الطبع .

(٣) أي أصحاب الطبع .

(٤) زعيم المحدثين توفي عام ١٦٧ هـ .

(٥) البادين : السمين .

وقول الرماح بن ميادة :
فلا صَرمه يُبدُو وفي اليأس راحة ولا وصائه يُبدُو لنا فتُكارمه^(١)

فكأنه [وهو] يقول « وفي اليأس راحة » التفت إلى المعنى لتقدير
أن معارضاً يقول له ما تصنع بصرمة ؟ فقال لأن في اليأس راحة .

ومن هذا الجنس قول عبيدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر :
أجمل إذا ما كنت لا بدّ مانماً وقد يمنع الشيء الفتي وهو مجمل^(٢)

ومنه قول امرئ القيس :
يا هـل أُنَاك وقد يحدث ذو الودّ القديم متمّة الدّحل^(٣)

فكأنه لما قال « أُنَاك » وكان المعنى مسرعين مظهرأ وهم أن
المخاطب يقول له : كيف يبلغني فقال وقد يحدث ذو الود القديم متمّة
الدّحل .

وقول طرفة :
وتكفّ عنك متخيلة الرجل العريض موضحة عن العظيم^(٤)
بحسام سيفك أو لسانك والكلم الأصيل كأرغب الكلم^(٥)

فكأنه لما بلغ بعد « حسام سيفك أو لسانك » قدر أن معترضاً
يعترضه فيقول كيف يكون مجرى السيف واللسان واحداً فقال :
والكلم الأصيل كأشد الجراح وأكثرها اتساعاً .

(١) صرمة : الصرم القطع .
(٢) أجمل : أحسن وتلطف في المنع . والرماح بن أبرد واسم أمه
ميادة : شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين ، وكان جيد الغزل ، توفي عام
١٤٩ هـ (٨٥/٢ - ١١٦) الاغانى ، ١٤٣/١١ - ١٤٨ معجم الادباء ، ١/٧٧
الخزانة) .

(٣) الدّحل : الثّار .
(٤) تكفّ : ترد وتمنع ويروى تصد . العريض : كسكيت الذي يتعرض
للناس بالشر .
(٥) الحسام : السيف القاطع .

ومنه قول جرير بن ربعان :

معاذيلُ الهيجاء ليسوا بزادةٍ مجازيعُ عند اليأس والحرُّ يتصبر^(١)
ففي قوله « والحر يصبر » التفات إلى أول كلامه .

★ ★ ★

وقد يضع الناس في باب أوصاف المعاني الإستغراب والطرافة بأن يكون المعنى مما لم يسبق إليه ، وليس عندي أن هذا داخل في الأوصاف لأن المعنى المستجد إذا كان في ذاته جيداً فلما أن يقال له جيد إذا قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله ، فهذا غير مستقيم بل يقال لما جرى هذا المجرى طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً فلماذا كثر لم يسم بذلك وغريب وطريف هما شيء آخر غير حسن أو جيد لأنه قد يجوز أن يكون حسن جيد غير غريب ولا طريف فمثل تشبيههم الدروع بجباب الماء الذي تسوقه الرياح فإنه ليس جودة هذا التشبيه تعاور الشعراء إياه قديماً أو حديثاً .

وأما طريف وغريب لم يسبق إليه وهو قبيح بارد فملء الدنيا مثل أشعار قوم من المحدثين سبقوا إلى التردى فيها .

والذي عندي في هذا الباب أن الوصف فيه لاحق بالشاعر المبتدئ بالمعنى الذي لم يسبق إليه لا إلى الشعر ، إذ كانت المعاني مما لا يجعل القبيح منها حسناً لسبق السابق إلى استخراجها ، كما لا يجعل الحسن قبيحاً للغفلة عن الإبتداء .

وأحسب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر فلم يكادوا يفرقون بينهما ، وإذا تأملوا هذا الأمر نعيماً علموا أن الشاعر موصوف بالسبق إلى المعاني واستخراج ما لم يتقدمه أحد إلى استخراجها ، لا الشعر .

(١) معاذيل : جمع مفردة معزال وهو من لا رمح معه • الهجاء : الحرب .

ولتتبع بذكر المعاني وهو القسم الرابع من أقسام الشعر المفردات
ذكر الأربعة المركبات التي قدمنا القول فيها في أول الكتاب .
ولنبداً بأولها وهو :

١ - نعت انتلاف اللفظ مع المعنى

من أنواع انتلاف اللفظ مع المعنى :

المساواة :

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص
عنه ، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً ، فقال :
كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على
الآخر .

وذلك مثل قول امرئ القيس :

فإن تكتُمُوا الداء لا تخفِهِ وإن تبَعَثُوا الحربَ لا تُفقدُ (١)
وإن تَقْتُلُونَا نُمَتِّلَكُم وإن تقصدوا الدِّمَّ لا تنصدِ (٢)

ومثل قول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفي على الناس تُعلِّمُ (٣)

ومثل قوله :

(١) لا نخفه : لا نظهره ، أي إذا دفنتم ما بيننا من فتن لا نشيرها نحن .
وإن تبعثوا إلى الحرب لا تفقد ويروى لا نقعد . والمعنى انكم إذا أثرتم الحرب
ثرتنا بها ولا نفقد .

(٢) وإن تقصدوا الخ أي اردتم حقن الدماء لا نخالفكم في ذلك .

(٣) الخليقة : الطبيعة . والمعنى أن من كتم خليقته على الناس وظن
انها تخفي عليهم فلا بد أن تظهر .

إذا أنت لم ترحل عن الجهل والحنأ أصبت حكيماً أو أصابك جاهل^(١)

ومثل قوله :

سمى بعدهم قومٌ لكي يدركوهم فلم يدركوا ما أذكوه ولم يألوا^(٢)

ومثل قول طرفة :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتي لكالطول المرخي وثنيته باليد^(٣)

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود^(٤)

ومثل قول خالد بن زهير بن أخي أبي ذؤيب الهذلي :

فلا تجزعن من سنة أنت سيرتها فأول راض سنة من يسيرها^(٥)

ومثل قول لبلب الأخبيلية :

فلا تبعدك الله يا توب إنما لفاء المنايا دارعاً مثل حاسر^(٦)

ومن أنواع اتلاف اللفظ والمعنى :

الإشارة :

وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها ،

(١) ترحل : تبعد . الحنأ : الفحش . هذا وزهير من أشعر الشعراء الجاهليين ، ومن أصحاب المعلقات وشهر بالحوليات وبالحكمة . توفي نحو ١٣ ق هـ (١ / ٣٧٥ الخزائن - الشعر والشعراء - الاغانى) .

(٢) سعى بعدهم قوم الخ أي تقدم هؤلاء في المجد والشرف وعلو المنزلة وسعى على آثار قوم آخرون لكي يدركوهم فلم يمكنهم .

(٣) لعمرك : بفتح العين أقسم بحياتك ان الموت لا يخطيء الفتي . الطول : الحبل . ثنيته : طرقاه .

(٤) ستبدي : ستظهر .

(٥) سنة : طريقة وعمل .

(٦) توب : ترخيم (توبة) وهو توبة الخفاجي المتوفى عام ٦٧ هـ وكان يهيم حبا بليلى وتوفيت ليلى بعده عام ٨٠ هـ .

أو لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال : هي
لمحة دالة .

ومثل ذلك قول امرئ القيس :

فإن تهلك شئوة أو تبدل^١ فيري إن في غسان خلا
لعزيم عززت وإن يدلوا فذلهم أنالك ما أنالا

فبينة هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان
طوال ، فمن ذلك قوله « تهلك أو تبدل » ، ومنه قوله « إن في غسان
خالا » ، ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح وهو قوله « أنالك ما أنالا » .

ومثل قول طرفة :

موضوعها زول^٢ ومرفوعها مرعاب^٣ لجب وسط الريح

فقوله « زول » مشار^٤ به إلى معان كثيرة وهو شبيه بما يقول الناس
في إجمال نعت الشيء واختصاره : عجب .

وقال آخر :

هاج ذا القلب من تذكر جميل^٥ ما يهيج المتيم^٦ المحزوننا

فقد أشار هذا الشاعر بقوله « ما يهيج المتيم المحزوننا » إلى معان
كثيرة .

ومثل قول امرئ القيس :

على هينكل^٧ يعطيك قبل سؤاله أفانين^٨ جري غير كز^٩ ولا واني^{١٠}

فقد جمع بقوله « أفانين » جرى على ما لو عد لكان كتي^{١١} ، وضم

(١) على هينكل : فرس طويل جميل ذو روعة • أفانين : ضروب •
غير كز : ليس بالمتقبض • ولا وان : غير فاتر •

إلى ذلك أيضاً جميع أوصاف الجودة في هذا الفرس ، وهو قوله « قبل سؤاله » أي يذهب في هذه الأفانين طوعاً من غير حث . وفي قوله « كز ولا واني » ينفي عنه أن يكون معه الكرازة من قبل الجراح والمنازعة والوني من قبل الإسترخاء والفترة .

ومثله أيضاً قوله يصف ذئباً :

فَقَالَ كَشَلَّ الْخِشْفَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ مِثْلَ التَّرَابِ الْمَدْقَقِ^(١)
وَجَاءَ خَفِيًّا يَسْفِنُ الْأَرْضَ بَطْنُهُ تَرَى التَّرَبَّ مِنْهُ لَازِقًا كُلَّ مَلَزَقٍ^(٢)

في هذا الشعر إجمال للمعاني كثير ، وأؤكد ما فيه من ذلك قوله « كل ملزق » .

ومثل قول زهير :

فَلَا بِي لَوْ لَقَيْتَكَ وَاتَّجَهْتَا لَكَانَ لِكُلِّ مُنْكَرَةٍ كِفَاءٌ^(٣)

ومثل قول أوس بن حجر :

فَإِنْ يَهْوَى أَقْوَامٌ رِدَائِي فَلِئَنِّي يَنْقِيَنِ الْإِلَهَ مَا وَقَى وَرْدَائِيَا

ومثل قول قتادة بن طارق الأزدي :

أَهَاجَاكَ رَيْعٌ قَدْ نَحْمَلُ حَاضِرَهُ وَأَوْحَشَ بُعْدَ الْحَيِّ مِنْهُ مَنَظَرَهُ

(١) الخشف : مثلية ولد النطبي أول ما يولد . مثل التراب للصوقه بالارض .

(٢) يسفن الارض : يقشر الارض ببطنه لازقاً كل ملزق . ويروي لاصفا كل ملصق . هذا وامرؤ القيس زعيم الشعراء الجاهليين ومن أصحاب المعلقات وأول من تفتح به صفحة الشعر والشعراء في اللغة العربية .

(٣) منكرة : خبيثة . كفاء : أي شيء يكافئه .

يقول : ما تنظر إلى موضع منه إلا ذكرت فيه من الأنس ممن كان يحله ما قد أوحش في هذا الوقت بخلوه منه .

وللعامة :

كَيْفَ الْفَخَّارُ وَقَدْ صَارُوا لُنُصُوتِكُمْ يَوْمَ الْفَخَّارِ بَنُو ذَبْيَانَ أَرْبَابًا
إِذْ جَزَّ نَاصِيَتِي حَصْنًا وَأَعْتَقَنِي وَذَلِكَ شَيْبَ مِنِّي الْيَوْمَ مَا شَابَا

ولامرىء القيس :

فَقَالَ لَنَا يَوْمٌ لَذِيذٌ بَنِيَمَةٍ فَقُلْ فِي مَقْبَلِ نَحْنُهُ مُتَغَيِّبُ

ولامرأة من عكل :

يَا ابْنَ الدَّاعِي إِنَّمَا عَكْلٌ فَتَمِيفُ لَيْتَ لَعْنَتُ الْيَوْمِ إِنْ لَمْ تَنْصَرِفْ^(١)
أَنَّ الْكَرِيمَ وَاللَّيْمَ يَخْتَلِفُ

ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى :

الإرداف (٢) :

وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع بمتزلة قول الشاعر (٣) :

بَعِيدُهُ مَهْوَى الْقَرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ فَهَاشِمُ

ولأنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص

(١) العكل : بالكسر والضم اللئيم وجمعه أعكال .

(٢) يريد به الكناية .

(٣) هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي المتوفى عام ٩٢ هـ . بعيدة مهوى

القرط : طويلة العنق .

به : بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد . وهو بعد مهوى القروط .

ومثله قول امرئ القيس :

وَبُضْحِي فَتَيْتَ الْمَسْكَ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَوْمُ الضُّحَى لَمْ تَتَنَقَّ عَنْ تَفْصِلِ^(١)

ولمّا أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة وأن لها من يكفيها فقال : « نَوْمُ الضُّحَى » وأن فتيت المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها . وكذلك سائر البيت . أي هي لا تتنق لتخدم ولكنها في بيتها متغضلة . ومعنى عن هذا البيت معنى بعد كذلك قوله :

وَقَدْ اغْتَدَى وَالطَّائِرُ فِي وَكَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ^(٢)

فلمّا أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد فلم يتكلم باللفظ بعينه ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له ، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد وهي الوحوش كالمقيدة له إذا نحا في طلبها . والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة فيقولون هو أول من قيد الأوابد . ولمّا عني بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة حضره ، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن عند الناس من الإستجادة ما جاء من إتيانه بالردف له ، وفي هذا برهان على أن وضعنا الإرداف من أوصاف الشعر ونعوته واقع بالصواب .

(١) الفتيت : ما تفتت من المسك عن جلدها . نَوْمُ الضُّحَى : التي تنام في وقت الضحى لأن لها من الخدم والحشم من يكفيها ويقوم بـلوازم بيتها . لم تتنق : لم تجعل في وسطها نطاقا للعمل في البيت .

(٢) اغتدى : أسير غداة . الوكنات جمع وكنة بضم فسكون وهي عش الطائر . المنجرد : الماضي في السير وقيل هو القليل الشعر . الأوابد : الوحوش النافرة وقيد الأوابد : مبالغة في سرعة العدو : الهيكل : الضخم من كل شيء ويوصف به الفرس الطويل وامرؤ القيس أول من قيد الأوابد وأشعر الشعراء في وصف الفرس .

ومنه قول ليلي الأخيلية^(١) :

ومحرق عنه القميص تحالؤه بين البيوت من الحياء سقيما

فلئما أرادت وصفه بالجلود والكرم فجاءت بالإرداف والتوابع
لها أما ما يتبع الجلود فإن « محرق عنه القميص » المتحوت فسر أن العفاة
تجذبه فتحرق قميصه من مواصلة جذبهم إياه ، وأما ما يتبع الكرم
فالحياء الشديد الذي كأنه من إماتة نفس هذا الموصوف وإزالته عنه
الأشر بخال سقيما .

ومنه أيضاً قول الحكم الخضري :

قد كان يُعجبُ بعضهنَّ براعتي حتى سمينَ تتحنَّحي وسُعالي

فأراد وصف الكبر لا باللفظ بعينه ولكنه أنى بتوابعه وهي السعال
والتحنح .



ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي بسمونها أبيات المعاني
وذلك إذا ذكر الردف وحده وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير
ظاهر أو كانت بينه وبينه أرداف آخر كأنها وسائط وكثرت حتى لا
يظهر الشيء المطلوب بسرعة إذا غمض ؛ ولم يكن داخلًا في جملة
ما ينسب إلى جيد الشعر إذ كان من عيوب الشعر الإنفلاق وتعذر
العلم بمعناه .

ومن نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى :

التمثيل :

وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى

(١) شاعرة : عاشت العصر الإسلامي ، وشيبت بها قومه الخفاجي
(المتوفى عام ٦٧ هـ) وتوفيت عام ٨٠ هـ .

آخر وذلك المعنى الآخر والكلام يثبتان عما أراد أن يشير إليه .

ومثال ذلك قول الرماح بن ميادة^(١) :

ألم تكُ في بُسْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فلا تجعلَنِي بعدهما في شِمَالِكا
ولو أنِّي أَذْنَيْتُ ما كُنْتُ هالِكا على خِصْلَةٍ من صالِحات مهالِكا

فعدل أن يقول في البيت الأول إنه كان عنده مقدماً فلا يؤخره ،
أو مقرباً فلا يبعده ، أو مجتنباً فلا يجتنبه ، إلى أن قال : إنه كان في
يمنى يديه فلا يجعله في اليسرى ، ذهاباً نحو الأمر الذي قصد الإشارة
إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له ، والإبداع في المقالة ؛ وعلى
ذلك قول عمير بن الأيهم :

راحَ القطِينُ من الأوطان أو بكثروا وصدَّ قوامنَ نهارِ الأَمْسِ ما ذكروا^(٢)
قالوا لنا وعرقنا بُعْدَ بَيْنِهِم قولاً فما وردوا عنه وما صدروا^(٣)

فكان يستغني عن قوله « فما وردوا عنه وما صدروا » بأن يقول :
فما تعدوه أو يقول : فما تعدوه أو فما تجاوزوه ، ولكن لم يكن له
من موقع الإيضاح وغرابة المثل ما لقوله « فما وردوا عنه ولا صدروا »

ومن هذا قول بعض بني كلاب :

دع الشرَّ واحللْ بالنَّجاةِ تعزُّلاً إذا هو لم يَصْبُغْكَ في الشرِّ صابِغ^(٤)

(١) أمه أم ولد بربرية وهو شاعر من شعراء مخضرمي الدولتين وكان
جيد الغزل ، توفي عام ١٤٩ هـ (٢ / ٨٠ - ١١٦ الاغانى - ١١ / ١٤٣ -
١٤٨ معجم الادباء - ١٠٥ - ١٠٩ طبقات الشعراء لابن المعتز) .

(٢) القطين : المقيمون من الاحباب . ما ذكروا : من العزم على الرحيل .

(٣) البين : الفرقة .

(٤) تعزلاً : تنحياً على جنب .

ولكن إذا ما الشرُّ ثارَ دفينه عليك فانضج منه ما أنت دابغ^(١)

فاكثر اللفظ والمعنى في هذين البيتين جارا على سبيل التمثيل ، وقد كان يجوز أن يقال مكان ما قيل فيه : دع الشر ما لم تنشب فيه فإذا نشبت فيه فبالغ ولكن لم يكن لذلك من الحظ في الكلام الشعري والتمثيل الظريف ما لقول الكلابي .

ومن هذا قول الآخر :

تركتُ الركابَ لأربابها وأكرهتُ نفسي على ابن الصعق^٢
جعلتُ يديَّ وشاحاً له فأجزأ ذاك عن المعتنق^٣

قوله « جعلت يدي وشاحاً » إشارة بعيدة بغير لفظ الإحتناق وهي دالة عليه .

ومنه قول يزيد بن مالك الغامدي :

فإن أسمعوا ضبْحاً زأرنا فلم يكن شبيهاً بزأر الأسد ضبح الثعالب

فقد أشار إلى قوتهم وضعف أعدائهم إشارة مستغربة لها من الموقع بالتمثيل ما لم يكن لو ذكر الشيء المشار إليه بلفظ .

ومثل ذلك قول عبد الرحمن بن علي بن علقمة بن عبدة :

أوردتهم وصدورُ العيس مُسْنِقة^٤ والصبح بالكوكب الدُّري منحور^(٥)

فقد أشار إلى الفجر إشارة ظريفة بغير لفظه .

وكذلك قول اللعين المتقري يصف ناره :

(١) الدفين : الخفي .

(٢) العيس : بالكسر الابل البيض يخالط بياضها شقرة . مسنقة : بفتح النون خاص بالبعير يقال استنف البعير قدم عنقه للسير .

رأى أم نيران عواناً تكفها بأعرافها هُوج الرياح الطرائد^(١)
فقد أوماً بقوله « أم نيران » إلى قدمها و « عواناً » إلى كثرة عاداته
لإيقادها إيماءً غريباً ظريفاً وإن كانت العرب تذكر ذلك في النار كثيراً.

وقال بعض الأعراب :

فنى صدمته الكأسُ حتى كأنما به فالجٌ من دائها فهو برُعش
فالكأس لا تصدم ، ولكنه أشار بهذا التمثيل إشارة حسنة إلى
سكره .

وقال عباس بن مرداس^(٢) :

كانوا أمام المسلمين رديئةً والبيضُ يومئذٍ عليهم أشمسُ
يريد أن البيض عليهم قد صارت شمساً .

★ ★ ★

وقد يضع الناس من صفات الشعر المطابق والمجانس وهما داخلان
في باب ائتلاف اللفظ والمعنى ، ومعناها أن تكون في الشعر معان
متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة ، فأما
المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها مثل قول زياد الأعجم :
ونُبِّئْتُهُمْ يستنصرون بكاهلٍ واللؤم فيها كاهلٌ وسَنَام

وقال الأفوه الأزدي :

واقطع الهوجل مستائياً بهوجل عيْدانةٍ عَنَتْرِيس^(٣)

(١) الهوجاء : الريح التي تطلع البيوت والجمع هوج وقال ابن الاعرابي
هي الشديدة الهبوب من جميع الرياح .

(٢) شاعر صحابي جليل وهو من المخضرمين .

(٣) العنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة .

فلفظة الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين ، لأن الأول يعني الأرض والثاني الناقة .

وكذلك قول أبي ذؤاد الإيادي :

عهدت لها منزلاً دائراً وإلا على الماء يَحْمِلْنَ إلا
فإلا الأولى في المعنى غير الثاني لأن الأول أعمدة الخيام ، والثاني
من السراب .

وأما المجانس فأن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على
جهة الإشتقاق ، مثل قول زهير :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَجِيرة ماؤهمُ لو أَنهمُ أممٌ^(١)

ومثل قول العوام في يوم المظالي :

وفاضَ أسيرَها به وكأنما مَفَارِقُ مَفْرُوقٍ تَفْشَيْنَ عندما

ومثل قول حيان بن ربيعة الطائي :

لَقَدْ سَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنْ قَتُمِي لَمْ حَد إِذَا لَيْسَ الْحَدِيدُ

ومثل قول الفرزدق :

جَفَافٌ أَجَفَ اللَّهُ مِنْهُ سَحَابَةٌ وَأَوْسَعَهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَصَاحِبُ^(٢)

ومثل قول الكميت^(٣) :

(١) السليل : واد بعينه وما عنا زائدة . الامم : القصد والقرب .
وجواب لو محذوف .

(٢) سفت الريح القرب تسفيه ذرته ، والفرزدق : شاعر العصر الأموي
وناقص جريراً طول حياته ، وكان يقال : لولا الفرزدق لذهب ثلث العربية -
توفي عام ١١٠ هـ .

(٣) الكميت بن زيد الأسدي شاعر الشيعة توفي عام ١٢٦ هـ .

فقل بسلام قد جنتم وسيله إلتنا كمختار الرداف على الرجل^(١)

ومثل قول مسكين الدارمي :

وأقطع الخريق بالخرقاء لاهية إذا الكواكب كانت في السما سرجا

وكما قال النعمان بن بشير لمعاوية بن أبي سفيان :

ألم تبتدركم يوم بدر سيفنا ولبك عما ناب قومك نائم

وقال ذو الرمة :

كان البري والعاج عيجت متونه على عشريني به السبل أبطع^(٢)

وقال رجل من بني عبس :

إن ذل جاركم بالكثرة حالفكم وإن أنفكم لا يعرف الأنفا

وقال المرار :

واعطيفني أن أرى وزائراً واختلف الحي قوماً خلوقاً

(١) الرداف • بوزن كتاب : الموضع يركبه الرديف •

(٢) البري: الخلاخيل • وذو الرمة شاعر أموي مجيد • توفي عام ١١٧ هـ •

نعت اختلاف اللفظ والوزن

وهو أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر الأمر في الوزن إلى تقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها ، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها وهي الأقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه ، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها ، ولا اضطر أيضاً إلى إضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها ، بل يكون الموصوف مقدماً والصفة مقولة عليها ، وغير ذلك مما لو ذهبنا إلى شرحه لاحتجنا إلى إثبات كثير من صناعاتي المنطق والنحو في هذا الكتاب ، فكان يصعب النظر فيه على أكثر الناس ، ولكن في ما أجملته في هذا القول وأشرت إليه من التنبيه على الطريق التي يعرف بها جودة هذا الباب ما كفى ، وأغنى عند ذوي القرائح السليمة ، ومن قد تعلق ببعض الآداب السهلة .

ومن هذا الباب أيضاً أن لا يكون الوزن قد اضطر إلى إدخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجاً إليه ، حتى إذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه أو إسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلا به ، حتى إن فقصده قد أثر في الشعر تأثيراً بأن موقعه . ولم آت في هذا الباب بأمثلة لأن كل شعر سليم ، مما ذكرت ، مثال لذلك ، فأما الأشعار التي (لم) تسلم منه فأنا أذكرها في باب عيوب الشعر إن شاء الله تعالى .

نعت ائتلاف المعنى والوزن

هو أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم تضطر بإقامة الوزن إلى نقصها عن الواجب ولا إلى الزيادة فيها عليه ، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع عن ذلك وتعذر عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته ، والسبب في تركنا أن نأتي لهذا الجنس بأمثلة من الشعر هو السبب في تركنا ذلك في باب ائتلاف اللفظ مع الوزن ، ونحن نذكر ما يجب ذكره من أمثلة عيوب هذا الباب في جملة ما سنذكره من عيوب الشعر .

نعت ائتلاف القافية

هو مع ما يدل عليه سائر البيت أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملاءمة لما مر فيه .

فمن أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى البيت :

التوشيح :

وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته .

مثال ذلك قول الراعي ^(١) :

وَأَنْ وَزَنَ الْحَصَى فَوَزَنْتُ قَوْمِي وَجَدْتُ حَصَى ضَرِينِهِمْ رَزِينًا

فلذا سمع الإنسان أول هذا البيت استخرج منها لفظة قافيته ، لأنه يعلم أن قوله وزن الحصى سيأتي بعده رزين لعنتين :

أحدهما : أن قافية القصيدة توجه .

والأخرى : أن نظام المعنى يقتضيه لأن الذي يفاخره برجاحة الحصى يلزمه أن يقول في حصاه إنه رزين .

وقول عباس بن مرداس :

هَمْ سَوْدُوا هَجْنَا وَكُلَّ قَبِيلَةٍ يَبِينُ عَنْ أَحْدَابِهَا مَنْ يَسُودُهَا

فمن تأمل هذا البيت وجد أوله يشهد بقافيته .

(١) من شعراء العصر الأموي المجيدين وكان قوله كله يذهب في البديع كما يقول الجاحظ في البيان والتبيين - توفي عام ٩٠ هـ .

وقول نصيب (١) :

فقد أبقتُ أن سترولَ ليلٍ وتُحجِبَ عنكَ إنْ نَفَعَ اليَقينُ

وقول مضر بن ربيعي :

تَمَنَّيْتُ أَنْ أَلْقَى سَلِيمًا وَمَالِكًا عَلَى سَاعَةٍ نُنْسِي الْحَلِيمَ الْأَمَانِيَا

ومن أنواع ائتلاف القافية مع سائر معنى البيت :

الإيغال

وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية في ما ذكره صنع ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت كما قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَابِنَا وَأَرْحَلْنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثْقَبُ (٢)

فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية ، وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف ووكده وهو قوله « الذي لم يثقب » فإن عيون الوحش غير مثقبة وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه .

وقال زهير :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِيْنِ فِي كُلِّ مَتَرٍ نَزَلَتْ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَطَّمْ (٣)

(١) نصيب شاعر اموي مشهور توفي عام ١٥٥ هـ - ونصيب الاصغر شاعر من مخضرمي الدولتين توفي عام ١٧٥ هـ .

(٢) الجزع : بكسر الجيم وفتحها الحرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض قد شبهت به العيون .

(٣) الفتات : ما تفتت من الشيء - وزهير من أعلام الشعراء الجاهليين ، وكان حكيم الشعراء في الجاهلية - توفي نحو عام ١٢ هـ (الخزائن ١/ ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ١/ ٨٦ - ١٠٣ ، وغيرها) .

فالمعنى هو الصوف الأحمر ، والفنا حب تنبت الأرض أحمر فقد أتى على الوصف قبل القافية لكن حب الفنا إذا كسر كان مكسره غير أحمر فاستظهر في القافية لما أن جاء بها بأن قال « لم يحطم » فكأنه وكد التشبيه بإيغاله في المعنى .

ومثله :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه^(١) تقول هزيرُ الريح مرّت بأثاب^(٢)

فقد تم الوصف والتشبيه قبل القافية لأنه يكفي أن يشبه حفيف جري الفرس بالريح ، فلما أتى بالقافية أوغل إيغالا زاد به في المعنى وذلك أن الأثاب شجر للريح في أغصانه حفيف شديد . ومما يدل على أن المعاني قد كانت في نفوس الناس قديماً أن أبا العباس محمد بن يزيد النحوي^(٣) قال حدثني الثوري قال قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً أو إلى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً أو ينقضي كلامه قبل القافية ، فلو احتاج إليها أفاد بها معنى ، قال : قلت نحو من ؟ قال : نحو ذي الرمة حيث يقول :

قف العيس في أطلال مية فاسأل رؤوماً كأخلاق الرداء المسلسل^(٤)

فتم كلامه قبل المسلسل ثم قال المسلسل فزاد شيئاً ثم قال :

أظن الذي يُجدي عليك سؤالها دُموعاً كتبديد الجُمان المفصل^(٥)

فتم كلامهم ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئاً ، قال قلت : ونحو من ؟ قال : الأعشى حيث قال :

(١) الشاو : الامد والمسافة : هزير الريح : صوته ودويه والبيت لامرئ

القيس .

(٢) هو المبرد صاحب الكامل توفي عام ٢٨٥ هـ .

(٣) العيس : بالكسر الابل الابيض يخالط بياضها شقرة .

(٤) الجمعان : اللؤلؤ .

كَنَاطِيحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَقْلِقَهَا فلم يُنْضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلَ^(١)

فتم مثله إلى قوله « قرنه » ثم احتاج إلى القافية فقال « الوعل »
مفصلاً على كل ما ينطح ، قال : كيف ؟ قال : لأنه ينحت من قلة
الجبل على قرنه فلا يضره .

(١) ليفلقها : يروى ليوهنها • الوعل : تيس الجبل والاعشى هو أبو
بصير ميمون بن قيس توفي عام ٧ هـ (الاغانى ٨ / ٧٤ - ٨٢ - المؤلف
١٢ - الخزانة ١ / ٨٣ الشعر والشعراء ١ / ٢١٢ - ٢٢٣ - معجم الشعراء
٤٠١ و ٤٠٢ - رغبة الامل ٤ / ٧٠ - معاهد التصنيف ١ / ١٩٦) •

الفصل الثالث

وإذ قد أتيت على ما ظننت أنه نعت للشعر وعددت أجناس ذلك
وفصلت أنواعه ، فالآن أحب أن ابتدء بذكر عيوب الشعر وأذكر
أجناس ذلك على الترتيب الذي رتبته النعوت عليه وتحسب تلك السياقة .

عيوب اللفظ

أن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة ، وقد
تقدم من استقصى هذا الباب ، وهم واضعو صناعة النحو ، وأن
يرتكب الشاعر فيه ما ليس يستعمل ولا يتكلم به إلا شاذاً ، وذلك هو
الحوشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته له وتنكبه إياه فقال :
كان لا يتبع حوشي الكلام .

وهذا الباب مجوز للقدماء ليس من أجل أنه حسن لكن من شعرائهم
من كان أعرابياً قد غلبت عليه العجرفة ومست الحاجة إلى الإستهزاء
بأشعارهم في الغريب ، ولأن من كان يأتي منهم بالحوشي لم يكن
يأتي به إلا على جهة التطلب والتكلف ، لما استعمله منه لكن بعادته ،
وعلى سجية لفظه ، فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر
الطبع وينبو عنه السمع مثل شعر أبي حزام غالب بن الحارث العكلي
وكان في زمن المهدي وله في أبي عبيد الله قصيدة أولها :

تذكرتُ سَلَمَى وإِهْلَاسَهَا فلمْ أنسَ والشَّوقُ دُؤْمَ مَطَرُوه^(١)

وفيهما يقول :

فَحَيَّ الوَزِيرَ إِمَامَ الهُدَى وهو بالأربِ دُؤْمَ مَحْجُوه^(٢)

(١) راجع القصيدة في الموشح للمريزاني ص ٢٥٤ .

(٢) فحى بالارب ، الموشح .

يَسُوسُ الْأُمُورَ فَتَأْتِي لَهُ وَمَا فِي عَزِيمَتِهِ مِنْهُ
وَقِي بِالْأَمَانَةِ صَقَوَ الثَّقَى وَمَا الصَّفْوُ بِالرُّنْقِ الْمَحْمُورُ
وَعِنْدَ مُعَاوِيَةَ الْمُصْطَقَى حَيًّا غَيْرُ مَاجٍ وَلَا مَطْرُورُ
فَقَالَ الْوَزِيرُ الْأَمِينُ انْظِمُوا قَرِيضًا عَوِيصًا عَلَى اللُّؤْلُؤِ
فَقِيدَتْ مُرْتَقِيًا وَحِيَّةً بِغَيْرِ انْصِبَابٍ إِلَى الْمَشْكُورِ
سَعِيدِي مِنَ الْحَقِّ ذُو فِطْنَةٍ مَعِي فِي الْعَوَاقِبِ وَالْمَبْدُورِ
بُيُوتًا عَلِيًّا لَهَا وَجْهَةٌ بِغَيْرِ السَّنَادِ وَلَا الْمَكْفُورِ

ومثل شعر أحمد بن جحدر الخراساني في مالك بن طوق ، ويقال
إنها لمحمد بن عبد الرحمن الغربي الكوفي في عيسى الأشعري :

هَيَّا مَنْزِلَ الْهَيِّ حَيْثُ الْفَضَا سَلَامُكَ إِنَّ النَّوَى تَعَصِرُ
وَيَاطِلَا آيَةَ مَا ارْتَمَتْ بِلَيْلَاكَ غُرْبَتُهَا الْمِرْجَمُ
حَلَّتْ بِمَا أَرْفَلَتْ نَحْوَهُ هَمَرْجَلَةٌ خَلَقَهَا شَيْطَانٌ^(١)
وَمَا شَرَقَتْ مِنْ تَنُوفِقَةٍ بِهَا مِنْ وَحَى الْجِنِّ زِنْزَرَزَمُ^(٢)

فبلغني أنه أنشد ابن الأعرابي هذه القصيدة فلما بلغ إلى ههنا
قال له ابن الأعرابي إن كنت جاداً فحسبك الله .

ومنها :

لَأَمْ لَكُمْ تَجَلَّتْ مَا لَيْكَا مِنْ الشَّمْسِ لَوْنُجَلَتْ أَكْرَمُ
وَمِنْ أَيْنَ مِثْلُكَ ؟ لَا أَيْنَ هُوَ ؟ إِذَا الرِّيقُ أَقْفَرَ مِنْهُ الْقَمُّ^(٣)

(١) الهمرجلة : السريعة • الشيطان : الطويل الجسم •

(٢) بها من وحى الجن : يروى في الموشح نقلاً عن هذا الكتاب من وحى
الجن •

(٣) أقفر منه : ذهب منه •

ومن الأعراب أيضاً مَنْ شعره فظيع التوحيش ، مثل ما أنشدناه
أحمد بن يحيى عن أبي الأعرابي لمحمد بن علقمة التميمي ، يقولها
لرجل من كلب ، يقال له ابن الفنشخ وورد عليه فلم يسقه :

أفرخ إذا كلب وأفرخ أفرخ	أخطأت وجه الحق في التَطَّخُخ ^(١)
أما ورب الرأقصات الزُمخ	يخرجن ما بين الجبال الشُمخ ^(٢)
يزرن بيت الله عند المصرخ	لتطمخن برشاً ممطخ ^(٣)
ماء سوى مائي يا ابن الفنشخ	أو لتجئن بوشي بخ بخ ^(٤)
من كيس ذي كيس وضأن منفخ	قد ضمه حولين لم بسنخ
صم الصماليخ	صماخ الأصلخ

ومن عيوب اللفظ :

المعاظلة :

وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبتها لها أيضاً حيث
قال وكان لا يعاظم بين الكلام ، وسألت أحمد بن يحيى عن المعاظلة
فقال مداخلة الشيء في الشيء ، يقال تعاظلت الجرادتان وعاظِل الرجل
المرأة إذا ركب أحدهما الآخر وإذا كان الأمر كذلك فمن المحال
أن تنكر مداخلة بعض الكلام في ما يشبهه من وجه أو في ما كان من
جنسه وبقي التكبر إنما هو في أن يدخل بعضه في ما ليس من جنسه وما
هو غير لائق به وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة .

(١) أفرخ إذا كلب • وأفرخ : سكن

(٢) الزُمخ : المتكبرين • الشُمخ : العالية •

(٣) المَصْرَخ : الميت والمعين •

(٤) بخ بخ : عظيم • وبخ يقال وحدها وتكرر •

مثل قول أوس :

وَذَاتُ هَدْمٍ عَايٍ نَوَاشِرُهَا تَصَّتْ بِالْمَاءِ تَوَلَّيْتُ جَدْعاً (١)

فسمى الصبي تولياً وهو ولد الحمار .

ومثل قول الآخر :

وَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتَهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْتَرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرٍ (٢)

فسمى رجل الإنسان حافراً فإن ما جرى هذا المجرى من الإستعارة قبيح لا عذر فيه .

وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدن أشياء من الإستعارة ليس فيها شناعة كهذه وفيها لهم معاذير إذا كان مخرجها مخرج التشبيه .

فمن ذلك قول امرئ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً يَكْلُكُلِ (٣)

فكأنه أراد أن هذا الليل في تطاوله كالذي يتمطى بصلبه لا أن له صلباً وهذا مخرج لفظه إذا تؤمل (٤) .

ومنه قول زهير :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ بِطَاطِلُهُ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبِيِّ وَرَوَّاحِلُهُ (٥)

(١) راجع شرح هذا البيت في صفحة ١١٩ وأوسق شاعر جاهلي مجيد، وهو أوس بن حجر .

(٢) البكر : الفتى من الإبل .

(٣) تمطى : طال . أو تمدد وتطاول بصلبه الأرداف . ناء : نهض . الكلكل : الصدر . والجمع كلالكل .

(٤) يعيب قدامة البيت ، وهو في عرف جميع النقاد من أروع الصور الشعرية .

(٥) أقصر : كف . باطله : صباه ولهوه . عرى : ترك .

فكان مخرج كلام زهير إنما هو مخرج كلام من أراد أنه كما أن
الأفراس للحرب وإنما تعرى عند تركها ووضعها فكذلك تعرى أفراس
تعرى أفراس الصبي إن كانت له أفراس عند تركه والغزوف عنه (١) .

وكذلك قول أوس بن حجر :

وإني امرؤٌ أعددتُ للحرب بعدماً رأيتُ لها ناباً من الشر أعصلاً

فإنه إنما أراد أن هذه الحرب قديمة قد اشتد أمرها كما يكون
ناب البعير أعصل إذا طال عمره واشتد .

وكذلك قول عنترة العبسي :

جادت عليها كلُّ بكرٍ حرّةٍ فتركْن كلَّ قرارةٍ كالدّرهم (٢)

وقول طفيل الغنوي :

وحملتُ كئوري خفافَ ناجيةٍ يفتاتُ شحمَ ستامها الرّحل (٣)

وقول عمرو بن كلثوم :

ألا أبلغ النعمانَ عني رسالةً فمجدك حولي وأؤمك قارح (٤)

وقول أبي ذؤيب الهللي :

(١) يعيب قدامة البيت وهو من أبلغ وأروع الشعر .

(٢) جادت نزلت بكثرة البكر : من السحاب السابق . الحرة من كل شيء خالصه والمراد هنا البيضاء . القرارة : القاع المستدير المنخفض كالدرهم في الاستدارة والبيت من أروع صور التشبيه عند جميع النقاد الا قدامة .

(٣) ما أروع صورة الاستعارة في هذا البيت الذي عابه قدامة .

(٤) القارح : هو الذي انتهت أسنانه وإنما تنتهي في خمس سنين لانه في السنة الأولى حولي ثم جدع ثم ثنى ثم رباح ثم قارح .

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألقيت كلّ تيمّة لا تنفع^(١)

وقول أوس بن معز يهجو بني عامر :

يشيبُ على لؤم الفِعال كبيرُها ويغدّي بشدّي اللؤم منها وليدُها

وقال المخيل :

بُعّالج عِزّاً قد عسا عظم رأسه قراسية كالفحل يصرفُ بازله^(٢)

فما جرى هذا المجزى مما له مجاز كان أخف وأسهل مما فحش ولم يعرف له مجاز وكان منافراً للعادة بعيداً مما يستعمل الناس مثله.

★ ★ ★

ولنتبع الكلام في عيوب اللفظ عيوب الوزن .

(١) المنيّة : الموت • أنشبت : علقّت • التيمّة : التعميذة ، والبيت من أجل صور الاستعارة عند الجميع ما عدا قدامة •

(٢) القراسية : بالضم وتخفيف الياء الضخم الشديد من الابل ، والصريف صوت يحدث من احتكاك الاسنان : البازل : السن تطلع في وقت البزول • والبزل الشق •

الكلام في عيوب الوزن

من عيوبه الخروج عن العروض، وقد تقدم من استقصى هذه الصناعة إلا أن من عيوبه التخلع، وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط تزخيفه وجعل ذلك بنية للشعر كله حتى ميله إلى الانكسار وأخرجه من باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه أو يعرضه على العروض فيصح فيه . فإن ما جرى هذا المجرى من الشعر ناقص الطلاوة قليل الحلاوة .

وذلك مثل قول الأسود بن يعفر (١) :

إنا ذئمتنا على ما خيلت	سعد بن زيد وعمرو من نعيم
وضبة المشتري العار بنا	وذلك عم بنا غير رجم
لا يتهون الدهر عن مولى لنا	قورك بالسهم حافات الأديم
ونحن قوم لنا رماح	وثررة من موال وصميم
لا نشككي الوهم في الحرب	ولا نئن كنانات السلم

ومثل قول عروة بن الورد (٢) :

يا هند بنت أبي ذراع	أخلفتني ظني وترني عشقي
ونكحت راعي ثلثة ينمرها	والدهر فائتة بما يبقي

ومثل قصيدة عبيد بن الأبرص وفيها أبيات قد خرجت عن العروض البتة ، وقبح ذلك جودة الشعر حتى أصاره إلى حد الردى ، فمن ذلك قوله :

(١) راجع الموشح ص ٨٢، حيث ذكر أن هذه الأبيات تنسب لغيره أيضا .
(٢) من صعلانيك العرب والشعراء في الجاهلية .

والمرء ما عاشَ في تكذيبٍ طُول الحِياة له تعذيبٌ

فهذا معنى جيد ولفظ حسن . إلا أن وزنه قد شانه وقبح
حسنه . وأفسد جیده ^(١) ، فما جرى من التزحيف في القصيدة أو
الآبيات كلها أو أكثرها كان قبيحا ، من أجل إفراطه في التخليل
مرة . ومن أجل دوامه وكثرته ثانية . وإنما يستحب من التزحيف
ما كان غير مفرط . وكان في بيت أو بيتين من القصيدة من غير
توال ولا إتساق ، ولا إفراط يخرج به عن الوزن مثل ما قال متمم
ابن نويرة :

وَقَدَّ بَنِي أُمِّ تَدَاعَوْا فَلَمْ أَكُنْ خَلَّافَهُمْ لِأَسْتَكِينُ وَأَضْرَعَا

فأما الإفراط والدوام [فهو] قبيح .

وقال إسحاق يحكى عن يونس ^(٢) أنه قال : أهون عيوب
الشعر الزحاف وهو أن تنقص الجزء عن سائر الأجزاء . فمنه ما
نقصانه أخفى . ومنه ما هو أشنع وهو جائر في العروض .

قال خالد ابن أخي أبي ذؤيب الهللي ^(٣) :

لَعَلَّكَ إِمَّا أُمَّ عَمْرٍو تَبَدَّلْتُ سَوَالِكَ خَلِيلًا شَانِيًا تَسْتَخِيرَهَا

فهذا مزاحف في كاف سوائك ومن أنشد خليلا سوائك كان
أشنع ^(٤) قال : كان الخليل بن أحمد رحمه الله يستحسنه في الشعر

(١) القصيدة من مخلع البسيط وليس في وزنها شيء من القبح . وما
حدث فيها من زحاف فهو مقبول .

(٢) من أئمة النحاة توفي عام ١٨٠ هـ .

(٣) صحح يأنه خالد بن زهير وأبو ذؤيب خاله (ديوان الهذليين القسم
الاول ص ١٥٦) .

(٤) لأن القبض في فعلون حسن وفي مفاعيلن قبيح .

إذا قل منه البيت والبيتان ، فإذا توالى وكثر في القصيدة سمج .
قال إسحاق : فإن قيل كيف يستحسن وهو عيب ؟ قلنا : قد
يكون مثل هذا الحول والاثغ في الجارية يشتهي القليل منه فإن
كثر هجن وسمج ، والوضح في الخيل يشتهي . ويستظرف خفيفة
الغرة والتعجيل ، فإذا فشا وكثر كان هجنة ووهنا . قال : وخفيف
البلق يحتمل ولم أر أبلق سابقاً ولم أسمع به .

★ ★ ★

ولتبع الكلام في عيوب الوزن عيوب القوافي .

الكلام في عيوب القوافي

ولندع ما أتى به لمن استقصى ذلك في ما وصفه في الكتب إذ كان لا أرب في إعادته . ولكننا نتكلم في ذلك بظاهر ما يعرفه جمهور الناس من المعاييب التي ليست من جنس ما وضعت فيه الكتب . ولندكر مما وضع فيها ما كانت القدماء تعيب به دون غيره .

فمن ذلك : التجميع :

وهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي منتهية لأن تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلافه .

مثل ما قال عمر بن شاس :

تذكرتُ ليلَ لآت حين ادّكارُها وقد جنى الأصلاب ضلّا بتضلال

ومثل قول الشماخ ^(١) :

لمنْ متزل عافٍ ورسمُ منازل عفتْ بعد عهدِ العاهِدِ بنَ رياضها

ومن عيوبها : الإقواء :

وهو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة مثلاً وأخرى منقوضة وهذا في شعر الأعراب كثير جداً ، وفيمن دون الفحول من الشعراء ، وقد ارتكبت بعض فحول الشعراء الإقواء في مواضع ، مثل سحيم بن وثيل الرياحي

عذّرتُ البزل إن هي خاطرتني فما بكلي وبال ابن اللبّسونِ

(١) شاعر مخضرم توفي عام ٢٢ هـ .

وماذا تَبْتَغِي الشعراء مِنِّي وقد جَاوَزْتَ حَدَّ الأربعين
فنون الأربعين مفتوحة ونون اللبون مكسورة ولكنه كأنه
وقف القوافي فلم يحركها .

وقال جرير :

عَرِينٌ مِنْ عُرَيْنَةٍ لَيْسَ مِنَّا بَرَثْتُ إِلَى عُرَيْنَةٍ مِنْ عَرِينٍ^(١)
عَرَفْنَا جَعْفَرًا وَبَنِي عَبِيدٍ وَأُنْكِرْنَا زَعَانِفَ آخَرِينَ^(٢)

ومنه : الإبطاء :

وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة فإن زادت على اثنين فهو
أسمج ، فإن اتفق اللفظ واختلف المعنى كان جائزاً كقولك أريد
خياراً وأوثر خياراً أي تريد خياراً من الله لك في كذا وخيار الشيء
أجوده ، والإبطاء من المواطأة أي الموافقة : قال الله تبارك وتعالى :
ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا .

ومنه : السناد :

وهو أن يختلف تصريف النقايتين ، كما قال عدي بن زيد^(٣) :
فَفَاجَأَهَا وَقَدْ جُمْتُ جُمُوعاً عَلَى أَبْوَابِ حَصْنٍ مُصَلَّتَيْنَا
فَقَدَمْتُ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَأُلْفِي قَوْلَهَا كَذِباً وَمِينَا^(٤)

(١) العرين : مأوى الامت . وجرير شاعر العصر الأموي وقرين
الفرزدق توفي عام ١١٥ هـ .

(٢) الزعانف : جمع مفردة زعنفة . وهي القطعة من القبيلة تشذ وتتفرد
أو القبيلة القليلة تنضم إلى غيرها .

(٣) شاعر قصيع من شعراء الجاهلية ، سكن الحيرة والعراق ، وخدم
في بلاط كسرى والنعمان بن المنذر ، وكان يحسن العربية والفارسية ، وهو
أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى - وكان نصرانياً ، وعلماء اللغة لا
يحتجون بشعره .

(٤) الأديم : الجلد . مينا : كذبا .

وركة قول الفضل بن عباس اللهمني :

عبد شمسٍ ابي فإن كنت غضبي فآملني وجهك الملبح خموشاً^(١)
نحنُ كنّا سُكّانها من قريشٍ وبنّا سُميت قريش قريشا

والساد من قولهم خرج بنو فلان برأسين متساندين ، أي كل
فريق منهم على حياله ، وهو مثل ما قالوا : كانت قريش يوم
الفخار متساندين ، أي لا يقودهم رجل واحد .

★ ★ ★

ولنتبع ذلك بالكلام على عيوب المعاني .

(١) خموشا : جروحا .

عيوب المعاني

قد كنا قدمنا في باب النعوت أن جمالتها أن يكون المعنى مواجهاً للغرض غير عادل عنه إلى جهة أخرى ، وبيننا من الأغراض التي تنتجها الشعراء في ذلك الموضع ما إذ حفظ عرف العيب بالعدول عنه . وبدأنا في باب المديح بأمور جعلناها أمثلة فلا بأس أن نأتي في أمثالها بأمثلة أيضاً .

١ - نكسر المديح

لما كنا قدمنا من حال المديح الجاري على الصواب ما أنبأنا أنه الذي يقصد فيه المدح للشيء بفضائله الخاصة به ، لا بما هو عرضي فيه . وجعلنا مديح الرجال مثالا في ذلك . وذكرنا أن من قصد لمدحهم بالفضائل النفسية كان مصيبا ، وجب أن يكون ما يأتي به من المدح على خلاف الجهة التي ذكرناها في النعوت معيبا .

ومن الأمثلة الجياد في هذا الموضع ما قاله عبد الملك بن مروان^(١) لعبيد الله بن قيس الرقيات^(٢) حيث عتب عليه في مدحه إياه ، فقال له : إنك قلت في مصعب بن الزبير :

إنما مُصْعَبُ شِهَابٌ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

وقلت في :

يَأْتِلِقُ التَّاجُ فَوْقَ مَقَرِّهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

(١) الخليفة الاموي المشهور .

(٢) شاعر الزبيريين السياسي توفي عام ٨٥ هـ وقد قتل عبد الله بن الزبير عام ٧٥ .

فوجه عتب عبد الملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة . وقد كنا قدمنا أن ذلك غلط وعيب .

ومنه قول أيمن بن خزيم في بشر بن مروان :

يا ابن الذوائب والذرى والأرؤس	والفرع من مضر العقرني الأنفس
يا ابن الكارم من قریش ذا العلى	وابن الخلائف وابن كل قلمس
من فرع آدم كابرأ هن كابر	حتى انتهيت إلى أهلك العنسي
مروان إن فتاته خطيبة	غرمت أرومتها أعز المغرس
وبنت عند مقام ربك قبة	خضراء كلل تاجها بالفسفس
فساؤها ذهب وأسفل أرضها	ورق تلالأ في البهم الخندس

فما في هذه الأبيات شيء يتعلق بالمدح الحقيقي وذلك أن كثيراً من الناس لا يكونون كآبائهم في الفصل ، فلم يصف هذا الشاعر غير الآباء ، ولم يصف المدوح بفضيلة في نفسه أصلاً ، وذكر بعض ذلك بناءه قبة ثم وصف القبة أنها من الذهب والفضة ، وهذا أيضاً ليس من المدح ، لأن في الملك والثروة مع الصنعة والفهم ما يمكن معه بناء القباب الحسنة واتخاذ كل آلة فائقة ، ولكن ليس ذلك مدحاً يعتمد به ، ولا جارياً على حقه ، ومما نذكره في هذا الموضع ليصح به شدة قبح هذا المدح قول اشجع ابن عمرو في المدح بما يخالف اليسار^(١) .

يريدُ الملوكَ قدِّي جعفرُ ولا يصنعون كما يصنعُ
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن متروكه أوسع
فقد أحسن هذا الشاعر حيث لم يجعل الغنى واليسار فصيلة بل جعلها غيرهما .

(١) هنا بمدح جعفرنا البرمكي .

وقال ايضاً ايمن بن خزيم في بشر (بن مروان) :

فلو أعطاك بشر ألف ألف
وأعقب مدحتي سرّجاً خلنجاً
وأبيض جوّزجانياً عقوداً
فلنا قد وجدنا أمّ بشر
كأم الأسد مذكّراً ولوداً

فجميع هذا المدح على غير الصواب . وذلك انه اوماً إلى المدح والتناهي في الجود اولا . ثم أفسده في البيت الثاني بذكر السرج وغيره . ثم ذكر في البيت الثالث ما هو إلى ان يكون ذمّاً اقرب . وذلك انه جعل امه ولوداً . والناس مجمعون على ان إنتاج الحيوانات الكريمة يكون اندر .

ومنه قول الشاعر :

بُعَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحَا وَأُمُّ الصَّفَرِ مَقْلَاتُ نَزْوَر^(١)

(١) بُعَاثُ الطَّيْرِ : أضعفها . مَقْلَاتُ : مقلّة من الاولاد . نَزْوَر : لا تضع الا نادراً .

٢ - نكر عيوب الهجاء

كما أن معرفة رداءة المدح كانت سهلة جيدة فكذا عيب الهجاء ، يسهل الطريق إلى العلم به ما تقدم في باب نعته .

وجماع القول فيه أنه متى سلب المهجو أموراً لا تجانس الفضائل النفسانية ، كان ذلك عيباً في الهجاء ، مثل أن ينسب إلى أنه قبيح الوجه ، أو صغير الجسم أو مقتر أو معسر أو من قوم ليسوا بأشراف إذا كانت أفعاله في نفسه جميلة ، وخصاله كريمة نبيلة ، أو أن يكون أبواه مخطئين إذا كان مصيباً ، وغويين إذا وجد رشيداً سديداً ، أو بقلة العدد إذا كان كريماً وعدم النصار إذا كان راجحاً شهماً : فاست أرى ذلك هجاء جارياً على الحق .

ومما يدل على ذلك بعد القياس الصحيح والنظر الصريح أشعار وأقوال أعددتها .

فمنها ما أنشدناه أبو العباس أحمد بن يحيى (١) :

رَأَتْ نِصْفَ أَصْفَارٍ أُمِّيَّةَ قَاعِدٍ عَلَى نِصْفِ أَصْفَارٍ يَحْنُ جُنُونُهَا
فَقَالَتْ مِمَّنْ آيَ النَّاسِ أَنْتَ أَتَيْتَنَا فَإِنَّكَ رَاعِي ثَلَاثَةٍ لَا تَرِيْنَهَا
فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى الْفَتَى بَعَارٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينَهَا (٢)

فهذا صحيح في أن القبح والشحوب والسماجة ليست بعار .

ومن هذا أيضاً قول بعضهم في ابن له إزدراه رجال
منهم من نعمه فأغاروا عليها :

(١) هو ثعلب امام الكوفة في النحو توفي عام ٢٩١ هـ .

(٢) الشحوب : تغير لون الوجه من مرض أو هزال .

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ خَرَقٌ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ

ومن أبيات الأول في أن قلة المال ليست عاراً قوله :

عَلَيْكَ بِرَاعِي ثَلَاثَةَ مُسَاحِبَةٍ يَرُوحُ عَلَيْهِ نَحْضُهَا وَحَقْمِئِهَا
سَمِينُ الضَّوَاحِي لَمْ تُؤْرِقْهُ لَيْلَةٌ وَإِنْ عَمَّ أَبْكَارُ الْهُمُومِ وَعَوْنُهَا^(١)

وللسموأل^(٢) في أن قلة العدد ليس عيباً ولا سبة :

تُعْبِرُنَا أَزْنًا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقَلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا خُفِّرْنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

فعدى هذا الشاعر عن الهجاء الذي عبرتهم به هذه المعبرة، واحتج فيه بما دل على أنه غير ضائر ، ثم وصف بعد ذلك نفسه وقومه بالأوصاف التي تليق بذكرنا إياها في هذا الموضع للمنفعة في تعليم الهجاء الجاري على الصواب فقال :

وإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ^(٣)
يَقْرُبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرَّرَهُ أَجَالُهَا فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفَهُ وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ مَاتَ قَتْلُ^(٤)
لَنَا جَبَلٌ يَحْنَلُهُ مَنْ نُجَسِّرُهُ مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ^(٥)

(١) العون : الكبيرة من البكر .

(٢) السموأل : شاعر جاهلي يهودي اشتهر بلاميته .

(٣) السبة : ما يسب به . وعامر وسلول : عامر بن صعصعة . وبنو

سلول هم بنو مرة بن صعصعة التي تنتهي الى قيس بن عيلان .

(٤) حَتَفَ أَنْفَهُ : وانما خص الانف بذلك لانه من جهته يقتضي الرمق

وحَتَفَ منصوبة على الحال . وَلَا طُلَّ مِنَّا الْخُ أَي لَمْ يَبْطُلْ دَمُ قَتِيلٍ مِنَّا .

(٥) المراد بالجبل العز والسمو . الطرف : النظر والعين . والابيات

للسموأل ، ومات قبل البعثة (الاغانى ١٩ / ٩٨ - ١٠٢ ، طبقات ابن سلام

٢٣٥ - ٢٣٧ ، سبط اللاكلى ١ / ٥٩٥ ، معجم البلدان ١ / ٨٦ و ٨٧ ،

الشريشي ١ / ٣٩٠ ، معاهد التنصيص ١ / ٢٨٨ - ٢٩١) .

فأني في هذه الأبيات بالمدح من جهة الشجاعة والبأس والعز
ثم قال :

وننكرُ إنْ شئتَا على الناس قولَهُمُ ولا يُنكرون القولَ حينَ نقولُ
إذا سيّدُ منّا خلا قامَ سيّدُ قوْلُ لما قال الكرامُ فعولُ
سلى إن جهلت الناس عتاً وعنهم فليس سواء عالمٌ وجهولُ

فأتى في هذه الأبيات بالوصف والمدح من جهة العقل والرأي
والفهم . ثم قال :

فنحنُ كماء المزن ما في نصابتنا كهامٌ ولا فينا بُعدٌ بخيلُ (١)
فأتى بالمدح من جهة الجود . وهو أحد أقسام العدل كما
بيننا . ثم قال :

صفونا فلم نكدر وأخلص سرّنا إناثٌ أطابت حملنا وفحولُ
فأتى بالمدح من جهة العفة إذ كان في ذكره طيب الحمل
دليل على ذلك . أفلا ترى أن هذا الشاعر لما علم أن المعبرة لم
تأت بما يضرهم احتج في ذلك بما يزقل الظنة عنهم . ثم عمد
إلى الفضائل التي هي فضائل بالحقيقة فأوجبها . فكأنه أرى بهذا
الفعل أن ما قالته المعبرة جارياً على غير الصواب . وأنشد أحمد بن
يحيى (٢) في هذا المعنى :

وإني لا أخزى إذا قيلَ مُملقٌ جوادٌ وأخزى أن يُقالَ بخيلُ (٣)

وبلغني أن ابن الزبير لما دخل الشام ناداه أهله يا ابن ذات
النطاقين فقال لأبن أبي عتيق : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها .
فأبان بهذا القول أنه لا يلزمه ما يقال في أمه . فإذا توّمل ما
ذكرته في هذا الباب لم يبعد الوقوف على عيب الهجاء كيف
يتعرف .

(١) ماء المزن : المطر وهو أصفى المياه عندهم فشبّه صفاء انسابهم
بصفاء ماء المطر والمزن : الأبيض . الكهام : الكليل الحد .
(٢) ثعلب امام الكوفة في النحو توفي عام ٢٩١ هـ .
(٣) مملق : فقير من املق .

٣ - عيون المراثي

وأما المراثي ففي ما قدمته في باب نعوتها أيضاً ما أبان عن الوجه في باب عيوبها إذا كان النظر صحيحاً والفكر سليماً .

٤ - وأما عيب التشبيه

فذلك سبيله أيضاً لمن كان حافظاً لما تقدم من أقوالنا في باب نعوته .

٥ - وأما عيب الوصف

في المضادة في باب نعوته .

٦ - وأما الغزل

فالقول فيه كالقول في ما مر من هذه الأبواب إذ كان عيبه إنما هو مضادة ما قدمنا ذكره في باب نعته ، ومن الغزل البخاري على تلك المضادة وفيه - مع أنه مثال في هذا الموضع للعيب - تأكيد لما قدمناه في باب النعوت أقول إسحاق الأعرج مولى عبد العزيز ابن مروان :

فلماً بدا لي ما راعني نزعْتُ فزوعَ الأبي الكريمِ
وبلغني أن أبا السائب المخزومي لما أنشد هذا البيت قال :
قبحه الله ، لا والله ما أحببتها ساعة قط .

ومثله لنا بعة بني تغلب واسمه الحارث بني عدوان :
هجرت أمانة هجرأ طويلاً وما كان هجرُك إلا جَمِيلاً
على غير بُغضٍ ولا عن قِلَى وليس حَيَاءً وليس ذُهولاً^(١)

(١) قلى الشيء أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

ولكن بخيلنا لبخلك عمداً فكيف يلومُ البخيلُ البخيلاً

ولما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل
والدمائة كان مما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة
مقبولة غير مستكرهة ، فإذا كانت جاسية كان ذلك عيباً إلا أنه لما
لم يكن عيباً على الإطلاق أمكن أن يكون حسناً إذ كان قد يحتاج
إلى الحشونة في مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة والبأس والرهبة ،
وكان أحق المواضع التي يكون فيها عيباً الغزل لمنافرتة تلك
الأحوال وتباعده منها .

فمن الكلام المستقل في الغزل قول عبد الرحمن بن عبد الله
القس :

إنّ تنأ دارك لا أملٌ تذكراً وعليك مني رحمةٌ وسلام^(١)

ومن المستحسن قول هذا الشاعر :

سلامٌ ليتَ لساناً تنطيقين به قبل الذي ناله من صوته قطعاً

فما رأيت أغلظ ممن يدعو على محبوبته بقطع لسانها حيث
أجادت في غنائها له .

(١) تنأ : تجد .

فأما العيوب العامة للمعاني

من الأغراض التي ذكرناها وغيرها وعموم ذلك إياها
كعموم النعوت التي قدمنا وعدد في أبوابها .

فمنها : فساد الأقسام :

وذلك يكون إما بأن يكررها الشاعر أو يأتي بقسمين أحدهما
داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر . أو يجوز أن يدخل أحدهما
في الآخر في المستقبل . وأن يدع بعضها فلا يأتي به . فأما
التكرير فمثل قول هذيل الأشجعي :

فَمَا بَرَحْتُ تُوْمِي إِلَيَّ بِطَرْفِهَا وَتُوْمُضُ أحياناً إِذَا خَصَمْتُهَا غَفْلَ

لأن توْمُض وتومي بطرفها متساويان في المعنى .

وأما دخول أحد القسمين في الآخر فمثل قول أحدهم :

أَبَادِرِ إِهْلَاكَ مُسْتَهْلِكٍ لِمَالِي أَوْ عَبَثَ الْعَابِثِ

فعبث العابث دخل في إهلاك مستهلك .

ومثل قول أمية بن أبي الصلت :

لله نِعْمَتُنَا تَبَارَكَ رَبُّنَا رَبُّ الْأَنْفَامِ وَرَبُّ مَنْ يَتَأَبَدُ (١)

فليس يجوز أن يكون أمية أراد بقوله من يتأبد : الوحش
وذلك أن من لا تقع على الحيوان غير الناطق . وإذا كان الأمر
على هذا فمن لا يتوحش داخل في الأنعام أو يكون أراد
بقوله يتأبد أي يتقوت من الأبد . وذلك داخل في الأنعام

(١) يتأبد : يتوحش . وأمية شاعر جاهلي كان يتحنف في شعره وشهد
الرسالة ولم يسلم . وتوفي عام ٩ هـ .

وأما أن يكون القسمان مما يجوز دخول أحدهما في الآخر فمثل قول أبي عدي القرشي :

غير ما أنْ أَكُونَ نلتُ نوالاً منْ نَدَاهَا عَفْواً ولا مهتاً

فالعفو قد يجوز أن يكون مهتاً والمهتء قد يجوز أن يكون عفواً وقد ضحك من أنك سأل مرة فقال علقمة بن عبدة جاهلي أم من تميم فإن الجاهلي قد يكون من بني تميم أو من بني عامر والتميمي قد يكون إسلامياً وجاهلياً .

ومن ذلك قول عبدالله بن سليم الغامدي :

فَهَبْتُ سِرّاً ما يُفَرِّغُ وحشهُ منْ بين سِرْبِ نَوىءٍ وكُنُوسِ

نَوىءٍ سمين يقال نوىء أي سمن والسمين يجوز أن يكون كانسا والكائنس يجوز أن يكون سميناً وهزيلاً . وأما الأقسام التي يترك بعضها مما لا يحتمل الواجب تركه .. فمثل قول جرير في بني حنيفة :

صارت حنيفةُ أثلاثاً فَثُلُّهُمْ منَ العبيدِ وثُلثُ من مَوَالِيهَا

فبلغني أن هذا الشعر أنشد في مجلس ورجل من بني حنيفة حاضر فقيل له من أيهم أنت ؟ فقال : من الثلث الملقى ذكره .

ومن عيوب المعاني : فساد المقابلات :

من كان حافظاً لما ذكرنا من صحة المقابلات في باب النعوت ظهرت له الحال في فسادها ظهوراً أكثر ، وهو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر إما على جهة الموافقة أو المخالفة فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر أو يوافقه .

مثال ذلك قول أبي علي القرشي :

يا ابنَ خَيْرِ الْأَخْيَارِ من عبدِ شمس أنتَ زينُ الدُّنيا وغِيثُ الجُنودِ

فليس قوله وغيث الجنود موافقاً لقوله زين الدنيا ولا مضاداً وذلك عيب .

ومنه قول هذا الرجل في مثل ذلك :

رُحماء لذي الصلاح وضراًبون قدماً لِهامة الصنديد^(١)

فليس للصنديد في ما تقدم ضد ولا مثل ولعله لو كان مكان قوله الصنديد الشرير لكان جيداً لقوله ذي الصلاح ، وللعُدول عن هذا العيب غير الرواة قول امرئ القيس :

فلو أنها نفسٌ تموتُ سويّةً ولكنّها نفسٌ تساقطُ أنفُساً^(٢)

فأبدلوا في مكان سوية جميعه لأنه في مقابلة تساقط أنفساً أليق من سوية .

ومن عيوب المعاني : فساد التفسير :

من كان ذاكرأ لما قدمناه في باب نعت هذا المعنى عرف الوجه في عيبه ، مثال ذلك إذ جاءني بعض الشعراء في هذا الوقت وأنا أطلب أمثلة في هذا الباب ليستفتيني فيه وهو :

فيأ أيها الخبير أن في ظلم الدُّجى ومن خاف أن يلقاه بُغي من العيى
تعالى إليه تلق من نور وجهيه ضياء ومن كعَّيه بحرأ من الندى

وقد كان هذا الرجل يسمعي كثير الخوض في أشياء من نقد الشعر ، فيمي بعض ذلك ، ويستجيد الطريق التي أوضحها له ، فلما وقع هذان البيتان في قصيدة له ولاح له ما فيهما من العيب ولم يتحققه صار إلي ، وذكر أنه عرضهما على جماعة من الشعراء وغيرهم ومن

(١) الهامة : رأس كل شيء . الصنديد : السيد الشريف .

(٢) تموت سوية أي تموت مرة واحدة ، ولكنها بغير ذلك فان المرض ينقصها شيئاً فشيئاً .

ظن أن عنده مفتاحاً وأن بعضهم جوزهما وبعضهم شعر بالعيب فيهما
 فذكرت له الحال فيهما وأثبت البيتين في هذا الموضع مثلاً ، ووجه
 العيب فيهما أن هذا الشاعر لما قدم لي البيت الأول الحيرة في الظلم
 وبغي العدى كان الجعيد أن يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق
 بهما فأتى بإزاء الظلام بالضياء وذلك صواب وكان الواجب أن يأتي
 بإزاء العدى بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر أو بما جانس ذلك مما يحتمى
 به الإنسان من أعدائه ، فلم يأت بذلك وجعل مكانه ذكر الندى ، ولو
 كان ذكر الفقر أو العدم لكان ما أتى به صواباً ، وقد يتفرع من هذا
 الباب سخطان إذا وقعاً فيه خرجا إلى آخرين من أبواب عيوب
 الشعر : أحدهما أن يكون هذا الشاعر لو لم يأت بخلاف القسم الثاني
 مثلاً بل تركه لدخل في باب الخلل ولو لم يتركه بل أتى به وزاد
 عليه لدخل في باب الحشو ، وقد ذكرنا هذين البابين في مواضعهما .

ومن عيوب المعاني : الإستحالة والتناقض :

وهو أن يذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة
 واحدة ، والأشياء تتقابل على أربع جهات ، إما على طريق المضاف
 ومعنى المضاف هو الشيء الذي يقال بالقياس إلى غيره مثل الضعف إلى
 نصفه والمولى إلى عبده والأب إلى ابنه ، فكل واحد من الأب والابن
 والمولى والعبد والضعف والنصف يقال بالإضافة إلى الآخر ، وهذه
 الأشياء من جهة ما إن كان واحد منها يقال بالقياس إلى غيره ، هي
 من المضاف ، ومن جهة أن كل واحد منها بإزاء صاحبه كالتقابل له
 فهي من المتقابلات فإما على طريق التضاد مثل الشرير للخير والحار
 للبارد والأبيض للأسود ، وإما على طريق العدم والقنية مثل
 الأعمى للبصير والأصلع وذو الحمة . وإما على طريق التهي
 والإثبات مثل أن يقال زيد جالس وزيد ليس يجالس ، فإذا أتى

في الشعر جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات وكان هذا الجمع من جهة واحدة فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعاني الشعرية بل هو لاحق بجميع المعاني ، وأعني بقولي من جهة واحدة أنه قد يجوز أن يجتمع في كلام منظوم ومتنوع متقابلان من هذه المتقابلات ويكون ذلك الاجتماع من جهتين لا من جهة واحدة ويكون الكلام مستقيماً غير محال ولا متناقض ، مثال ذلك أن يقال في تقابل المضاف أن العشرة مثلاً ضعف وأنها نصف لكن يقال إنها ضعف الخمسة ونصف العشرين فلا يكون ذلك محالاً إذا قيل من جهتين ، كما لو قيل في لإنسان واحد أنه أعمى العين بصيرها فلا محال ، وكذلك في التضاد أن يقال للفاتر حار بالنسبة إلى البارد وبارد بالنسبة إلى الحار فأما عند أحدهما فلا ، وفي النفي والإثبات أن يقال زيد جالس في وقته الحاضر الذي هو جالس وغير جالس في الوقت الآتي الذي يقوم فيه إذا قام فذلك جائز ، وأما في وقت واحد وحال واحدة جالس وغير جالس فلا ، ولهذا العلة يجوز ما يأتي في الشعر على هذه السبيل مثل ما قال خفاف بن ندبة :

إذا انتكثَ الحبلُ ألفَيْتَهُ صبورَ الخبر رزيناً خفيفاً^(١)

فلو لم يرد أنه رزين من حيث ليس هو خفيفاً لم يكن يجوزاً .

ومثل ما قال الشنفرى :

فدَقَّتْ وجلتْ وأسبَكَرتْ وأَكَلَتْ فَأَوْ جُنْ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ^(٢)

فإنه إنما أراد دقت من جهة وجلت من جهة أخرى ، فأما لو كان أراد أنها دقت من حيث جلت لم يكن جائزاً ، وقد جاء في الشعر من الاستحالة والتناقض ما لا عذر فيه وما جمع في ما قيل فيه بين المتقابلات

(١) الخبر : ما لان من الأرض واسترخى .

(٢) دقت : ضوَّلت وصغرت . جلَّت : عظمت . والشنفرى شاعر جاهلي من الصماليك وهو صاحب لامية العرب .

من جهة واحدة ، ومنه ما تناقض فيه ظاهر يعلم في أول ما يلتقى إلى
السمع ، ومنه ما يحتاج إلى تنبيه على موضع التناقض .

ومما جاء في ذلك على جهة التضاد قول أبي نواس في الخمر :

كَأَنَّ بَقَايَا مَا عَنَا مِنْ حَبَابِهَا تَفَارِقُ شَيْبَ فِي سَوَادِ عَذَارِ^(١)

فشبه حباب الكأس بالشيب وذلك قول جاثر لأن الحباب يشبه به
في البياض وحده لا في شيء آخر غيره ثم قال :

تَرَدَّتْ بِهِ ثُمَّ انْفَرَى عَنْ أَدِيمِهَا تَقَرَّى لَيْلٌ عَنْ بَيَاضِ نَهَارِ^(٢)

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي كان في
البيت الأول أبيض كالشيب والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد
العنبراء هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار وليس في التناقض
له منصرف إلى جهة من الجهات للعدر لأن الأسود والأبيض طرفان
متضادان وكل واحد منهما في غاية البعد عن الآخر ، فليس يجوز أن
يكون شيء واحد يوصف بأنه أسود وأبيض إلا كما يوصف الأدكن
في الألوان بالقياس إلى واحد من الطرفين الذي هو واسطة بينهما ،
فيقال إنه عند الأبيض أسود .

ولعل قوماً يحتجون لأبي نواس بأن يقولوا إن قوله « تقري ليل
عن بياض نهار » لم يرد به لا أبيض ولا أسود لكن الذي أراده إنما هو
ذات التفري وانحسار الشيء عن الشيء أسود كان أو أبيض أو غير ذلك
من الألوان ، فنقول من يحتاج بهذه الحجة تبطل من جهات :

إحداها أن الرجل قد صرح بأنه لم يرد غير اللون فقط بقوله عن
بياض نهار .

(١) الحباب : الفقايع تطفو كأنها القوارير .

(٢) انفري انشق : أديمها : جلدها .

والثانية تشبيهه الحباب لا يشبه الشيب من جهة من الجهات غير
البياض .

والثالثة أن الليل والنهار ليس هما غير الظالمة والضياء فيظن
بالجاهل هما في وصف من الأوصاف أنه أراد شيئاً آخر فإن القائل مثلاً
في شيء قد يتبرأ من شيء كما تتبرأ الشعرة من المعين .

وقد يجوز أن يصرف قوله هذا على وجهين :

أحدهما ^(١) أن يظن أنه أراد تبريء الأسود من الأبيض لأن في
الشعرة والمعين جسماً يجوز أن يتبرأ من جسم وسواداً وبياضاً ، فأما
الليل والنهار فليس هما غير سواد وبياض فقط ، فأما جسم يتبرأ من
جسم فلا .

ومما جاء من الشعر في التناقض على طريق المضاف قول عبد الرحمن
ابن عبد الله القس ^(٢) :

فإنني إذا ما الموتُ حلَّ بنفسها يزال بنفسي قبلَ ذلكَ فأقبر

فقد جمع بين قبل وبعد وهما من المضاف لأنه لا قبل إلا لبعده
ولا بعد إلا لقبل حيث قال إنه إذا وقع الموت بها وهذا القول كأنه
شرط وصفة ليكون له جواب يأتي به وجوابه قوله « يزال بنفسه » قبل
ذلك ، وهذا شبيه بقول قائل لو قال إذا انكسرت البحرة انكسر الكوز
قبلها ، ومثله هذا التناقض عندي فوق مثله جمع المتقابلين في الشناعة ،
لأن هذا الشاعر جعل ما هو قبل ببعداً .

ومما جاء في الشعر على طريق القنية والعدم قول ابن توفل :

لأعلاج ثمانية وشيخ كبير السن ليس بندي ضَرير

(١) الوجه الثاني ساقط من الاصل .

(٢) محبوبته (سلامة) كانت تجيد الغناء وهما من العصر الاموي .

لفلظة ضرير إنما تستعمل وهي تصريح فعيل من الضر في الأكثر
 للذي لا بصر له ، وقول هذا الشاعر في هذا الشعر إنه ذو بصر وإنه
 ضرير تناقض من جهة القنية والعدم ، وذلك أنه يقول إن له بصراً ولا
 بصر له فهو بصير أعمى .

فإن قال قائل : إنه ضرير راجع إلى البصر بأنه أعمى فالعرب أولاً
 إنما تريد بضرير الإنسان الذي قد لحقه الضر بذهاب بصره لا البصر نفسه ،
 أيضاً فليس البصر هو العين التي يقع عليها العمى بل ذات الإبصار
 وذات الإبصار لا يقال لها عمياء كما لا يقال إن حدة السيف كليلة بل
 إنما يقال السيف كليل لأن الحدة لا تكل وكذا البصر لا يعنى ولكنه في
 توسع اللغة وتسمح العرب في اللفظ جائز على طريق المجاز ، وقد جاء
 في أقوى المواضع حجة وهو القرآن في قوله عز وجل : « إنما لا تعنى
 الأبصار » ولكنه إذا جاز في البصر أن يقال أعمى فلا أراه يجوز أن يقال
 فيه مضرور .

وأرى أن مما يدخل في هذا البيت من التناقض قول ابن هرمة :

تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه يكلمه من حبه وهو أعجم (١)

فإن هذا الشاعر أفنى الكلب الكلام في قوله يكلمه ثم أعدهم إياه
 عند قوله وهو أعجم من غير أن يزيد في القول ما يدل على أن ما ذكره
 إنما أجراه على طريق الاستعارة فإن عنده هذا الشاعر ببعض المعاذير إذا
 كانت الحجة كثيرة ، فهلا قال كما قال عنتره :

(١) ابن هرمة (٧٠ - ١٥٠ هـ) هو إبراهيم بن هرمة ، ساقه الشعراء
 وآخر من يحتج به منهم ، وهو من مخضرمي الدولتين (الشعر والشعراء
 ٧٢٩ / ٢ - ٧٢١ - الأغاني ٤ / ١٠١ - ١١٣ - الخزائن ١ / ٢٠٣ و ٢٠٤ -
 سمط اللالي ١ / ٢٩٨ - والبيت في حماسة أبي تمام - وأما المرتضى
 ١٣ / ١٤ - وديوان المعاني ١ / ٢٢ - وخزانة الأدب ٤ / ٥٨٤ - والشعر
 والشعراء ٢ / ٧٢١ - الموشح ٢٢٢ - والشرطي ٢ / ٢٢١ - والحيوان
 ١ / ٣٧٨) .

فازور^(١) من وقع القنّا بلبّانِه وشكى إلى بعبرة^(٢) وتحمحم^(٣)

فلم يخرج القرس عما له من التحمحم إلى الكلام ثم قال :
لو كان يدري ما المحاورة^(٤) اشتكى ولكن لو علم الكلام مكلمي
ومما جاء من الشعر على طريق الإيجاب والسلب قول عبد الرحمن
ابن عبد الله القس :

أرى هجرها والقتل مثيلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعفى وأيسر^(٥)
فأوجب هذا الشاعر للقتل والهجر أنهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله
القتل أعفى وأيسر ، فكأنه قال إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله :

وأرى أن هذا الشاعر أراد أن يقول بل القتل أعفى وأيسر ، ولو
قال بل لكان الشعر مستقيماً لأن مقام لفظه بل مقام ما ينفي الماضي
ويثبت المستقبل لكنه لما لم يقلها وأتى بجمع الإثبات ونفيه استحالة
شعره وليس إذا علمنا أن شاعراً أراد لفظه نقيم شعره فجعل مكانها
لفظة تحيله وتفسده وجب أن يحسب له ما يتوهم أنه أرادته ويترك ما
قد صرح به ولو كانت الأمور كلها تجري على هذا لم يكن خطأ .

وأرى أن مما يجري هذا المجرى قول يزيد بن مالك الغامدي حيث
قال :

أكفُ الجَهْلَ عن حُلُماء قومي وأعرضُ عن كلام الجاهِلينَا^(٦)
إذا رَجُلٌ نَرَضُ مُسْتَحِفَا لنا بالجهل أو شك أن يَحِينَا^(٧)

(١) أزور : اعوج . ولهذا اطلقوا على بغداد الزوراء لازورارها عن
القلة . الحممة : صوت القرس إذا طلب العلف . أو رأى صاحبه فاستأنس
إليه والبيت من أجود الشعر وأروع .

(٢) الجهل : الظلم .

(٣) أن يحينا : أن يقتل .

فقد أوجب هذا الشاعر في البيت الأول لنفسه الحلم والإعراض
عن الجهال ونفي ذلك بعينه في البيت الثاني بتعليه في معاقبة الجاهل إلى
أقصى العقوبات وهو القتل .

ولأبي نواس أيضاً شيء يشبه هذا وهو قوله :

وَلِيَّ عَهْدٍ مَا لَهُ قَرِيبٌ وَلَا لَهُ شَبَهٌ وَلَا خَدِينٌ^(١)
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بَلَى هَارُونَ يَا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ
إِلَّا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى الْمَأْمُونُ

فصير هارون شبيهاً بولي العهد ولم يستثن بهارون فكأنه خير منه
وليس خيراً منه لأنه شبيهه أو كشبيهه وليس بشبيهه لأنه خير منه
وهذا جمع بين النفي والإثبات .

ومما يجري هذا المجرى وقد أنكره الناس وعابوه قول زهير بن
أبي سلمى :

قف بالديار التي لم يَعْفِهَا الْقِدَمُ بلى وغيرها الأرواح والديم^(٢)

ومن عيوب المعاني : إيقاع المتنوع فيها في حال ما يجوز وقوعه ويمكن
كونه . والفرق بين المتنوع والمتناقض الذي تقدم الكلام عليه أن المتناقض
لا يكون ولا يمكن تصوره في الوهم والمتنوع لا يكون ولكن يمكن
تصوره في الوهم .

ومما جاء في الشعر وقد وضع المتنوع في ما يجوز وقوعه قول أبي
نواس :

يَا أَمِينَ اللَّهَ عَشْرُ أَبْسَدًا دُمُ عَلَى الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ

(١) الخدين : الصاحب .

(٢) لم يعفهما : لم يبيلها ويدرسها ويمح اثر قدمها .

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاعل لهذا المملوح بقوله
« عش أبداً » أمراً أو دعاء ، وكلا الأمرين مما لا يجوز ومستقيح .

ولعل معترضاً يعترض هذا القول منا في غذا الموضوع فيقول إنه
مناقضة لما استجزناه ورأيناه صواباً في صدر هذا الكتاب من الغلو ،
ويجعل قول أبي نواس هذا غلوّاً فيلزمنا تجويزه كما فصلنا تجويز الغلو
ونحن نقول إن هذا وما أشبهه ليس غلوّاً ولا إفراطاً بل خروجاً
عن حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع ، لأن الغلو إنما هو تجاوز
في نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجاً عن طباعه إلى ما لا
يجوز أن يقع له ، لأن الذي يكون قلنا إنه جائز مثل قول النمر بن
قولب :

نظالٌ تحضرُّ عنهُ إن ضَرَبَتْ به بعد الذراعين والساقين والهادي^(١)

فليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الذراعين والساقين
والهادي وأن يؤثر بعد ذلك ويغوص في الأرض ولكنه مما لا يكاد
يكون . وكذلك ما قلناه في ما قال مهلهل^(٢) :

فلولا الريحُ أسمعَ مَنْ بحجرٍ صليل البيض ترقع بالذكور

لأنه أيضاً ليس يخرج عن طباع أهل حجر أن يسمعوا الأصوات
من الأماكن البعيدة ولا خارج عن طباع البيض أن تصل وبشتد طينها
بقرع السيوف إياها ولكن يبعد بعد المسافة بين موضع الوقعة وحجر
بعداً لا يكاد يقع وليس في طباع الإنسان أن يعيش أبداً فلما كنا قد
قدمنا أن نخرج الغلو إنما هي على (يكاد) ، وليس في قول أبي
نواس « عش أبداً » موضع يحسن فيه لأنه لا يحسن على مذهب الدعاء
أن يقال أمين يكاد أن يعيش أبداً .

(١) تقدم البيت وشرحه في صفحة ٩٢ والنمر شاعر مخضرم توفي
عام ١٤ هـ .

(٢) مهلهل من قدامى الشعراء الجاهليين وأرقهم غزلاً ورتاء وكان
قبل امرئ القيس وهو خاله .

ومن عيوب المعاني : مخالفة العرف والإتيان بما ليس في العادة والطبع. مثل قول المرار :

وخالٍ على خديك يبدو كأنه سنًا البرق في دجاء باد دجونها^(١)

فالتعارف المعلوم أن الخيلان سوداء وما قاربها في ذلك اللون والحدود الحسان إنما هي البيض وبذلك تنعت فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى .

ومن هذا الجنس قول الحكم الحضري :

كانت بنو غالب لأمنها كالغيث في كل ساعة يكف^(٢)
فليس المهود أن يكون الغيث واكفًا في كل ساعة .

ومن عيوب المعاني : أن ينسب إلى الشيء ما ليس له .

كما قال خالد بن صفوان^(٣) :

فإن صورةً راقبتك فاجبرُ فربما أمرًا مذاقُ العود والعودُ أخضر
فهذا الشاعر بقوله « أمر مذاق العود والعود أخضر » كأنه يرمي
إلى أن سبيل العود الأخضر في الأكثر أن يكون عذباً أو غير مر ، فهذا
ليس بواجب لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر .

ولنتبع ما تكلمنا به في عيوب المعاني بما في الأقسام الأربعة المؤتلفة من ذلك .

(١) الدجاء : أو المحاق وهي ليلة ثمانية وعشرين • دجونها : الدجن : المطر الكثير •

(٢) يكف : يقطر •

(٣) من بلغاء الدولتين الأموية والعباسية وهو تميمي منقري ، كان من أعلام الخطباء ، توفي عام ١٢٢ هـ (١ مالي المرتضى ٢ / ٢٦١ - ٢٦٢ ، الوفيات ٢ / ٢٢٥ و ٢٢٦ ، المعارف ٤٠٣ ، نكت الهميان ١٤٨ و ١٤٩) •

عيوب انتلاف اللفظ والمعنى

فمنها : الإخلال :

وهو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى ، مثال ذلك قول عبدالله
ابن عبدالله بن مسعود :

أعاذل عاجلُ مالي أحبُّ إليَّ من الأكر الرائيث

فلنما أراد أن يقول عاجلُ مالي مع القلة أحبُّ إليَّ من الأكر
البطيء فترك مع القلة وبه يتم المعنى .

ومثل ذلك قول عروة بن الورد :

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أهدراً

ولنما أراد أن يقول عجبت لهم أن يقتلون نفوسهم في السلم ومقتلهم
عند الوغى أهدر فترك « في السلم » .

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حنظلة :

والعيشُ خيرٌ في ظلال النوك ممن عاش كدًّا^(١)

فأراد أن يقول « والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في
ظلال العقل » ، على أنه لو قال ذلك لكان في هذا الشعر خلل آخر ،
وهو أن الذي يظهر أنه أراده هو أن يقول : إن العيش الناعم في
ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل فأخل بشيء كبير .

ومن هذا الجنس نوع آخر ، وهو كما قال بعضهم :

(١) النوك : بالضم والفتح الحمق والجنون ، والحارث من شعراء
الملقات المشهورين .

لا يرمضونَ إذا حرَّتْ مَشَافِرُهُمْ ولا ترى مِنْهُمْ في الطَّعْنِ مَيَّالاً^(١)
ويفشلونَ ، إذا نَادَى رَبِّيْهُمْ ألاّ اركَبَنَّ فقد آنستُ أَبْطالاً^(٢)

فأراد أن يقول ولا يفشلون فحذف « لا » فعاد إلى الضد .

★ ★ ★

ومن عيوب هذا الجنس^(٣) عكس العيب المتقدم ، وهو أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى .

مثال ذلك قوله :

فَمَا نَظْفَةٌ من ماء نَحْضِ عُدَيَّةٍ تَمَتَّعَ من أبدي رُقَاةٍ نَرُومُهَا
بَأَطْيَبَ مِن فِيهَا لو أنك ذُقْتَهُ إذا لَيْلَةٌ أَسَجَّتْ وَغَارَتْ نَجُومُهَا^(٤)

فقول هذا الشاعر « لو أنك ذقتَه » زيادة توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيباً .

(١) رمض النصل يرمضه جعله بين حجرين أمليسين ثم دق ليرق .
(٢) الربيء : ما تقدم القوم وسار في طليعتهم وعلا وارتفع عنهم .
(٣) وهو انتلاف اللفظ والمعنى .
(٤) أسجت : مكنت .

عيوب اتلاف اللفظ والوزن

منها : الحشو :

وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن .

مثال ذلك ما قال أبو عدي العبسي :

نحن الرؤوسُ وما الرؤوسُ إذا سَمَتَ في المجد للأقوام كالأذئاب

فقوله « للأقوام » حشو لا منفعة فيه .

وقال مصقلة بن هبيرة :

أَلِكْنِي إلى أهل العراق رسالةً وخُصَّ بها حُبِّي بكر بن وائل^(١)

فقوله « حيت » حشو لا منفعة فيه .

ومنها : التثليم :

وهو أن يأتي الشاعر بأشياء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلثها والنقص منها .

مثال ذلك قول أمية بن أبي الصلت :

مَا أَرَى مَنْ يُغِيثُنِي فِي حَيَاتِي غَيْرَ نَفْسِي إِلَّا بَنِي إِسْرَآلِ^(٢)

وقال في هذه القصيدة :

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَدَاهُ كَمْ تَلْقَى فِي السُّجْنِ وَالْأَكْبَالِ^(٣)

(١) الكنى : أرسلني .

(٢) إسرائيل : أي اسراقيل وأمّية شاعر جاهلي كان يتحنف في شعره

— أدرك الإسلام ولم يدخل فيه — مات عام ٩ هـ .

(٣) الأكبال : القيود .

وقال حلقة بن حبة :

كأن إبريقهم ظي على شرف مُقدّم بسبب الكتان ملثوم^(١)

أراد بسباب الكتان فحذف للعروض .

ولليد :

درس المنا بمنال فأتان

أراد بالمنا بالمنازل .

★ ★ ★

ومنها : التلخيص :

وهو عكس العيب المتقدم ، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر

عن العروض فيضطر إلى الزيادة فيها ، مثل ما قال الكمي :

لا كعبد المليك أو كيزيد أو سليمان بعد أو كهشام

فالملك والمليك إسمان لله عز وجل ، وليس إذا سمي إنسان بالتعبد

لأحدهما وجب أن يكون مسمى بالآخر ، كما أنه ليس من سمي

عبد الرحمن هو كمن سمي عبدالله .

★ ★ ★

ومن هذا الجنس : التغيير :

وهو أن يحيل الإسم من حاله وصورته إلى صورة أخرى إذا

اضطره الوزن إلى ذلك .

كما قال بعضهم يذكر سليمان عليه السلام

ونسج سليم كل قصاء ذائل

(١) مقدم : من القدام وهو السداد .

وكما قال آخر :

من نسج داودَ أبي سلام

ومنه : التعطيل :

وهو أن لا يتنظم نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر كما قال دريد بن الصمة ^(١) :

وبلغ نُميراً إن عرضت ابن عامر فأخ في الثَّابِت وصاحب

ففرق بين نمير بن عامر بقوله « إن عرضت »

وكما قال أبو عدي القرشي :

خيرُ راعي رعية سره الله هشامٌ وخيرُ مأوى طريد

(١) سيد بني جشم وشاعريهم وفارسهم - قتل عام ٨ هـ (الاغانى ٢/٩ - ١٩ - الشعر والشعراء ٧٢٥/٢ - ٧٢٩ - الخزانة ٤٦١/٣ و ٤٦٢ - الروض الاتف ٢ / ٢٨٧) .

عيوب انتلاف المعنى والوزن معاً

منها : المقلوب :

وهو أن يضطر الوزن الشاعر إلى إحالة المعنى وقلبه إلى خلاف ما قصد به .

مثال ذلك لعروة بن الورد ^(١) :

فلَوْ أَنِّي شَهِدْتُ أَبَا سَعْدٍ غَدَاةً غَدَاً بِمَهْجَتِهِ يَفُوقُ
فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلَوْكَ إِلَّا مَا أَطْبِقُ
أراد أن يقول فديت نفسه بنفسي فقلب المعنى .

وللمحطية :

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهَوْنَ وَالْعَيْرَ مَمْسِكٌ عَلَى رَغْمِهِ مَا أَثْبَتَ الْحَبْلَ حَافِرَهُ
أراد الحبل حافرهُ فأنقلب المعنى .

ومنها : المبتور :

وهو أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد فيقطعه بالقافية ويتمه في البيت الثاني .

مثال ذلك قول عروة بن الورد :

فلو كالأيوم كان عليّ أمري ومن لك بالتدبر في الأمور
فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى ولكنه أتى بالبيت الثاني فقال :

إذاً للملك عصمة أم وهبٍ على ما كان من حاك الصدور ^(٢)
فالمرنى في البيت الأول ناقص فأتته في البيت الثاني .

(١) من الشعراء الصعاليك الجاهليين المشهورين .

(٢) الحسك : نوع من النبات له ثمر كالحصا شائك وهذا كناية عن شدة الخيظ الكامن في نفسه .

عيوب ائتلاف المعنى والقافية

منها أن تكون القافية مستدعاة قد تكلف في طلبها فاستعمل معنى سائر البيت :

مثل ما قال أبو تمام الطائي (١) :

كالظبية الأدماء صافَتْ قَارَتَمَتْ زَهَرُ القَرَارِ الغَضْرُ والجُنْجَانَا

فجميع هذا البيت مبني على طلب هذه القافية وإلا فليس في وصف الظبية بأنها ترتعي الجُنْجَانَا كثير فائدة ، لأنه إنما توصف الظبية بأنها ترتعي الجُنْجَانَا إذا قصد نعتها بأحسن أحوالها ، بأن يقال إنها تعطو (٢) الشجرة لأنها حينئذ تكون رافعة رأسها وتوصف بأن ذعراً يسيراً قد لحقها ، كما قال الطرماح (٣) :

مِثْلُ مَا عَايَتْ مَحْرُوفَةً نَصَهَا ذَاعِرُ رُوعِ مَوْامِ

فأما بأن ترتعي الجُنْجَانَا فلا أعرف له معنى في زيادة الظبية لاسيما والجُنْجَانَا ليس من المراعي التي توصف بأن ما يرتعي يؤثره .

ومن عيوب هذا الجنس : أن يؤتى بالقافية لأن تكون نظيرة لأخواتها في السجع ، لا لأن لها فائدة في معنى البيت .

كما قال علي بن محمد البصري :

وسابغة الأذيال زَغَفَ مَقَاضَةَ تَكْنُفُهَا مِنِّي الْجِبَادُ المَخْطُطُ

(١) من أشهر الشعراء الغياصيين (١٩٠ - ٢٣١ هـ) .

(٢) أي تتناول .

(٣) من شعراء الخوارج في العصر الأموي توفي عام ١٢٥ هـ وديوانه بتحقيق عزة حسن (طبع دمشق ١٩٦٨) -

فليس لأن يكون هذا البجاد (١) مخطئاً صنع في صفة السدروع
وتجويد نعتها ولكنه أتى به من أجل السجع .

ومن هذا الجنس قول أبي عدي القرشي :
ووقت الختوف من وارث وال وأبقاك صالحاً ربُّ هود

فليس نسبة هذا الشاعر الله عز وجل إلى أنه رب هود أجود من
نسبته إلى أنه رب نوح ، ولكن القافية كانت دالية فأتى بذلك للسجع
لا لإفادة معنى بما أتى به منه ..
والله أعلم .

إنهى كتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر
المتوفى عام ٣٣٧ هـ - ٩٤٨ م

(١) البجاد : ثوب غليظ .

الكلمة الأخيرة .. بقلم المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لله وشكراً على ما أعان ووفق وسدّد ؛ له الحمد ، وله
الشكر ، وله الثناء الحسن الجميل .

وصلاة وسلاماً على رسوله النبي العربي المبين ، وعلى آله وصحبه
أجمعين .

وبعد : فهذا هو كتاب « نقد الشعر » لقدامة ، في ثوب جديد ،
وتقديم طريف ، وتحقيق دقيق ، وتعليق مفيد .

أرجو بذلك كله أن أكون قد حققت الهدف الذي قصدت إليه
وأصبت الغرض الذي ألقيت برحلي لديه .

والقارئ يعرف مدى الصعوبة في تحقيق هذا الكتاب والتعليق
عليه ، لأنه أصل من أهم أصول تراثنا في النقد القديم ، ولأنه أقام
مذهباً جديداً في النقد ؛ فأسس منهجاً موضوعياً في الحكم على الشعر
وتقييمه .

وأسأل الله التوفيق والسداد ، وما توفيقى إلا بالله .

المحقق

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣ - ٥٨	المدخل إلى الكتاب بقلم المحقق
٥	تصدير الكتاب
١٢	تمهيد حول النقد والنقاد
٢١	النقد الأدبي عند العرب
٢٦	النقد الأدبي في القرن الثاني
٣١	النقد الأدبي في القرن الثالث
٤٤	النقد الأدبي في القرن الرابع
٤٧	قدامة : جانب من حياته وتراثه النقدي
٥٣	كتاب نقد الشعر
٥٩ - ٢١١	كتاب نقد الشعر لقدامة
٦١	مقدمة المؤلف
٦٣ - ٧١	الفصل الأول
٧٣ - ١٧٠	الفصل الثاني : نعوت عناصر الشعر الأربعة المفردات :
٧٤	١ - نعت اللفظ
٧٨	٢ - نعت الوزن :
	(أ) سهولة العروض
	(ب) التصريح
٨٦	٣ - نعت القوافي :
	(أ) عنوبة الحرف وسلامة المخرج
	(ب) التصريح

الصفحة	الموضوع
٩١ - ١٥٣	٤ - باب المعاني الدال عليها الشعر
٩٥	نعمت أهم أغراض الشعراء في المعاني
٩٥	(١) نعمت المديح
١١٣	(ب) نعمت الهجاء
١١٨	(ج) نعمت المرائي
١٢٤	(د) نعمت التشبيه
١٣٠	(هـ) نعمت الوصف
١٣٤	(و) نعمت النسيب
١٣٩	نعمت تعم جميع المعاني الشعرية :
١٣٩	(١) صحة التقسيم
١٤١	(٢) صحة المقابلة
١٤٢	(٣) صحة التفسير
١٤٤	(٤) التتميم
١٤٦	(٥) المبالغة
١٤٧	(٦) التكافؤ
١٥٠	(٧) الإلتفات
١٥٣	نعمت عناصر الشعر الأربعة المركبات :
١٥٣	١ - نعمت ائتلاف اللفظ مع المعنى :
١٥٣	(١) المساواة
١٥٤	(ب) الإشارة
١٥٧	(ج) الإرداف
١٥٩	(د) التمثيل
١٦٢	(هـ) المطابق
١٦٣	(و) المجانس

- ١٦٥ ٢ - نعت ائتلاف اللفظ والوزن
- ١٦٦ ٣ - نعت ائتلاف المعنى والوزن
- ١٦٧ ٤ - نعت ائتلاف القافية والمعنى :
- ١٦٧ (أ) التوشيح
- ١٦٨ (ب) الإيغال
- ١٧١ الفصل الثالث : عيوب الشعر
- ١٧١ عيوب ترجع إلى العناصر الأربعة المفردة
- ١٧٢ ١ - عيوب اللفظ
- ١٧٤ المعاظلة
- ١٧٨ ٢ - عيوب الوزن
- ١٨١ ٣ - عيوب القوافي :
- ١٨١ (أ) التجميع
- ١٨١ (ب) الإقواء
- ١٨٢ (ج) الإيطاء
- ١٨٢ (د) السناد
- ١٨٤ ٤ - عيوب المعاني :
- ١٨٤ عيوب ترجع إلى الأغراض الشعرية :
- ١٨٤ (أ) عيوب المديح .
- ١٨٧ (ب) عيوب المهجاء
- ١٩٠ (ج) عيوب المراثي
- ١٩٠ (د) عيوب التشبيه
- ١٩٠ (هـ) عيوب الوصف
- ١٩٠ (و) عيوب الغزل (النسيب)
- ١٩٢ العيوب العامة للمعاني :

- ١ - فساد الأقسام ١٩٢
- ٢ - فساد المقابلات ١٩٣
- ٣ - فساد التفسير ١٩٤
- ٤ - الإستحالة والتناقض ١٩٥
- ٥ - إيقاع المتنوع في المعاني في حال ما يجوز وقوعه ٢٠١
- ٦ - مخالفة العرف ٢٠٣
- ٧ - أن ينسب إلى الشيء ما ليس له ٢٠٣
- عيوب ترجع إلى العناصر الأربعة المركبة : ٢٠٣
- (أ) عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى : ٢٠٤
- ١ - الإخلال . ٢ - التطويل لغير فائدة .
- (ب) عيوب ائتلاف اللفظ والوزن : ٢٠٦
- ١ - الحشو ٢ - التثليم ٢٠٦
- ٣ - التذنيب ٤ - التغيير ٢٠٧
- ٥ - التعطيل ٢٠٨
- (ج) عيوب ائتلاف المعنى والوزن : ٢٠٩
- ١ - المقلوب ٢ - المبتور
- (د) عيوب ائتلاف المعنى والقافية : ٢١٠
- ١ - التكلف في طلب القافية ٢١٠
- ٢ - الإتيان بالقافية من أجل السجع ٢١١
- الكلمة الأخيرة ، بقلم المحقق ٢١٢
- فهرست الكتاب ٢١٣

طلوب من: **دار الكتب العلمية** بيروت. لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص: ١١/٩٤٢٤ : تلکس : Nasher 41245 Le

سازمان اسناد و کتابخانه ملی

تهران - تلفن: ۸۳۷۶۷۷ - ۸۳۷۶۷۹ - ۸۳۷۶۷۳